

تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

الرسائل إلى

تيموثاوس وتيطس وفليمون



رسائل
تميم بن الأبرار إلى النائية وتيس وليمون

نقله إلى العربية

لطيف زكي بدروس



دار الثقافة

طبعة ثانية

صدر عن دار الثقافة ص . ب . ١٢٩٨ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة نشر
أو طبع بالرونيو للكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر وحده
حق إعادة الطبع) ١٣٠ / ٢٩٠ ط ٢ (أ) / ٥ - ٨ / ٧٨ - ٨٨
رقم الأيداع بدار الكتب : ٧٢٩٥ / ٨٨
طبع بمطبعة : دار نوبار للطباعة

تفہیم العربیہ الجدید

للدكتور

ولیم بارکلی

أستاذ العربیة الجدید بجامعة کلاسکو

مجلس التحرير

دكتور بطرس عبد الملك الاستاذ حبيب سعيد

دكتور القس صموئيل حبيب دكتور القس فايز فارس

دكتور القس فهم عزيز

* يشترك عدد من المترجمين في ترجمة هذه السلسلة التي تصدر عن :

— دار الثقافة المسيحية .

— دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

في هذا الكتاب

صفحة	صفحة	مقدمة
١٠٣	٧	هرطقة خطيرة
١١٦	١٢	الرسالة الأولى الى تيموثاوس
١١٨	٢٥	الأصحاح الأول
مزايا ومسئوليات الحياة داخل	٢٧	الأمر الملكي
الكنيسة	٢٩	رجاء العالم
١٢٠	٣٠	ابني تيموثاوس
١٢٣	٣٢	نعمة ورحمة وسلام
الأصحاح الرابع	٣٥	خطأ وهرطقة
١٢٦	٣٩	النظريات اليونانية
خدمة الله أو خدمة الشيطان	٤١	أخلاقيات الهرطقة
١٢٦	٤٣	عقلية المهرطق
مستعبدون للناس مهينون لله	٤٥	عقلية المفكر المسيحي
١٢٨	٤٩	هؤلاء الذين لا يحتاجون لناموس
نصيحة الى رسول المسيح	٥١	هؤلاء الذين يدبّهم الناموس
١٣١	٥٣	الكلمة المطهرة
الطريق الوحيد لاسكات	٥٨	تخلص ليخدم
الانتقاد	٥٩	وسائل الرجوع الى الله
١٣٤	٦١	العار الذي لا ينسى
واجبات القائد المسيحي داخل	٦٣	الدعوة التي لا يمكن أن ترفض
الكنيسة	٦٨	مرسل لحرب الله
١٣٧	٧١	تعنيف قاس
واجبات القائد المسيحي داخل	٧٣	الأصحاح الثاني
الشخصية	٧٦	شمول الانجيل
١٣٩	٧٩	طريقة الصلاة
الأصحاح الخامس	٨١	الصلاة لمن لهم السلطان
١٤١	٨٣	عطايا الله
واجب الزجر	٨٥	اله واحد ومخلص واحد
١٤١	٨٩	معطلات الصلاة
العلاقات في الحياة	٩١	النساء في الكنيسة
١٤٢	٩٦	الأصحاح الثالث
الكنيسة والواجبات العائلية	٩٦	قادة الكنيسة
١٤٥	١٠٠	تعيين وواجبات قادة الكنيسة
شيخوخة مكرمة نافعة		
١٤٩		
مزيد وأخطار الخدمة		
١٥٢		
أخطار الفراغ والبطالة		
١٥٥		
قواعد الخدمة العملية		
١٥٨		
قواعد الإدارة العملية		
١٦٠		
نصيحة لتيموثاوس		
١٦١		
استحالة الاخفاء التام		
١٦٥		
الأصحاح السادس		
١٦٦		
كيف تكون عبداً ومسيحياً ؟		
١٦٩		
المعلمون الكذبة والتعليم الزائف		
١٧٢		
صفات المعلم الزائف		
١٧٦		
تاج القناعة		
١٨٠		
خطورة محبة المال		

صفحة		صفحة	
٢٨٠	واجب المسيحي	١٨٤	تحد لتيموثاوس
٢٨٢	مستمعون أغبياء	١٨٦	ذكريات ملهمة
٢٨٦	بولس يأتي للنهاية	١٨٩	نصيحة للأغبياء
٢٨٨	فرحة الجهاد الحسن	١٩١	إيمان للحفاظ عليه
٢٩٢	قائمة الشرف والعار		الرسالة الثانية الى تيموثاوس
٢٩٣	رحلة ديماس الروحية	١٩٧	الأصحاح الأول
٣٠٢	كلمات أخيرة وتحيات	١٩٩	الهام تيموثاوس
٣٠٤	الخاتمة		انجيل مستحق التضحية
	رسالة بولس الرسول الى تيطس	٢٠٢	والتالم لأجله
٣٠٧	الأصحاح الأول	٢٠٩	وديدة بشرية الهية
٣٠٧	مصادر الرسول	٢١٣	الخونة كثيرون والوفى واحد
٣٠٩	الانجيل الذى نادى به الرسول	٢١٦	الأصحاح الثانى :
٣١٤	تابع وفى	٢١٦	سلسلة التعليم المتصلة
٣١٧	شيخ الكنيسة	٢١٨	جندى المسيح
٣١٩	مايجب أن يمتنع عنه الشيخ	٢١٨	رياضى المسيح
٣٢٢	مايجب أن يكونه الشيخ		العامل الذى يشقى لأجل
٣٢٥	معلمو كريت الزائفون	٢٢٤	المسيح
٣٢٨	سمعة رديئة	٢٢٦	ذكرى بالغة الأهمية
٣٣٠	طاهر القلب	٢٣٠	حر حتى فى قيود الحديد
٣٣٣	حياة قبيحة لا فائدة منها	٢٣٢	ترنيمة الشهداء
٣٣٥	الأصحاح الثانى :	٢٣٤	خطورة الكلام
٣٤١	الخلق المسيحى	٢٣٧	طريق الحق وطريق الخطأ
٣٤٤	قوة التجسد الأخلاقية	٢٤٢	الاساس الراسخ
٣٤٧	المأمورية الثلاثية	٢٤٥	أوان للشرف وأخرى للهوان
٣٤٨	الأصحاح الثالث :		نصيحة تسدى الى القسائد
٣٤٨	المواطن المسيحى	٢٤٧	المسيحى
٣٥٠	المحرك المزدوج		الأصحاح الثالث
٣٥٣	السبب والتأثير	٢٥٠	أوقات رهيبة
٣٥٥	ضرورة العمل وخطورة المناقشة	٢٥٣	الصفات الدنسة
٣٥٨	تحيات أخيرة	٢٥٥	صفات الدنس
	رسالة بولس الرسول الى	٢٦٣	التفجير باسم الدين
٣٦١	فليمون	٢٦٦	مقاومو الله
٣٦٣	مقدمة	٢٦٨	واجبات وصفات الرسول
٣٧٣	رجل يسهل استرجاؤه	٢٧٣	قيمة الكتاب
٣٧٦	من أجل المحبة	٢٧٨	الأصحاح الرابع
٣٨٠	الرجاء والبركة الختامية	٢٧٨	بولس يستشير حمية تيموثاوس

الرسائل إلى تيموثاوس

مقدمة

رسائل شخصية :

اعتبرت رسائل بولس الرسول إلى تيموثاوس وتيطس ، مجموعة منفصلة من الرسائل ، مختلفة عن بقية رسائل بولس . وأظهر الاختلافات أن هذه الرسائل ، مع الخطاب القصير إلى فليمون ، كتبت إلى أشخاص ، بينما كتبت جميع رسائل بولس الأخرى إلى كنائس . وجاء في القانون الموراتورياني Muratorian Canon ، أقدم قائمة رسمية لكتب العهد الجديد ، أن الرسائل كتبت لتعبر « عن شعور وعواطف شخصية » فهي بمثابة رسائل خاصة أكثر منها عامة .

رسائل كنسية :

ورغم ما يبدو من أن هذه الرسائل شخصية وخاصة إلا أنه اتضح أن لها من الأهمية والتقدير ما يجعلها أشمل بكثير من مجرد الدلالة الشخصية . ويظهر الغرض من هذه الرسائل في ١ تيموثاوس ٣: ١٥ . كتبت لتيموثاوس « لكي تعلم كيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي » كتبت الرسائل لتضع قواعد السلوك التي تليق بمن يعيشون في بيت الله . لهذا ابتداءً يتضح ما للرسائل من أهمية كنسية إلى جانب أهميتها الشخصية . ويذكر القانون الموراتورياني ، أنه رغم أن الرسائل شخصية وبهجتها عاطفة شخصية ، لكنها « لازالت تتمتع بنظرة تقدير (من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية) »

في التنظيمات الكنسية » وذكر تيرتوليان Tertullian أن بولس كتب « رسالتين إلى تيموثاوس وواحدة إلى تيطس ، الغرض منها الاهتمام بحالة الكنيسة » . لهذا لم يكن مستغرباً أن أول اسم أطلق على الرسائل هو « رسائل بابوية » . والرسالة البابوية هي خطاب كتبه البابا ، أو الأسقف المشرف على الكنيسة .

رسائل رعوية :

ولكن شيئاً فشيئاً اتجهت التسمية إلى الاسم الذي ما زالت تعرف به الرسائل حتى الآن - الرسائل الرعوية . وفي عام ١٢٧٤ ذكر توما الأكويني عن ١ تيموثاوس « هذه الرسالة تبدو كما لو كانت قانوناً رعوياً سلمه الرسول إلى تيموثاوس » . وفي مقدمة عن الرسالة الثانية ، كتب ، « في الرسالة الأولى يعطى بولس لتيموثاوس التعليمات الخاصة بالتنظيم الكنسي ؛ وفي هذه الرسالة الثانية يعالج موضوع العناية الرعوية التي يجب أن تكون بالغة العمق لدرجة الاستشهاد في سبيل العناية بالقطيع » ولكن هذا اللقب ، الرسائل الرعوية ، لم يصبح علماً على هذه الخطابات إلا في عام ١٧٢٦ ، حينما أطلقه بولس أنطون ، أحد كبار الأساتذة ، على سلسلة شهيرة من المحاضرات ألقاها عن الرسائل ودعاها محاضرات عن الرسائل الرعوية .

هذه الرسالة إذا تعالج رعاية وتنظيم الكنيسة والعناية بشعب الله ؛ وتعلم الناس كيف يتصرفون في بيت الله ؛ وترشد كيف يخدم بيت الله ، وأى نوع من الناس يجب أن يكونه قادة ورعاة الكنيسة ، وكيف تعالج التهديدات التي تعرض طهارة الإيمان المسيحي والحياة المسيحية للخطر .

الكنيسة النامية :

إن الاهتمام العظيم بهذه الرسائل راجع إلى أنها ترسم صورة للكنيسة في طفولتها وهذا ما لا نجده في أى مكان آخر . في تلك الأيام الأولى كانت الكنيسة جزيرة في بحر من الوثنية . تهددها من كل جانب أخطر أنواع العدوى . فشعبها لم ينفصل عن تاريخه وأصله الوثني إلا منذ فترة وجيزة . وكان من السهل جداً عليهم أن ينزلقوا مرة أخرى وينتكسوا بالمبادئ الوثنية التي تركوها . كان الجو الملطخ يحيط بهم . لذلك تتكلم الرسائل الرعوية مباشرة عن حالة الكنائس الناشئة . إن الموقف الذي تعالجه هذه الرسائل موقف يتكرر حدوثه يومياً في الهند وفي أفريقيا وفي الصين . لهذا لا يمكن أن تفقد هذه الرسائل أهميتها ، لأننا نجد فيها ما لا نجده في أى مكان آخر ، المصاعب التي أحاقت بالكنيسة النامية باستمرار .

المرجع الكنسى للرسائل الرعوية :

ولكن منذ البداية واجهت دارسى العهد الجديد مشاكل تتعلق بهذه الرسائل . شعر كثيرون أن هذه الرسائل لا يمكن أن تكون قد أتت مباشرة من يد وقلم بولس . ولم يكن هذا شعوراً جديداً ، لأن مارسيون Marcion أول من كتب قائمة بأسفار العهد الجديد (رغم كونه هرطوقاً) . لم يضع الرسائل الرعوية بين رسائل بولس . لنبحث إذاً فيما يشكك الناس في إسناد الرسائل مباشرة إلى بولس .

في هذه الرسائل نواجه بصورة كنيسة على درجة عالية من التنظيم الكنسى هناك شيوخ (١ تيموثاوس ٥ : ١ ، ١٧-١٩ ؛ تيطس ١ : ٥-٧) ؛ وهناك أساقفة أو نظار (١ تيموثاوس ٣ : ١-٧ ؛ تيطس ١ : ٧-١٦) ؛ هناك خماسية (١ تيموثاوس ٣ : ٨-١٣ .) ومن ١ تيموثاوس ٥ : ١٧ ، ١٨

نعلم أنه في ذلك الحين كان الشيوخ موظفين يتقاضون أجراً . الشيوخ الذين يعملون جيداً يستحقون ضعف الأجر ، وتذكر الكنيسة بأن الفاعل مستحق أجرته . هناك على الأقل بداية لنظام الأرامل ، هذا النظام الذي صار فيما بعد بالغ الأهمية في حياة الكنيسة الأولى (١ تيموثاوس ٥ : ٢ - ١٦) . يبدو واضحاً هنا وجود تنظيم ضخم داخل الكنيسة ، تنظيم يراه البعض كثير التعقيد بالنسبة لتلك الأيام التي عاش وعمل فيها بولس . كان يبدو أن الكنيسة قد قطعت فعلاً الخطوات الأولى نحو مؤسسة دقيقة التنظيم وهي التي صارت إليها فيما بعد وما هي عليه الآن .

أيام العقائد :

كما يقال إننا نستطيع أن نلمس في هذه الرسائل بدء بزوغ فجر الأيام العقائدية . فكلمة إيمان تغيرت عن معناها . كان يقصد بالإيمان دائماً الإيمان في شخص وذلك حسب ما جاء في أعظم رسائل بولس في الأيام السابقة . الإيمان هو أعظم علاقة شخصية ممكنة من المحبة والثقة والطاعة مع يسوع المسيح . لكن أصبح الإيمان يعنى إيماناً في عقيدة ؛ أو قبول لتعاليم معينة . يقال إننا نستطيع رؤية هذا التغير في الرسائل الرعوية . في الأيام الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين (١ تيموثاوس ٤ : ١) كما أن الخادم الصالح ليسوع المسيح يجب أن يتغذى بكلام الإيمان والتعليم الحسن (١ تيموثاوس ٤ : ٦) . والمهرطقون أناس فاسدة أذهانهم ، مرفوضون من جهة الإيمان (٢ تيموثاوس ٣ : ٨) . وواجب تيطس أن يوبخهم بشدة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان (تيطس ١ : ١٣) . يبرز هذا على الخصوص في تعبير غريب على الرسائل الرعوية . بحث تيموثاوس أن يحافظ على الشيء الصالح الذي أوكل إليه (٢ تيموثاوس ١ : ١٤) . والكلمة

فى اليونانية التى تعنى هذا الشئ الذى أوكل معناها وديعة مؤتمن عليها مصرف أو إنسان للحفاظ عليها . فهى بالضرورة أمانة يجب أن ترد كاملة غير منقوصة ولا تغيير فيها . هنا يتضح التركيز على العقيدة السليمة إذا ، بدلا من العلاقة الشخصية مع يسوع المسيح ، كما كان الحال فى تلك الأيام المثيرة الحية النابضة للكنيسة الأولى ، أصبح الإيمان قبولا لعقيدة ثابتة . ونجد فى الرسائل الرعوية أصحاء وأجزاء من أقدم العقائد .

« الله ظهر فى الجسد

تبرر فى الروح

تراءى للملائكة

كرز به بين الأمم

أومن به فى العالم

رفع فى المجد » (١ تيموثاوس ٣ : ١٦)

والحق يقال ، ترن هذه الكلمات فى الأذان كجزء من عقيدة محفوظة تعاد . « أذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي » (٢ تيموثاوس ٢ : ٨)

وهذه تذكرنا بجملة من عقيدة مقبولة .

لا شك أننا نجد فى الرعويات دلائل على أن الإصرار على تقبل العقيدة السليمة قد بدأ ، وأن تلك الأيام الأولى التى كانت تنبض بالحياة عند اكتشاف المسيح شخصياً قد بدأت فى الأفول .

هرطقة خطيرة

من الواضح أن الرسائل الرعوية قد كتبت لمواجهة موقف نادى به هرطقة خطيرة هددت مصالح الكنيسة المسيحية . إذا استطعنا الاستدلال على مختلف الخواص المميزة لهذه الهرطقة ، ربما يمكننا من التعرف عليها .

كانت تتميز بالتخمينات العقلية التى أثارت مناقشات (١ تيموثاوس ٤ : ١) ؛ وقد أولع من انشغل بها بالمناقشات (١ تيموثاوس ٦ : ٤) ؛ عاجلت مباحثات غبية وسخيفة ٢ تيموثاوس ٢ : ٢٣ يجب تجنب أسئلتها الغبية (تيطس ٣ : ٩) . استعملت كلمة يونانية — فى كل مرة جاء فيها ذكر مناقشات أو مباحثات أو أسئلة تعنى مباحثات تخمينية . هذه الهرطقة كانت بطبيعة الحال ميداناً يصول فيه المثقفون ، أو بالأحرى أشباه المثقفين بالكنيسة .

كانت تتميز بالكبرياء . المهرطق متكبر ، رغم أنه فى الحقيقة لا يعلم شيئاً (١ تيموثاوس ٦ : ٤) . وهناك دلائل أن هؤلاء المثقفين وضعوا أنفسهم فى مستوى أعلى من المسيحى العادى ؛ وربما كان القصد أن يقولوا إن الخلاص الكامل خارج متناول الشخص العادى ولكنه متاح لهم فقط . هناك مرات كثيرة شددت الرسائل الرعوية على كلمة جميع بطريقة واضحة للغاية . لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس (تيطس ٢ : ١١) . لأنها إرادة الله أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تيموثاوس ٢ : ٤) . أراد المثقفون أن يجعلوا من أعظم بركات المسيحية حكراً موقوفاً على أقلية مختارة ؛ وعلى النقيض من هذا الاحتكار يؤكد الإيمان الحقيقى محبة الله الشاملة .

كان هناك اتجاهان متعارضان لهذه الهرطقة . اتجاه التقشف ، حاول المهرطقون وضع قوانين خاصة للطعام ، غافلين عن أن كل ما خلقه الله جيد (١ تيموثاوس ٤ : ٤ ، ٥) . وضعوا قائمة بالأطعمة المحرمة ، متناسين أن كل شيء طاهر للطاهرين (تيطس ١ : ١٥) . ليس مستحيلاً إن اعتبروا الجنس غير طاهر أو قللوا من شأن الزواج ، أو حاولوا إقناع المتزوجين بنبد الزواج ، لأنه في تيطس ٢ : ٤ تبرز الواجبات البسيطة في الحياة الزوجية كنوع من القيد على المسيحي . ولكنه من الواضح أيضاً أن هذه الهرطقة اتخذت اتجاهاً لا أخلاقياً . فقد اقتحم المهرطقون حتى البيوت الخاصة وساقوا أمامهم نسوة ضعيفات غيبات مغلوبات بشهواتهن ورغباتهن الشريرة (٢ تيموثاوس ٣ : ٦) . كانوا يتميزون بالشهوة (٢ تيموثاوس ٤ : ٣) يجاهرون بمعرفة الله ، ولكنهم في واقعهم رجسون (تيطس ١ : ١٦) انطلق هؤلاء الهرطقة ليثقلوا على الناس ، ويؤثثوا لأنفسهم بيوتاً ، ويكتسبوا مالا من تعاليمهم الزائفة . فالربح بالنسبة لهم تقوى (١ تيموثاوس ٦ : ٥) ؛ يعلمون ويخدعون لأجل الربح القبيح (تيطس ١ : ١١) . هكذا أخذت هذه الهرطقة في إحدى مظاهرها اتجاه تقشف غير مسيحي ، بينما في الجانب الآخر أنتجت تعليماً لا أخلاقياً ولا مسيحياً .

تميزت هذه الهرطقة أيضاً بالكلمات والقصص والأنساب . كانت مليئة بالكلام الباطل والاختلافات التي لا طائل من ورائها (١ تيموثاوس ٦ : ٢٠) ، تمخضت عن أنساب لا نهاية لها (١ تيموثاوس ١ : ٤ ؛ تيطس ٣ : ٩) ، وأنتجت الخرافات والقصص التي لا أساس لها (١ تيموثاوس ١ : ٤ ؛ تيطس ١ : ١٤) .

كانت الهرطقة مرتبطة على الأقل بطريقة ما وبدرجة ما بالشرع اليهودي

قُبِعْصُ الموالين لها من التختان (تيطس ١ : ١٠) . غرض المهرطقين أن يكونوا معلمين للناموس (١ تيموثاوس ١ : ٧) . قرضت على الناس خرافات يهودية ووصايا للناس (تيطس ١ : ١٤) ..

وأخيراً ، أفكر هؤلاء المهرطقون قيامة الجسد . قالوا إن أى قيامة تنتظر الإنسان قد حدثت فعلاً (٢ تيموثاوس ٢ : ١٨) . من المحتمل أن في هذا إشارة إلى هؤلاء الذين تمسكوا بعدم قيامة الجسد ، وأن القيامة التى حدثت للمسيح إنما هى قيامة روحية ترمز لموت الإنسان مع المسيح وقيامته ثانياً معه في المعمودية (رومية ٦ : ٤) ..

ابتداء الغنوسية :

هل هناك إذاً هرطقة تطابق كل هذه المواصفات ؟ . نعم ، واسمها الغنوسية Gnosticism . الفكرة الأساسية في الغنوسية أن المادة بالضرورة شر وأن الروح فقط هو الصالح .. هناك نتائج معينة لهذا الاعتقاد الأساسى .

يومن الغنوسى بأن المادة أزلية مثل الله ، وأنه عندما خلق الله العالم كان عليه أن يستعمل بالضرورة هذه المادة الشريرة . وتبع هذا نتائج فكرية هامة للغاية . كان معنى هذا بالنسبة لهم أن الله لم يكن ولا يستطيع أن يكون الخالق المباشر للعالم . لكى يستطيع أن يلمس هذه المادة الفاسدة كان على الله أن يبعث سلسلة من الانبثاقات— أطلقوا عليها أيون ، كل انبثاق منها أكثر بعداً عن شخصه حتى جاء في النهاية انبثاق على بعد كاف من الله يستطيع أن يتعامل مع المادة ويخلق العالم . وهكذا امتد بين الإنسان والله — سلم وسلسلة من هذه الانبثاقات . كان لكل انبثاق اسم وأنساب خاصة به . لهذا كانت للغنوسية خرافات وأنساب لا نهاية لها . إذا أراد إنسان أن يصل فعلاً إلى الله ،

كان عليه أن يرتقى هذا السلم من الانبثاقات ؛ ولكي يتمكن من هذا العمل كان يحتاج لمعرفة من نوع خاص جداً تشمل كل أنواع كلمات السر التي تسمح له باجتياز كل مرحلة . لم يكن هناك أمل في الحصول على هذه المعرفة وإدراك كلمات السر وبالتالي الوصول إلى الله إلا لشخص بلغ القمة في الثقافة والمعرفة . لم يكن هناك أمل للإنسان العادي في اجتياز إلا بعض المراحل السفلية في الطريق إلى الله . فهو محكوم عليه أن يظل حبيس الأرض ، أما الإنسان المثقف فهو وحده الذي يستطيع أن يتقن هذه التصورات ويحصل على المعرفة التي تصعد به إلى الله .

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل طالما أن المادة في مجموعها شريرة ، يصبح الجسد كله شريراً . ومن هذا يمكن أن ينتج احتمالين متضادين . أما أن يضطهد الجسد ، يضرب ، يهمل ، ويهان ، ومن هنا ينتج تقشف زاهد ، يحرم فيه الجسد عن كل ما أمكن من احتياجاته ، وتعدم فيه كل غرائزه ، وعلى الأخص الغريزة الجنسية ؛ أو ، بما أن الجسد في كليته شرير ، يمكن القول إن ما نفعله بالجسد لا يهم إطلاقاً ؛ إذا يمكن لغرائزه ورغباته وشهواته أن تشبع نهمها وتتبع هواها ، لأن الجسد لا يهم . لهذا أصبح الغنوصي إما متقشفاً ، وأما شخصاً تلاشى منه كل احترام للأخلاق .

ثم بناء على ما سبق ، إذا كان الجسد شريراً ، فمن الواضح أن شيئاً مثل قيامة الجسد لا يمكن أن تكون . فلم تكن قيامة الجسد ، بل بالحرى هلاك الجسد هو ما تطلع إليه الغنوصي .

واضح جداً أن ما سبق ينطبق بدقة على الموقف في الرسائل الرعوية . رأينا في الغنوصية أن العقل والمنطق أساس المعرفة ، ورأينا غرور الثقافة ،

الخرافات والأنساب ، التقشف والإباحية ، الرفض الكامل لإمكان قيامة الجسد ، كلها جزء وكل من الهرطقة التي كتبت الرسائل الرعوية في محاربتها .

هناك عنصر واحد فقط في الهرطقة لم يتم بعد تفسيره — اليهودية والتشريع الذي تكلمت عنه الرسائل الرعوية . لكن في بعض الأحيان تلاقت الغنوسية واليهودية ، وكما حدث ، دخلا في اتحاد غير مقدس . سبق أن قلنا إن الغنوسيين أصرروا على ضرورة الحصول على معرفة خاصة جداً لإمكان تسليق السلم إلى الله ؛ وأن البعض منهم أصر على ضرورة إتباع تقشف صارم للحصول على الحياة الصالحة . كذلك كان ادعاء بعض العناصر اليهودية أن الناموس اليهودي وأنظمة الأكل اليهودية هي على وجه الدقة التي كفلت هذه المعرفة الخاصة وهذا التقشف اللازم ؛ لهذا نجد أنه في بعض الأوقات سارت الغنوسية واليهودية يداً في يد .

من الواضح تماماً أن الهرطقة التي أشارت إليها الرسائل الرعوية كانت غنوسية وهناك البعض الذي حاول استغلال هذه الحقيقة بالذات ليثبت أنه لم يكن ممكناً لبولس أن تكون له علاقة بكتابة هذه الرسائل ، لأن الغنوسية لم تظهر (إلا بعد وقت طويل من بولس . . . ولا شك أن الأنظمة الرسمية العظيمة للغنوسية ، التي صاحبها أسماء مثل فالنتينوس Valentinus . وباسيليدس Basilides ، لم تظهر إلا في القرن الثاني ؛ ولكن كل ما قامت به هذه الشخصيات الكبيرة أنها وضعت التشريع والتنظيم لما كان موجوداً فعلاً . فالخطوط الرئيسية للغنوسية كانت هناك ، تملأ الجو الذي عاشت فيه الكنيسة الأولى ، حتى في أيام بولس . ومن السهل رؤية الإغراء الذي اشتملت عليه الغنوسية ، ومن السهل أيضاً تصور — إذا سمح لهذه المبادئ أن تنمو وترعرع دون مقاومة — كيف كان ممكناً أن تتحول المسيحية إلى

فلسفة نظرية تصورية ، وأن يتحطم الدين المسيحي . من السهل رؤية أن الكنيسة في تصديها للغنوسية إنما واجهت واحداً من أسوأ الأخطار التي هددت الإيمان المسيحي .

لغة الرسائل :

ولكن أكثر الحجج قوة ضد إسناد رسائل الرعويات لقلم بولس هو واقعة واضحة في اليونانية، ولكنها ليست بنفس الوضوح في الترجمة الإنجليزية.

فمجموع كلمات الرسائل الرعوية هو ٩٠٢ ، منها ٥٤ كلمة أسماء أعلام؛ ومن هذه الـ ٩٠٢ كلمة يوجد ما لا يقل عن ٣٠٦ كلمة لم ترد مطلقاً في أي من خطابات بولس الأخرى . بمعنى آخر فإن ٣٦٪ أي أكثر من ثلث كلمات الرسائل الرعوية — لم تستخدم في لغة بولس في رسائله الأخرى ، كما أن ١٧٥ كلمة في الرسائل الرعوية لا تتكرر مرة أخرى في العهد الجديد على الإطلاق . ومن ناحية أخرى ، من الإنصاف أن يقال إن هناك ٥٠ كلمة وردت في الرسائل الرعوية كما وردت في رسائل بولس الأخرى ولكنها لا تظهر في أي مكان آخر في العهد الجديد . كذلك ، عندما تتكلم الرسائل الرعوية ورسائل بولس الأخرى عن نفس الشيء تختلف الطريقة في الحالتين ، باستعمال كلمات مختلفة وتعابير مختلفة لوصف نفس الفكرة .

بالإضافة إلى ما سبق ، كثير من كلمات بولس المفضلة لديه غائبة كلية من الرسائل الرعوية . فكلمة الصليب ومشتقاتها تتكرر ٢٧ مرة في خطابات بولس الأخرى ، ولا ترد إطلاقاً في الرسائل الرعوية . والكلمات التي تصف الحرية ترد ٢٩ مرة في رسائل بولس الأخرى ، ولا ترد إطلاقاً في الرسائل

الرعوية . وكلمة الابن ، وكلمة التبنى ، تأتي ٤٦ مرة في رسائل بولس الأخرى ، ولا نجدها ولا مرة واحدة في الرعويات .

وفوق هذا وذاك ، تشمل اللغة اليونانية كثيراً من الكلمات الصغيرة التي تدعى كلمات أو تشكيلات أكثر مما تشملها الإنجليزية . وأحياناً تشير هذه الكلمات أو التشكيلات إلى نبرة معينة في لفظة الكلمة أكثر من أى شئ آخر . كل جملة يونانية معطوفة على الجملة التي تسبقها بواحدة من هذه الكلمات التي لا ترجمة لها . من هذه الكلمات والتشكيلات ، وحروف الجر ، يوجد ١١٢ في خطابات بولس الأخرى ، استعملها في ٩٣٢ موضع ، ولكنها لا ترد مطلقاً في الرعويات .

وبالنسبة لبلاغة اللغة والأسلوب ، يصعب تصديق أن بولس كتب الرسائل الرعوية بنفس مفهومنا لكتابة الرسائل الأخرى .

نشاطات بولس كما ذكرت في الرعويات :

ولكن ربما كانت أكثر المشاكل في الرسائل الرعوية هي ما احتوته من نشاطات لبولس لم يرد لها ذكر في حياته كما نعرفها من أعمال الرسل . يتضح أنه قام بارسالية إلى كريت (تيطس ١ : ٥) . ويقترح تمضية شتاء في نيكوبوليس التي في ايبيريا (تيطس ٣ : ١٢) . ومن الواضح في حياة بولس كما نعرفها أن هذه الإرسالية لم تحدث كما أن هذا الشتاء بالذات لم تتم فيه الزيارة . وربما نستطيع القول إن تعثرنا هنا يفتح لنا الطريق لحل المشكلة كلها .

هل أفرج عن بولس من مجنه روما ؟

دعونا نريث لنم بالموضوع بجملته . رأينا في الرعويات أن تنظيمات

الكنيسة قد بلغت شأواً بعيداً في التعقيد أكثر مما في رسائل بولس الأخرى . ورأينا أن التشديد على صحة العقيدة وعلى حفظ الوديعة تبدو كما لو كانت صادرة من مسيحية القرن الثاني أو الثالث ، عندما بدأت جدوة الاختبار الجديد في الحمود ، وبدأت الكنيسة طريقها الطويل لتصبح مؤسسة . رأينا بولس يقوم بارسالية أو بأكثر بينما لا يمكن إيجاد دور لهذه الإرساليات في حياته كما وردت بأعمال الرسل . ولكن الشيء الغريب عن أعمال الرسل أنها تترك فترة بقاء بولس بروما دون أن تجزم بما حدث فيها . بل ينتهي السرد بالقول إن بولس أمضى سنتين كاملتين فيما يشبه نصف مسجون يبشر بالإنجيل بلا خوف أو معارضة (أعمال ٢٨ : ٣٠ ، ٣١) . ولكن الأعمال لا تنبئنا كيف انتهت فترة السجن هذه ، هل انتهت بالإفراج عنه أم بالحكم عليه وإعدامه . حقيقة يتجه الافتراض العام إلى انتهائها بمحاكمته وموته ، ولكن هناك أيضاً دلائل لا يمكن إهمالها تجزم أنها انتهت بالإفراج عنه ، وتمتعه بالحرية لمدة سنتين أو ثلاث ، ثم إعادة سجنه وإعدامه نهائياً عام ٦٧ ميلادية .

لنبحث هذا الموضوع ، فهو على جانب عظيم من الأهمية . لن يكون في مقدورنا أن نصل إلى تأكيد ما ، ولكننا على الأقل يمكننا أن نبحث المشكلة حتى لو ظلت مشكلة .

أولاً ، واضح أن بولس كان في السجن في روما ، ولم يعتبر أن إطلاق سراحه مستحيلاً ؛ بل بالعكس يبدو أنه كان يتوقعه . عندما كتب إلى أهل فيلبي من سجنه بروما ، قال إنه يرسل إليهم حالياً تيموثاوس ثم يستطرد « وأثق بالرب أني أنا أيضاً سأتى إليكم سريعاً » (فيلبي ٢ : ٢٤) . وعندما كتب إلى فيلمون ، ليرد العبد الهارب أنسيمس ، قال « ومع هذا أعدد لي أيضاً

منزلاً ؛ لأننى أرجو أننى بصلواتكم سأوهب لكم » (فيلمون ٢٢) . واضح أن بولس كان مستعداً لإطلاق سراحه ، سواء حدث هذا فعلاً أم لم يحدث .

ثانياً ، لنذكر خطة كانت قريبة جداً إلى قلب بولس . قبل أن يذهب بولس إلى اورشليم فى تلك الرحلة التى قبض عليه فيها ، كتب إلى كنيسة روما ، وفى هذه الرسالة كان يخطط لزيارة أسبانيا . كتب يقول « عندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم ، سأمضى ماراً بكم إلى أسبانيا » (رومية ١٥ : ٢٤ ، ٢٨) . كان يعتزم زيارة أسبانيا فى ذلك الوقت ، ويمر بروما فى طريقه إليها ، هل تحققت هذه الزيارة أبداً ؟

عندما كتب كليمنت الرومانى Clement إلى كنيسة كورنثوس عام ٩٠ ميلادية ، ذكر أن بولس بشر بالإنجيل فى المشرق والمغرب ؛ وأنه أرشد العالم كله (أو بمعنى آخر الأباطورية الرومانية) إلى البر ، وأنه وصل إلى آخر حدود الغرب ، قبل استشهاده . ماذا كان يعنى كليمنت بآخر حدود الغرب ؟ كثيرون يعتقدون أن كليمنت لم يقصد بهذا أبعد من روما . ربما كان هذا معقولاً لو كان الكاتب يعيش فى الشرق ، فى آسيا الصغرى مثلاً ، فمن المحتمل أن يظن أن روما هى آخر حدود الغرب . ولكن كليمنت كان يكتب من روما ، ومن الصعب على من كان فى روما أن لا يتصور أن حدود الغرب تنهى فى أسبانيا . بالتأكيد يبدو أن كليمنت كان واثقاً من وصول بولس إلى أسبانيا .

كتب ايزوبياس Eusebius أعظم مؤرخى الكنيسة الأولى . فى سرده لتاريخ حياة بولس يقول « أنهى لوقا تاريخه لأعمال الرسل عند هذه النقطة ، بعد أن ذكر أن بولس أمضى سنتين كاملتين فى روما كسجين دون

قيد ، مبشراً بكلمة الله دون عائق . ويقال إن الرسول ، بعد أن أدلى بدفاعه ، أرسل ثانياً في خدمته التبشيرية ، ثم لما عاد إلى المدينة مرة أخرى ذاق الاستشهاد (ايزوبياس ، تاريخ الكنيسة ، ٢٠٢٢٠٢) . لم يذكر ايزوبياس شيئاً عن أسبانيا ، ولكنه كان يعلم بقصة إطلاق سراح بولس من سجنه الأول بروما .

يصف القانون الموراتورياني - وهو القائمة الأولى لأسفار العهد الجديد - خطة لوقا في كتابة الأعمال بقوله « سرد لوقا لثاوفيلس عرضاً للحوادث التي كان شاهد عيان لها ، كما وضح ، في مكان آخر ، استشهاد بطرس (من المحتمل أنه يشير إلى لوقا ٢٢ : ٣٢ ، ٣٣) ولكنه حذف رحلة بولس من روما إلى أسبانيا » .

واضح إذاً أن القانون الموراتورياني كان يعلم عن رحلة لبولس إلى أسبانيا .

في القرن الخامس أبدى اثنان من كبار الآباء المسيحيين رأيهما القاطع بشأن رحلة بولس إلى أسبانيا . يقول كريزوستم Chrysostom في عظته عن ٢ تيموثاوس ٤ : ٢٠ : « بعد إقامته في روما غادر القديس بولس إلى أسبانيا » . ويذكر جيروم Jerome في قائمة عن الكتاب « أذن نieron لبولس بالمغادرة حتى يتمكن من تبشير إنجيل المسيح في الغرب » .

لا شك أن هناك الكثير من الاعتقادات المتداولة تتمسك بأن بولس رحل فعلاً إلى أسبانيا .

في هذا الشأن يجب أن نصل إلى قرار بأنفسنا.. الشيء الوحيد الذي يشككنا في تاريخية رحلة بولس إلى أسبانيا أن في أسبانيا نفسها لم تتداول مطلقاً قصص

عن عمل وتبشير بولس هناك ؛ لا توجد حكايات عنه ، ولا أماكن مرتبطة باسمه . من المستغرب فعلاً أن تمحى ذكرى هذه الرحلة محوً تاماً هكذا . من المحتمل جداً أن قصة الإفراج عن بولس ورحلته إلى الغرب برزت ببساطة كنوع من الاستنتاج لرغبة بولس التي أبدّاها لزيارة أسبانيا في رومية ١٥ . من الحق أيضاً أن يقال إن معظم باحثي العهد الجديد يميلون إلى الاعتقاد أن بولس لم يفرج عنه ، وأن الموت وحده هو الذي أطلق سراحه من سجن روما .

بولس والرسائل الرعوية :

ماذا نقول إذا عن صلة بولس بهذه الرسائل ؟ إذا قبلنا الاعتقاد أن بولس أفرج عنه ، وأنه عاد للتبشير والتعليم ، وأن موته تأخر حتى عام ٦٧ ميلادية ، فمن الأولى أيضاً أن نصدق أن الرسائل كما هي جاءت من يده . ولكن إذا لم نستطع تصديق هذا الاعتقاد — وهناك على العموم دلائل ضده — هل نمضى في القول إن الرسائل الرعوية لا صلة لها إطلاقاً ببولس ؟ يجب أن نتذكر أن العالم القديم لم ير هذه الأمور كما نراها نحن . لم ير العالم القديم مأخذاً في كتابة رسالة باسم معلم عظيم ، طالما كان مؤكداً أن الرسالة ذكرت نفس الأشياء التي كان هذا المعلم يقولها تحت ظروف مشابهة . بالنسبة للعالم القديم كان طبيعياً للغاية أن يكتب تلميذ باسم أستاذه . لم يتواجد واحد ، سواء في العالم أو في الكنيسة ، يشعر أن هناك خطأ ما إذا واجه تلميذ لبولس موقفاً جديداً خطيراً برسالة تحت اسم بولس . إذا فكرنا في ألفاظ كالغش والتدليس نذكر قد أسأنا تماماً فهم عقلية العالم القديم . ماذا بعد ؟ هل نتأرجح بين الرأي المخالف تماماً فنقول إن أحد تلاميذ بولس كتب هذه الرسائل تحت اسم بولس بعد .

سنوات من موته ، وفي وقت بلغت الكنيسة فيه شأواً بعيداً في التنظيم أعل
بكثير مما كان في حياة بولس ؟

في اعتقادنا ، هذا هو بالضبط ما لا نستطيع قوله . ليس من المعقول
أبداً أن أى تلميذ يضع على لسان بولس هذه النصيحة أنه أول الخطاة (١ تيموثاوس
١ : ١٥) . الميل الطبيعي للتلميذ أن يبرز قداسة بولس لا أن يتكلم عن
خطاياهم . ومن غير المعقول أيضاً أن إنساناً يكتب باسم بولس يشير على
تيموثاوس بهذه النصيحة البسيطة أن يشرب قليلاً من الخمر لأجل صحته
(١ تيموثاوس ٥ : ٢٣) . وأصحاح ٤ من رسالة تيموثاوس الثانية كله شخصي
ملىء بالأشياء الدقيقة الخاصة والتفاصيل المحبة والتي لا يمكن أن تصدر إلا من
بولس نفسه .

أين الحل إذاً ؟ ربما ما حدث يشبه الآتى . من المعلوم تماماً أن كثير من
رسائل بولس قد فقدت ، كذلك من الواضح ، أنه بجانب رسائله العامة
العظيمة ، كان لبولس مراسلات خاصة مستمرة ، ومن هذه المراسلات
الخاصة ، نملك رسالة واحدة فقط ، هي الخطاب القصير إلى فيلمون . هو
وحده الذى نجا من الاندثار ، المصير النهائى لكل المراسلات الخاصة . والآن
ربما ظهرت في الأيام التالية بعض أجزاء من مراسلات بولس في حوزة أحد
معلمى المسيحية . رأى هذا المعلم المسيحى أن الكنيسة في زمانه وفيما يحيط
بأفسس مهددة من كل جانب . مهددة بالبدع من الخارج والداخل . مهددة
بالانحدار عن مستوى مقاييسها العالية للطهارة والحق . التدهور يهدد الصفات
والمثل التى يتحلى بها أعضاؤها وموظفوها . ووجد هذا المعلم أن في حوزته
خطابات قصيرة لبولس تتكلم عن نفس الأشياء التى يجب أن يقال ، ولكنها
في حالتها ، لم تزد عن مقتطفات قصيرة لا تصلح للنشر . فأخذ على عاتقه

أن يرتب ويضيف إلى الخطابات حتى أوصلها إلى درجة سامية من ملاءمتها لموقف الكنيسة المعاصر ثم أرسلها إلى الكنيسة .

في الرسائل الرعوية ما زلنا نستمع إلى صوت بولس ، وكثيراً ما نسمعه يتكلم عن علاقات شخصية ، ولكننا نعتقد أن الصورة الحالية للرسائل ترجع إلى معلم مسيحي هاله ما وصلت إليه الكنيسة في زمانه فاستعان بصوت بولس وروحه لكي يوجه الكنيسة ويرشدها وما كان يستطيع غير بولس أن يفعل هذا

التفسير

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس

الأصحاح الأول

الأمر الملكي

١ بُولُسُ رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِحَسَبِ أَمْرِ اللَّهِ
مُخَلِّصِنَا وَرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَجَائِنَا ٢ إِلَى تِيمُوثَاوُسَ
الابْنِ الصَّرِيحِ فِي الْإِيمَانِ نِعْمَةً وَرَحْمَةً وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ
أَبِينَا وَالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا .

(١ تيموثاوس ١ : ١ و ٢)

لم يوجد من عظم وظيفته كما فعل بولس . لم يفعل هذا عن كبرياء ؛ بل
عن دهشة وإعجاب أن الله اختاره لعمل كهذا . وفي كلمات الرسالة الافتتاحية
يذكر بولس مرتين عظمة الامتياز الذي ناله .

١ - أولاً - يدعو نفسه رسولاً للمسيح يسوع . كلمة رسول في اليونانية
هي **apostolos** ، التي تأتي بدورها من الفعل **apostellein** وتعني
يرسل خارجاً . الرسول هو من أرسل خارجاً . حتى في زمن هيرودت كانت
الكلمة تعني مبعوث ، أو سفير ، هذا الذي يرسل خارجاً ليمثل بلده ومليكه .
وقد اعتبر بولس نفسه دائماً مبعوثاً وسفيراً للمسيح . وفي الحقيقة ، تلك هي
وظيفة كل مسيحي . وأول واجبات السفير تكوين علاقات بين البلد الذي

أرسل إليه وبين البلد الذى أرسل منه . فهو فى هذا وصلة الترابط . وهذا واجب المسيحى الأول ، أن يكون وصلة الترابط بين زملائه من الناس وبين يسوع المسيح .

٢ - ثانياً - يقول بولس إنه رسول بأمر الله الملكى . والكلمة التى يستعملها كلمة يونانية تعنى الأوامر والواجبات التى يضعها قانون لا نقض فيه على عاتق الفرد ؛ أو الأمر الملكى الذى يصدر إلى إنسان ما من الملك ؛ وفوق هذا وذاك تعنى الكلمة التوجيهات الصادرة إلى شخص إما مباشرة أو بوحى من الله . فمثلاً ، يسجل رجل فى حفرة له إهداءه محرقة إلى الآلهة سيبييل ، ويعزو هذا إلى أمر الآلهة الذى أصدرته إليه فى حلم . وكان بولس يعتقد فى نفسه أنه الرجل الذى يتشرف بتكليف الملك . إن إسناد هذا العمل إليه ، ثم بأمر ملكى صادر من الله . إذا أمكن لأى إنسان أن يصل إلى هذا الإحساس بأنه مبعوث الله ، فكم تكون الروعة والجمال التى يضيفها هذا الشعور الجديد على الحياة . فهما كان دوره متواضعاً فيها ، لكنه فى خدمة ملكية .

« ما عاد الملل للحياة

بعد أن فتحنا نوافذنا على سعتها

ورأينا العالم الجبار يمتد خارجها

وهمسنا لأنفسنا بهذا الشئ العجيب

نحن مطلوبون فى خدمة الملك » .

إنه امتياز أن نؤدى حتى أنفسه وأحقق الخدمات لمن نحبه ونحترمه ونعجب به ، لمن نعبد فيه البطولة . ويمكن للمسيحى أن يفعل هذا طيلة حياته ، لأنه دائماً يسعى فى خدمة الملك .

ثم يستطرد بولس فيضني على الله والمسيح لقبين عظيمين .

يصف الله أنه مخلصنا . وهذا تعبير جديد لا نجده في خطابات بولس السابقة . هناك مصدرين يأتي اللقب منهما .

(أ) يأتي من مصادر العهد القديم . يتهم موسى لإسرائيل بأن يشورون . « رفض الله الذي عمله ، وغبي عن صخرة خلاصه » (تثنية ٣٢ : ١٥) . وتغني المرثم كيف سيحمل نقي القلب برأ من إله خلاصه (مزمور ٢٤ : ٥) . ورنمت مريم . « تعظم نفسي الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لوقا ١ : ٤٦ ، ٤٧) . عندما دعا بولس الله مخلصاً ، إنما كان يستمد فكرة كانت دائماً كثيرة الإعزاز لدى إسرائيل .

(ب) وهناك مصدر وثني . حدث في هذا الوقت بالذات أن لقب مخلص ، كان كثير التداول على ألسنة الناس . استعمله الناس دائماً . لقب الرومان قائدهم العظيم سكيبيو Scipio « رجاءنا وخلاصنا » . ولكن في نفس هذا الوقت كان هو اللقب الذي نخلعه اليونانيون على ايزكيلابيس Aesculapius إله الشفاء دعوه ايزكيلابيس ، المخلص . وكان أيضاً أحد الألقاب التي اتخذها نيرون ، الإمبراطور الروماني ، لنفسه ، فادعى أنه حاكم ومخلص العالم . إذا في هذه الجملة الافتتاحية للرسالة ينتزع بولس اللقب الذي شاع استعماله في عالم باحث متلهف ويرده إلى الشخص الوحيد الذي له الحق وحده أن يكون اللقب له .

يجب أن لا ننسى مطلقاً أن بولس دعا الله مخلصاً . من المحتمل أن نكون قد كونا لأنفسنا فكرة تامة الخطأ عن الموت الكفارى وعمما أتمه يسوع .

أحياناً يصف الناس الكفارة بطريقة تدعو للاعتقاد أنها عمل قام به يسوع فهذا

غضب الله . فيدفعنا هذا إلى تصور الله كاله غاضب منتقم مختلف تماماً عن يسوع الوديع المحب . الفكرة التي يسوقونها هي اعتزام الله في غضبه إهلاكنا ثم تحول هذا الغضب إلى محبة بواسطة يسوع . لا يوجد في أى مكان في العهد الجديد ما يؤيد هذا الرأي . بل لأنه هكذا أحب الله العالم حتى أرسل يسوع إلى العالم (يوحنا ٣ : ١٦) . الله هو المخلص . خلف كل عملية الخلاص توجد محبة الله . واجب علينا أن لا نفكر مطلقاً أو نبشر أو نعلم عن إله مطلوب تهدئته وإقناعه بمحبتنا ، لأن كل الأشياء تبدأ بمحبة الله .

رجاء العالم

يستعمل بولس هنا أحد الألقاب التي صارت فيما بعد أحد ألقاب يسوع المسيح العظيمة – « المسيح يسوع رجاؤنا » . وقبل هذا بزمان طويل ساءل صاحب المزامير نفسه : « لماذا أنت منحنية يا نفسى ؟ » . ثم أجاب : « ترجى الله » (مزمور ٤٣ : ٥) . ويتكلم بولس نفسه عن « المسيح فيكم ، رجاء المجد » (كولوسى ١ : ٢٧) . وجاء يوحنا فذكر الصورة اللامعة التي واجهت المسيحي ، صورة كونه كالمسيح ؛ ثم يستطرد فيقول : « وكل من عنده هذا الرجاء ، يظهر نفسه » (١ يوحنا ٣ : ٢ ، ٣) .

في الكنيسة الأولى ، قدر لهذا اللقب أن يصبح أعز ألقاب المسيح . يكتب أغناطيوس من أنطاكية ، وهو في طريقه إلى الإعدام بروما ، إلى كنيسة أفسس : « افرحوا في الله الآب وفي المسيح يسوع رجاؤنا المشترك » . ويكتب بوليكاربوس : « فلتثبت إذاً في رجائنا وفي ضامن برنا ، الذى هو يسوع المسيح » . رأى الناس في يسوع المسيح رجاءهم .

١- وجد الناس في المسيح أمل انتصار الخلق وغلبة النفس . لم يكن العالم القديم غافلاً عن خطيته ؛ أو غير شاعر بتدهوره الخلق . ذكر أيكتيتس أسفاً « ضعفنا في الضروريات » . وقال سنيكا « إننا نكره رذائلنا ونحبها في نفس الوقت » . وقال أيضاً ، « لم نقف بشجاعة كافية في صف نوابنا الطبية ؛ رغم إرادتنا ومقاومتنا فقداننا براءتنا . ليس فقط أننا تصرفنا بخطأ ، بل سنظل نفعل ذلك حتى النهاية » . وكتب الشاعر الروماني برسياس في حسرة وألم : « لينظر المذنبون الفضيلة ، ويتحسروا على فقدانها للأبد » . ويتكلم برسياس عن « ناتا القدرة التي سلبتها الرذيلة الإحساس » . كان العالم القديم يدرك جيداً عجزه الأخلاقي ؛ ثم جاء المسيح ، لا ليدل الناس فقط إلى الصواب ، بل أيضاً لينحهم القوة لسلوكه . لم يأت برسالة البر فقط ، بل بعبية القدرة لغلبة الخطية أيضاً . رد المسيح للناس ما فقدوه ، الرجاء بانتصار الخلق بديلاً لهزيمة الأخلاق .

٢- وجد الناس في المسيح رجاء الانتصار على الظروف . جاءت المسيحية إلى العالم في عصر تلاشت منه كل الضمانات الشخصية . عندما وصل المؤرخ الروماني تاسيتس إلى كتابة تاريخ هذه الحقبة بالذات التي ظهرت فيها الكنيسة المسيحية ، بدأها بهذا الوصف ، « إني أدخل فترة من التاريخ غنية بالأسى ، كثيرة بالحروب ، ممزقة بالانقلابات ؛ وحشية حتى في أفضل ساعات سلامها » . هلك أربعة أباطرة بالسيف ؛ واندلعت ثلاث حروب أهلية ؛ وأكثر من ذلك مع الدول الأخرى ؛ وبعض هذه الحروب شمل الداخل والخارج معاً وفي وقت واحد . . أتت الحرائق على روما ؛ احترقت أقدم معابدها ؛ ولم يسلم مجلس الشيوخ من النيران التي أشعلتها أيد رومانية ؛ تدنس التقاليد المقدسة ، وشاع الفجور بين الطبقات العليا ؛ ازدحم البحر بالمنفيين ، وارتوت صفور الجزيرة بدماء القتلى ؛ ولكن أبشع ما في الكل

الجنون الذى ساد روما ؛ نبالة الأصل ، الثروة ، رفض وظيفته ، أو قبولها ، كل شئ أعتبر جريمة ، وأقصر الطرق إلى الدمار هو التمسك بالفضيلة . لم تكن مكافأة المخبرين بأقل شناعة من أعمالهم . تفشى النهب والفساد بين الكهنة ، بين القناصل ، بين حكام الأقاليم وفى حى العرش ذاته . كل شئ كان كابوساً ثقيلاً من الكراهية والرعب ؛ يرشى العبيد ليخونوا ساداتهم ، والأحرار لينكلوا بمن أحسن إليهم ، ومن خلى من الأعداء أوقع به الأصدقاء .

(تاسيتس ، تاريخ ١ ، ٢) . وكما قال جيلبرت مورى Gilbert Murray كان الجيل كله يعانى من « انهيار الأعصاب » . تلهف الناس إلى حائط دفاع يستندون إليه ضد « فوضى العالم الزاحفة » . فى مثل هذه الظروف جاء المسيح ليعطى للناس القوة ليعيشوا ، والشجاعة لموتوا إن لم يكن من الموت بد . وفى اليقين أنه لا شئ على الأرض يستطيع أن يفصلهم عن محبة الله فى المسيح يسوع ، وجد الناس الغلبة على ظروف فرضتها ضراوة العصر .

٣- وجد الناس فى المسيح رجاء الانتصار على الموت . وجدوا اليقين فى أن هناك ما هو أكثر من مجرد حياة معذبة يعقبها فناء . وجدوا اليقين فى حياة تكتمل فى مكان آخر . وجدوا فى المسيح قوة للحياة الزائلة وفى نفس الوقت رجاء بالخلود . المسيح ، رجاؤنا . هذا هو نداء المعركة فى حياة الكنيسة .

ابنى تيموثاوس

أرسل هذا الخطاب لتيموثاوس ، ولم يكن بولس يستطيع أن يذكر تيموثاوس دون أن يفعل صوته بالعاطفة والمودة .

كان تيموثاوس مواطناً من ليسترا في إقليم غلاطية ، إحدى المستعمرات الرومانية ؛ أطلقت على نفسها « ليسترا المستعمرة اللامعة » . رغم أنها في الحقيقة لم تزد عن مكان صغير في أقاصي العالم المتمدين . ترجع أهميتها إلى وجود حامية رومانية تعسكر هناك لكبح جماح القبائل المتوحشة القاطنة في جبال أزوريان الممتدة خلف المدينة . وصل بولس وبرنابا إلى ليسترا في أولى رحلاتهما الإرسالية (أعمال ١٤ : ٨ - ٢١) . في ذلك الحين لم يأت ذكر لتيموثاوس ؛ وإن كان محتملاً أن بولس ، أثناء وجوده في ليسترا ، أقام في بيت تيموثاوس ، لأن بولس كان يعرف جيداً إيمان وتعبداً أم تيموثاوس أفنيكي وجدته لوئيس (٢ تيموثاوس ١ : ٥) . لا بد أن تيموثاوس كان حدثاً صغيراً أثناء تلك الزيارة الأولى ، ولكن الإيمان المسيحي يهره ، وأصبح بولس بطلاً بالنسبة له . وابتدأت الحياة بالنسبة لتيموثاوس أثناء زيارة بولس لليسترا خلال رحلته الإرسالية الثانية (أعمال ١٦ : ١ - ٣) . رغم حدوثه ، صار تيموثاوس أحد درر الكنيسة المسيحية في ليسترا . كان الصبي ممكناً بالحماس والجاذبية مما جعل الجميع يذكرونه بالثناء بالنسبة لبولس ، وبدأ تيموثاوس الشخص الذي سيكون له عوناً ومساعداً . وفكر بولس حينذاك أنه يتعهد هذا الصبي بالتعليم والتوجيه والمران ليتابع عمله بعد أن تنتهي أيامه . كان تيموثاوس ثمرة زواج مختلط ؛ أمه يهودية ، وأباه يوناني (أعمال ١٦ : ١) . لهذا أخذه بولس وختنه . لم يكن ذلك لأن بولس كان عبداً للناموس ، أو أنه رأى في الختان أي ميزة خاصة ، بل لأن بولس قلق جيداً ما سيصادفه تيموثاوس من تعنت إذا عمل بين اليهود وهو غير مختون وقد اتخذ بولس هذه الخطوة كضرورة عملية تزدادها فائدة تيموثاوس التبشيرية .

من ذلك الحين صار تيموثاوس رفيق بولس المستديم . عندما هرب بولس إلى أثينا تركه خلفه مع سيلاس في بيريه ، ثم لحقاً ببولس بعد ذلك

(أعمال ١٧ : ١٤ ، ١٥) وصل تيموثاوس إلى أثينا في الوقت المناسب .
(أعمال ١٨ : ٥) . أرسل إلى مقدونية كبعوث لبولس . (أعمال ١٩ : ٢٢)
كان حاضراً عند جمع حصيلة من الكنائس لأجل أورشليم (أعمال ٢٠ : ٤)
لازم بولس في كورنثوس أثناء كتابة الرسالة إلى أهل رومية
(رومية ١٦ : ٢١) مثل بولس في كورنثوس عندما ساد الاضطراب هذه
الكنيسة الغير منتظمة (١ كورنثوس ٤ : ١٧ ؛ ١٦ : ١٠) . كان مع بولس
أثناء كتابة رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (٢ كورنثوس ١ : ١ ، ١٩) .
أرسله بولس لينظر الأمور في تسالونيكي وكان معه عندما كتب بولس رسالته
لهذه الكنيسة (١ تسالونيكي ١ : ١ ؛ ٣ : ٢ ، ٦) . رافق بولس في السجن
عندما كتب بولس رسالته إلى أهل فيلي ، وكان بولس مزماً أن يرسله إلى
فيلبي كممثل له (فيلبي ١ : ١ ؛ ٢ : ١٩) . زامل بولس أثناء كتابته
للكنيسة في كولوسي ولفيلمون (كولوسي ١ : ١ ؛ فيلمون ١ : ١) . كان
تيموثاوس بجانب بولس دائماً ، وكان هو الرجل الذي يرسله بولس في كل
المهام الصعبة كان صوته يهدج بالحبّة والعاطفة العميقة عندما كان يتكلم عن
تيموثاوس . وعندما أرسله إلى تلك الكنيسة المنقسمة في كورنثوس ، كتب
يقول : « لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب والأمين في
الرب » (١ كورنثوس ٤ : ١٧) . وعندما اعتزم إرساله إلى فيلبي كتب
يقول : « لأنه ليس لي أحد آخر نظير نفسي وأما اختباره فأنتم
تعرفون أنه كولد مع أب خدم معي لأجل الإنجيل » (فيلبي ٢ : ٢٠ ، ٢٢) .
هنا يدعو بولس تيموثاوس « ابنه الصريح » . الكلمة التي يستعملها لصريح
هي *gnésios* وهي تحمل معنيين . معناها المعتاد هو الطفل الشرعي بالمقارنة مع
الطفل الغير شرعي . ومعناها الآخر هو حقيق ، ذهب ، على النقيض من
زائف ومغشوش .

كان تيموثاوس الشخص الذى يستطيع بولس اثباته . كان تيموثاوس
الشخص الذى يستطيع بولس إرساله إلى أى مكان ، واثقاً أنه سيذهب . حقاً
ما أسعد القائد الذى يملك مساعداً مثل هذا . تيموثاوس هو مثالنا فى الخدمة
بالإيمان . إن المسيح وكنيسة المسيح فى حاجة لخدام مثل تيموثاوس .

نعمة ورحمة وسلام

بدأ بولس رسائله دائماً بطلب بركة (رومية ١ : ٧ ؛ ١ كورنثوس
١ : ٣ ؛ ٢ كورنثوس ٢ : ٢ ؛ غلاطية ١ : ٣ ، أفسس ١ : ٢ ؛ فيلي
١ : ٢ ؛ كولوسى ١ : ٢ ؛ ١ تسالونيكي ١ : ١ ؛ ٢ تسالونيكي ١ : ٢ ؛
فيلمون ٣) . ولكن فى كل هذه الرسائل وردت كلمتان فقط — نعمة
وسلام . ترد هذه الكلمة الثالثة رحمة فقط فى رسائله إلى تيموثاوس وإلى
تيطس (٢ تيموثاوس ١ : ٢ ؛ تيطس ١ : ٤) . هلموا نتأمل فى هذه
الكلمات الثلاث العظيمة .

١ — فى الكلمة نعمة توجد دائماً ثلاث أفكار غالبية .

(أ) فى اليونانية الكلاسيكية تعنى الكلمة نعمة خارجية أو تفضيل ،
جمال ، جاذبية ، عذوبة ، حلاوة . كانت الكلمة تطلق عادة على الأشخاص
ولكن ليس دائماً . والكلمة الإنجليزية charm أكثر ما تكون قرباً فى التعبير
عن معناها . خاصية النعمة الشئ المحبوب العذب .

(ب) فى العهد الجديد هناك دائماً فكرة الكرم الخالص . النعمة هى
ما لم يكتسب وما لم يستحق ، شئ لا يمكن أن يكون قد اكتسب ولا يمكن
أن يكون قد استحق . هى ضد ما هو دين . يقول بولس إنه إذا كان الأمر

اكتساب أشياء ، لا تكون المكافأة نوعاً من النعمة ، بل من الدين (رومية ٤ : ٤) . النعمة شيء لا يكتسب . وهي تتعارض مع الأعمال . يقول بولس . إن انتقاء الله لمختاريه ليس نتيجة للأعمال ، بل بالنعمة (رومية ١١ : ٦) . النعمة هبة تعطى وليست شيئاً نستحقه .

(ح) في العهد الجديد هناك دائماً فكرة الشمول الكامل . مرة بعد أخرى . يستعمل بولس كلمة النعمة في تعليقه على قبول الأمميين داخل عائلة الله . فهو يشكر الله لنعمة المعطاة لأهل كورنثوس في المسيح يسوع (١ كورنثوس ١ : ٤) . ويتكلم عن نعمة الله التي وهبت لكنائس مقلونية (٢ كورنثوس ٨ : ١) . ويذكر عن أهل غلاطية أنهم مدعوون إلى نعمة المسيح (غلاطية ١ : ٦) . الرجاء الذي شغل أهل تسالونيكي جاء خلال النعمة . (٢ تسالونيكي ٢ : ١٦) . وكانت هي نعمة الله التي جعلت من بولس رسولا للأمم (١ كورنثوس ١٥ : ١٠) . وبنعمة الله استطاع بولس أن يتحرك بين الكورنثوسيون (٢ كورنثوس ١ : ١٢) . وبالنعمة دعاه الله وأفرزه من بطن أمه (غلاطية ١ : ١٥) . وهي النعمة المعطاة له من الله التي مكنته أن يكتب بشجاعة إلى كنيسة روما (رومية ١٥ : ١٥) . بالنسبة لبولس كان أعظم شاهد على نعمة الله قبول الأمم في الكنيسة واختياره رسولا إليهم . النعمة شيء رائع ، النعمة عطية مجانية ، والنعمة كاملة الشمول . ما أجمل وصف ف. ج. هورت F.J. Hort « النعمة كلمة مفصحة شاملة ، تجمع في معانيها كل ما يمكن أن تعبر عنه ابتسامة ملك سماوي يرقب شعبه » .

٢ — كلمة سلام كانت عادة ثانی كلمات بولس العظيم للتحية . سلام كانت أيضاً كلمة اليهود المعتادة للتحية ، وفي المنطوق العبري لم تكن الكلمة مجرد تعبير سلبي يقصد به غياب المتاعب بل كانت « أكثر الكلمات إفصاحاً

وتعبيراً للتمنى بحياة كريمة طيبة . السلام هو كل شئ يرفع الإنسان إلى أسمى حالاته . السلام هو الحالة التي يبلغها الإنسان عندما تحتويه محبة الله . يكتب هورت : « السلام هو المضاد لكل أنواع الخلاف والحرب والمضايقات لمضاد للعداوات الخارجية والانشغالات الداخلية » .

« ثقل الخطية أحنى ظهري

وضغط إبليس يدي الجروح

الحرب حولي والخوف داخلي

آتي إليك لأستريح » .

من هنا يبدأ الحنين للسلام .

٣ - كلمة رحمة هي الكلمة الجديدة في البركة الرسولية . في اليونانية الكلمة هي *eleos* وفي العبرية *Chesedh* . والآن *Chesedh* هي الكلمة التي كثيراً ما ترجمت في العهد القديم إلى طيبة محبة . لهذا عندما صلي بولس طالباً الرحمة لتيموثاوس كان يعنى ببساطة « ليكون الله طيباً نحوك يا تيموثاوس » . ولكن للكلمة معنى أكثر من هذا . استعملت هذه الكلمة *Chesedh* ما لا يقل عن مائة وسبعة وعشرين مرة في المزامير . وكانت في كل مرة تعني « العون في وقت الحاجة » . وهي بهذا تشير ، على حد قول بارى *Parry* ، إلى « تدخل الله الفعال ليعين » أو كما قال هورت ، « هو نزول الساكن العلى لعون المستضعفين » . في مزمور ٤٠ : ١١ يهمل المرء ، « تنصرني رحمتك ، وحقق دائماً » . وفي مزمور ٥٧ : ٣ يقول ، « يرسل من السماء ويخلصني . . . يرسل الله رحمته وحقه » . وفي مزمور ٨٦ : ١٤ - ١٦ يفتكر بقوات الأشرار التي اتحدت ضده ، ويعزى

نفسه بهذا التأمل « الله رحيم وروثوف طويل الروح كثير الرحمة والحق » .
أنه حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من
الموت (١ بطرس ١ : ٣) . أما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة
(رومية ١٥ : ٩) التي أنقذتهم من الخطية واليأس . رحمة الله تعني الله
عامل ليخلص . من المحتمل جداً أن بولس أضاف كلمة رحمة إلى كلمتيه
المعتادتين ، نعمة وسلام ، لأن تيموثاوس كان في موقف لا رحمة فيه ،
فأراد بولس بكلمة واحدة أن يخبره بأن الساكن العلى عون لمن لا عون لهم .

خطأ وهرطقة

٣ كَمَا طَلَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَمُكِّثَ فِي أفسُسَ إِذْ
كُنْتُ أَنَا ذَاهِبًا إِلَى مَكِدُونِيَّةَ لِكَيْ تُوصِيَ قَوْمًا أَنْ
لَا يُعَلِّمُوا تَعْلِيمًا آخَرَ ٤ وَلَا يُضْغُوا إِلَى خُرَافَاتٍ
وَأَنسَابٍ لَا حَدَّ لَهَا تُسَبِّبُ مُبَاحَثَاتٍ دُونَ بُنْيَانِ اللَّهِ الَّذِي
فِي الْإِيمَانِ . ٥ وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ
طَاهِرٍ وَضَمِيرٍ صَالِحٍ وَإِيمَانٍ بِلَا رِيَاءٍ . ٦ الْأُمُورُ الَّتِي
إِذْ زَاغَ قَوْمٌ عَنْهَا أَنْحَرَفُوا إِلَى كَلَامٍ بَاطِلٍ ٧ يُرِيدُونَ أَنْ
يَكُونُوا مُعَلِّمِي النَّامُوسِ وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ
وَلَا مَا يُقَرَّرُونَهُ .

(١ تيموثاوس ١ : ٣ - ٧)

واضح أن الرسول يشير في رسائله الرعوية إلى هرطقة معينة عرضت
للكنيسة للخطر . ومن الأفضل في بدء دراستنا لهذه الرسائل أن نفحص هذه
الهرطقة وأن نحاول تبين ما هي . لهذا نبدأ الآن بتجميع الحقائق عنها .

يواجهنا هذا الجزء بالذات باثنتين من خواصها الهامة . كانت الهرطقة
تتعامل مع محرفات وأنساب لانهاية لها . لم تكن هاتان الخاصيتان غريبتين
عن هذه الهرطقة ؛ فقد كانت عميقتي الجذور اصطبح بهما فكر العالم القديم .

أولاً ، كانت هناك الخرافات . إحدى خواص العالم القديم ميل الشعراء بل وحتى المؤرخين إلى تأليف قصص عاطفية وخرافية عن أساس المدن وأصل العائلات . أولعوا بتشيد قصص طويلة وأساطير تابعوا فيها أساس المدينة وأصل العائلة حتى أوصلوها للآلهة . كان يحلو لهم أن يقصوا كيف جاء أحد الآلهة إلى الأرض وأسس المدينة ، أو كيف نزل بعض الآلهة إلى هذا العالم وتزاوجوا من بنات الناس فأنشأوا بذلك فرعاً يمتد أصله إلى السماء . كان العالم القديم مليئاً بقصص كهذه .

ثانياً . كانت هناك أنساب لاحد لها . كان بالعالم القديم لهفة قوية للأنساب . ونستطيع أن نرى ذلك حتى في العهد القديم بأصحاحاته المزدحمة بالأسماء . وفي العهد الجديد بأنساب يسوع التي بدأ بها متى ومرقس إنجيليهما . رجل كالإسكندر الأكبر اصطنعت له شجرة نسب كاملة عادت بأصله إلى آشيل Achilles واندروماك Andromache من جانب ، وإلى برسس Perses وهرقل Hercules من الجانب الآخر . كان هناك شيء ما في الأنساب أثار إعجاب ودهشة العالم القديم . ولهذا كان من السهل جداً على المسيحية في العالم أن تضيع في هذا الفيض من الأساطير الخرافية العاطفية التي لا تنتهى وفي هذه الأنساب المحبوكة المعقدة الخيالية . كانت هناك خطورة كامنة تشوب الوضع كله الذي تطور فيه الفكر المسيحي ونما .

كان ذلك الخطر شديد التهديد على الخصوص من ناحيتين :

تهديد من الناحية اليهودية . بالنسبة لليهود فإن كتب العهد القديم لا يعادها كتاب آخر . أمضى علماءهم العمر كله في دراستها وتفسيرها . في العهد القديم توجد أصحاحات وأقسام عديدة لا تزيد عن كونها قوائم طويلة ، بأسماء وأنساب كثيرة . كانت إحدى مشغوليات علماء اليهود المفضلة تشييد تاريخ

تخيالي حافل لكل اسم في القائمة . ويمكن للشخص أن يستمر في مثل هذا العمل إلى الأبد ؛ وربما كان هذا بعض ما جال بذهن بولس . وكأنه يقول « مع أن واجبكم أن تعملوا وتكافحوا في سبيل الحياة المسيحية لكنكم تسترخون لتخترعوا تواريخ وأنساب خيالية » . قد يكون هذا تحذير لنا نحتاجه دائماً فلا نسمح للمسيحية ولا للفكر المسيحي أن يضيع وقته في مجالات وخیالات لا قيمة لها .

النظريات اليونانية

ولكن هذا الحظر أتى بتهديد أكبر من الجانب اليوناني . في هذه الحقبة من التاريخ بدأ الفكر اليوناني يتطور نحو اتجاه جديد هو ما عرف فيما بعد بالغنوسية Gnosticism نستشف هذا على الخصوص في خلفية الرسائل الرعوية ، في الرسالة إلى أهل كورنثوس وفي الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا) .

كانت الغنوسية تصوراً عقلياً محضاً . بدأت بمسألة أصل الشر ، والخطية والعذاب . من أين أتت هذه الأشياء ؟ لو كان الله كامل الصلاح ، لا يعقل أن يكون قد خلق هذه الشرور . إذاً كيف دخلت إلى العالم ؟ والجواب الغنوسي هو أنه في البدء لم تخلق الخليقة من لا شيء ؛ فقبل أن يبدأ الزمان كانت المادة . وكانوا مؤمنين أن هذه المادة بالضرورة خاطئة ، إنها غير كاملة ، وأنها شيء شرير . بهذا أمكنهم تعليل الخطية والعذاب وعدم الكمال في العالم . ولكن سرعان ما أوصلهم هذا التعليل إلى مشكلة أخرى . إذا كانت المادة بالضرورة شريرة والله بالضرورة صالح ، إذاً لا يمكن لله بذاته أن يلمس أو يمسك ويشكل ويكون أشياء من هذه المادة . لهذا بدأوا مجموعة أخرى من النظريات . قالوا إن الله بعث انبثاق ، وأن هذا الانبثاق بعث

انبثاقاً آخر ، وأن ثالث انبثاق بعث انبثاقاً رابعاً وهكذا دواليك حتى 'أى' انبثاق على بعد كاف من الله يستطيع إزاءه أن يلمس ويمسك المادة . وأن هذا الانبثاق ، لا الله ، هو الذى خلق العالم . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ذهبت تصوراتهم إلى أبعد من ذلك . تمسكوا بالرأى بأن كل انبثاق تال فى سلسلة الانبثاقات كان علمه عن الله أقل فأقل ؛ حتى وصلت مرحلة جهلت فيها الانبثاقات كل شئ عن الله ؛ ليس هذا فقط بل أنه فى المرحلة الأخيرة فى السلسلة لم تكن الانبثاقات جاهلة فقط بالله بل فعالة فى معاداته . أى أنهم وصلوا فى التفكير أن الإله الذى خلق العالم كان جاهلاً فعلياً ومعادياً تماماً للإله الواحد الحقيقى . ثم ذهبت أفكارهم إلى حدود أبعد ، فطابقوا بين إله العهد القديم وهذا الإله الجاهل المعادى ، خالق العالم ، وبين إله العهد الجديد مع الإله الواحد الحقيقى . ثم زودوا كل واحد من الانبثاقات بتاريخ حياة كامل . وهكذا شيدوا علماً ضخماً لأساطير الآلهة والانبثاقات ، كل له قصة وتاريخ حياته وأنسابه . ولا شك أن العالم القديم قد تأثر بهذا النوع من التفكير ، حتى أن الكنيسة نفسها لم تسلم منه . عندما دخل هذا التفكير الكنيسة جعل من يسوع أعظم الانبثاقات ، أى أكثرها قرباً من الله . وضعت كأعلى وصلة فى السلسلة التى لا تنتهى بين الله والإنسان . وبهذا لم يعد ليسوع هذا الوضع الفريد ، ولكن مجرد وصلة فى سلسلة .

إن هذا التفكير الغنوسى قد تميز بخواص معينة ، وأن هذه الخواص قد وضحت خلال كل الرسائل الرعوية كخواص المهرطقين الذين هددت هرطقاتهم الكنيسة وطهارة الإيمان .

١ — كانت الغنوسية واضحة فى ارتكازها بشدة على التصورات العقلية ، وبسبب هذا ، كانت تتميز بخطرسة ثقافية بالغة . كانت تعتقد أن كل هذه

السطحات الثقافية أكبر جداً من استيعاب ذهن الشخص العادي البسيط ، وأن هذا النوع من التعليم لا يصلح إلا لفئة أرستقراطية ثقافية ، أقلية مختارة ، أرقى ممن في الكنيسة . لهذا حذر تيموثاوس ضد « الكلام الباطل للدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم » (١ تيموثاوس ٦ : ٢٠) . وحذر أيضاً ضد دين مبني على مباحثات خرافية بدلا من الإيمان المتواضع (١ تيموثاوس ١ : ٤) . وحذر ضد الشخص المتعجرف بثقافته ، وهو في الحقيقة لا يفهم شيئاً ، ولكنه مولع بالمباحثات ومماحكات الكلام (١ تيموثاوس ٦ : ٤) . ويقال له أن يجتنب . « الأقوال الباطلة الدنسة » لأنها لا تثمر إلا الفجور (٢ تيموثاوس ٢ : ١٦) . وأن يجتنب « المباحثات الغبية والسخيفة » التي لا تولد في النهاية غير الخصام (٢ تيموثاوس ٢ : ٢٣) . وأخيراً ، تتجه الرسائل الرعوية لأن تؤكد هذه الحقيقة ، أن فكرة أرستقراطية مثقفة ، زبدة مختارة ، فكرة خاطئة تماماً ، لأن محبة الله محبة شاملة . الله يريد جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تيموثاوس ٢ : ٤) الله مخلص جميع الناس ، ولا سيما المؤمنين (١ تيموثاوس ٤ : ١٠) . ليس للكنيسة المسيحية ارتباط بأي نوع من الإيمان المؤسس على الخيالات الثقافية ، وهي التي تسبب في خلق أرستقراطية متعطرة متعجرفة داخل الكنيسة .

٢ - كانت هذه الغنوسية مشغولة بهذه المجموعة الطويلة من الانبثاقات . وقد أضافت لكل منهم تاريخ حياة وشجرة أنساب ، وأفردت لكل منهم مكان ومرحلة في الطريق إلى الله ، وأهمية معينة في السلسلة الممتدة بين الله والناس .

كان الغنوسيون مشغولون « بأنساب لا حد لها » (١ تيموثاوس ١ : ٤) . قبلوا على أنفسهم ترويع « الخرافات الدنسة العجائزية » (١ تيموثاوس

٤ : ٧) . يصرفون مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات (٢ تيموثاوس ٤ : ٤) . تعاملوا بخرافات كالخرافات اليهودية (تيطس ١ : ١٤) . وأسوأ الكل ، اتجه تفكيرهم إلى وجود إلهين ، واعتبروا يسوع واحد في مجموعة كاملة من الوسطاء بين الله والناس ؛ بينما في الحقيقة « مع أنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح » (١ تيموثاوس ٢ : ٥) . يوجد ملك واحد فقط ، ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده (١ تيموثاوس ١ : ١٧) . إذا أزلنا عن الله ويسوع المسيح مكانتهما الفريدة ، فلا وجود للديانة المسيحية .

أخلاقيات الهرطقة

لم تكن الخطورة الغنوسية ثقافية فقط . بل كانت لها نتائج أخلاقية وسلوكية خطيرة للغاية . لا بد أن نتذكر أن عقيدتها الأساسية هي أن المادة بالضرورة ناقصة شريرة ، وأن الروح وحده هو الصالح . وفي تطبيق هذا المبدأ على المعتقدات الأخلاقية والسلوك نخرج بنتيجتين متعارضتين .

١ - بما أن المادة شريرة ، إذاً الجسد شرير ؛ ويجب أن يخضع ويحتقر ونحط كرامته . وكان أن اتخذت هذه الغنوسية تقشفاً صارماً اعتبرت فيه الجسد شراً بالغا . منعت الناس من الزواج ، لأنه يجب كبت غرائز الجسد كلية . وضعت قوانين صارمة للأطعمة ، لأن احتياجات الجسد يجب أن تستأصل بقدر الإمكان . لهذا نجد الرعويات تتكلم عن يمينون الزواج وينهون عن أطعمة معينة (١ تيموثاوس ٤ : ٣) . والرد على هؤلاء الناس هو أن كل خليقة الله جيدة ، ولا يرفض شيء إذا أخذ بالشكر (١ تيموثاوس ٤ : ٤) :

اعتبر الغنوسى أن الخليقة رديئة ، خالقها إله شرير . أما المسيحى ف يرى فى الخليقة عملاً نبيلاً ، صنع يدى وعطية إله صالح . اعتقد الغنوسى أن إلهاً شريراً صنع كل شئ سيئاً ؛ ويؤمن المسيحى أن إلهاً صالحاً صنع كل شئ جيداً . المسيحى يعيش فى عالم فيه كل الأشياء طاهرة ؛ والغنوسى يحيا فى عالم كل ما فيه قد تلتبس . (تيطس ١ : ١٤) .

٢ - ولكن أمكن لهذه الغنوسية أن تخرج بمعتقد أخلاقى متعارض تماماً مع التطبيق السابق : بما أن الجسد شرير ، لا يهم ماذا يفعل الإنسان به . الجسد ليس بذات أهمية ؛ كل ما يهم هو الروح . إذاً ليشبع كل إنسان شهوته ، وبشراهة ؛ فليست هذه الأشياء بذات قيمة ؛ لهذا يستطيع الشخص أن يطلق لشهواته العنان فلن يغير هذا شيئاً . من أجل ذلك تتكلم الرعويات عن هؤلاء الذين يسبون نسوة غيبات حتى يحملن بالخطية ويصبحن ضحايا لكل أنواع الشهوة (٢ تيموثاوس ٣ : ٦) . هؤلاء الناس يعلنون معرفتهم بالله ، ولكنهم يعيشون حياة كريهة مقبلة رجسة (تيطس ١ : ١٦) . اعتقد هؤلاء الغنوسيون أنه طالما أن الجسد لا أهمية له إطلاقاً وهو كلى الشر ، لا يهم ماذا يفعل به إنسان ؛ لهذا أطلقوا العنان لشهواتهم ، وعواطفهم وأدنى رغباتهم . واستغلوا معتقداتهم الدينية ليوغلوا فى فساد كامل .

٣ - تمخضت هذه الغنوسية عن نتيجة ثالثة . آمن المسيحى بقيامة الجسد . هذا لا يعنى أن المسيحى قد اعتقد إطلاقاً بقيامة هذا الجسد البشرى الفانى ، ولكن إيمانه أنه بعد القيامة من الأموات سيعطى الله للإنسان جسداً روحياً . يبحث بولس هذا السؤال فى ١ كورنثوس ١٥ . ولكن الغنوسى تمسك بعدم وجود قيامة للجسد (٢ تيموثاوس ٢ : ١٨) . اعتقادهم أنه بعد الموت يصير الإنسان روحاً بلا جسد . والفرق الرئيسى هنا هو إيمان الغنوسى

بهلاك الجسد ، بينما يؤمن المسيحي بفداء الجسد . آمن الغنوصي بما دعاه
بمخلص النفس ؛ ويؤمن المسيحي بالمخلص الكل .

إذا خلف الرسائل الرعوية تصادف هذه المهرطقات الخطيرة ، هؤلاء
الناس الذين أسلموا حياتهم لخيبات ثقافية ؛ هؤلاء الناس الذين رأوا العالم
عالمًا شريرًا وإلهه الخالق إلهًا شريرًا ؛ هؤلاء الناس الذين فصلوا بين العالم
والناس وبين الله بسلسلة لا تنهى من الانبثاقات وآلهة أقل مقاماً ، هؤلاء
الذين أمضوا زمانهم يزودون كل منها بالأساطير والأنساب دون حدود ؛
هؤلاء الناس الذين استصغروا من شأن يسوع المسيح فوضعوه في مقام وصلة
في سلسلة وأزالوا عنه شخصيته الفريدة ، هؤلاء الناس الذين عاشوا حياتهم
إما في نقشف صارم أو في إباحية بلا حدود ؛ هؤلاء الناس الذين أنكروا
قيامه الجسد . كانت هذه هي المعتقدات المهرطقة الخطيرة ، التي كتبت
الرعويات لتلحظها وتقاتلها .

عقلية المهرطق

في هذا الجزء صورة واضحة لعقلية المهرطق الخطير . هناك نوع من
المهرطقة يختلف فيه شخص مع إيمان قويم صادق نتيجة لبحثه بأمانة فيما
يتضمنه هذا الإيمان وعدم استطاعته الموافقة عليه . هذا الشخص لا يسعى
نحو إرضاء كبريائه في كونه مخالفاً ، أو يخالف لكي يعرف ، بل هو ببساطة ،
لا يستطيع أن يفعل غير هذا . هذا النوع من المهرطقة لا يؤثر في أخلاق
الشخص ؛ بل ربما جعلت منه فعلاً شخصية محبوبة ، فرفضه حياة تسير
حسب معتقدات منقولة جاء نتيجة بحث جدي أمين فيما يؤمن به . ولكن هذه

ليست الصورة المرسومة هنا للمهرطق . وفيما يلي خمس خواص مميزة للمهرطق الخطير .

١ - هو مدفوع برغبة البحث عن الجديد أو المستحدث . شأنه في ذلك شأن من يتبع آخر موضة ويسير حسب آخر صيحاتها . يحتقر القديم من الأشياء لا لسبب غير قدمها ، ويرغب في الأشياء الجديدة لا لفضل سوى كونها جديدة . كان أمام المسيحية مشكلة دائمة تستوجب الحل . مشكلة تقديم الحق القديم في ثوب جديد . الحق نفسه لا يتغير ، بل طريقة تقديمه . ما أصدق القول إن كل جيل يجب أن يكتشف طريقته الخاصة في تقديم الحق المسيحي . على كل معلم ومبشر أن يخاطب الجمهور بلغة مفهومة . ولكن الحق المعروض يظل كما هو . العرض الجديد والحق القديم يسيران معاً دائماً .

٢ - المهرطق يرفع من قيمة العقل على حساب القلب . فكرته عن الدين نظرية غير اختبارية . لم تطلب المسيحية أبداً أن يتوقف أى شخص عن التفكير لنفسه ، ولكن المسيحية أوصت أن تفكير شخص يجب أن ينبعث من اختبار شخصي مع يسوع المسيح .

٣ - يهتم بالمناقشات بدلا من العمل . فهو يهتم أكثر بالمباحثات الصعبة الغير واضحة بدلا من الإدارة الحاسمة لبيت الإيمان . ينسى أن الحق لا يقبله الشخص فقط بعقله ، بل يترجمه أيضاً إلى عمل في حياته . منذ أمد طويل تم تعريف الفرق بين اليوناني واليهودي . أحب اليوناني المناقشة لجرد المناقشة ، لم يكن لديه أفضل من الانغماس مع أصدقائه في تبادل الفواير الذهنية ، والاستمتاع باثارة هذا المشوار العقلي الطويل . ولكنه لم يكن يتوق للتوصل

إلى نتيجة ، أو استحداث مبدأ للعمل . لم يحب في المناقشة أكثر من كونها مناقشة ، وأحب المحادثات لمجرد كونها محادثات . أحب اليهودي أيضاً المناقشة ؛ ولكنه رغب في أن يصل بكل مناقشة وبكل محادثة إلى نتيجة ما ؛ كان يتوق أن تنتهي إلى قرار يتطلب عملاً . هناك دائماً خطر الهرطقة إذا أولعنا بالكلام وأهملنا الأعمال ، لأن الأعمال هي المحك الحقيقي لاختبار كل مناقشة .

٤ — هو مدفوع مغرور وليس فيه تواضع . رغبته أن يعلم لا أن يتعلم . يعامل بسطاء العقول بشئ من الاحتقار ، لأنهم عاجزون عن متابعة شطحاته الخيالية . فهو يعتبر هؤلاء الذين لا يصلون إلى نفس استنتاجاته جهلة أغبياء . أما المسيحي فعليه أن يجمع بين يقين لا يتبدل وتواضع رقيق ؛ وعلى المسيحي أن يكون مستعداً أن يتعلم حتى نهاية يومه .

٥ — جامد عن غير فهم . فهو في الحقيقة لا يعلم بماذا يتكلم ، ولا يفهم قيمة الأشياء التي يجزم بها . أغرب شئ عن المناقشة الدينية أن أى شخص وكل شخص يعتقد أن له الحق أن يعبر عن رأى جامد لا يناقش . في كل فروع المعرفة الأخرى نشترط فيمن يضع القانون أن يكون حائزاً على نوع معين من المعرفة . ولكن أولئك الذين يجزمون بما في الكتاب المقدس وتعاليمه رغم عدم محاولتهم إطلاقاً معرفة ما قاله المختصون والباحثون في اللغة والتاريخ . من المحتمل جداً أن القضية المسيحية قد عانت من جهل الجمود أكثر من أى شئ آخر .

عندما نتأمل خواص هؤلاء الذين أثاروا متاعب كنيسة أفسس نجد أن أحفادهم ما زالوا معنا .

عقلية الفكر المسيحي

مثلاً رسم هذا الجزء صورة الفكر الذي عكس صفو الكنيسة ، كذلك
يرسم صورة الفكر المسيحي الحقيقي . وهو أيضاً يتميز بخواص خمس :

١ - تفكيره مبني على إيمان . الإدارة الفعالة لبيت الله يجب أن تؤسس
على إيمان . يعنى الإيمان ببساطة أخذ الله عند كلمته ؛ يعنى الإيمان ببساطة
تصديق أن الله هو الذى أعلنه لنا يسوع المسيح . أى أن الفكر المسيحي
يبدأ من المبدأ الأول وهو أن يسوع المسيح قال الكلمة الأخيرة عن الله وأعطى
الرؤيا الكاملة عنه . الفكر المسيحي يفكر دائماً فى إطار يسوع المسيح .

٢ - يدفع تفكيره ويغلب عليه المحبة . كل تخطيط بولس أن يخلق محبة
تفكيرنا بمحبة ينجينا من أشياء معينة . ينجينا من التفكير بكبرياء . ينجينا من
التفكير باحتقار . ينجينا إدانة ما لا نوافق عليه أو ما لا نفهمه . ينجينا من
عرض مناقشاتنا ووجهات نظرنا بطريقة تجرح الآخرين . المحبة تحفظنا من
التفكير الهدام . والكلام الهدام . التفكير بمحبة هو دائماً تفكير برأفة .
والشخص الذى يناقش بمحبة يناقش ليكسب معارضة لا ليهزمه .

٣ - تفكيره ينبعث من قلب طاهر . الكلمة المستعملة هنا ذات أهمية
خاصة . فى الأصل تعنى ببساطة التنظيف (عكس القدر) . ولكن تطورت
بعد ذلك لتفيد معانى معينة . استعملت لتصف الذرة التى غربلت ونقيت من
كل القشر . استعملت لتصف جيشاً تم غربلته وتطهيره من كل العناصر
الجبانة الغير منظمة بحيث لا يتبقى غير محاربين من الطراز الأول . استعملت
عن شئ لم يختلط به ما يحط من قيمته . إذا ، قلب طاهر تعنى قلباً دوافعه

مطلقة الطهارة لم تخالطها أية شائبة . في قلب المفكر المسيحي لا يوجد أدنى تفكير في عرض الذات ، أو رغبة في استعراض ذكائه ، أو شوق لإحراز انتصار في معركة كلامية بحتة ، أو ميل لإظهار جهل غريمه ، أو رغبة في الفوز على الشخص الذي يتحادث معه عن الإيمان . رغبته الوحيدة أن يساعد وينير ويقود أكثر قرباً إلى الله . المفكر المسيحي ناكر لذاته في تكرسه للحق وفي رغبته للكون . ولا يدفعه إلا محبة الحق ومحبة الناس .

٤ - تفكيره ينبعث من ضمير صالح . الكلمة اليونانية للضمير ومعناها الحرفي معرفة بشئ . والمعنى الحقيقي للضمير هو معرفة بنفسك . إن الإنسان الذي يملك ضميراً صالحاً هو الذي يكون قادراً أن ينظر إلى ما يعرفه هو وحده في الوجه مباشرة ولا يجد فيه ما يعيبه . قال أمرسون عن سنيكا إنه تفوه بأعذب الأشياء لكن هل كان له الحق أن يقول هذه الأشياء . المفكر المسيحي هو ذلك الشخص الذي تعطيه أفكار قلبه ، وأعمال حياته ، الحق في أن يقول ما يقول - وهذا هو أكثر الاختبارات حدة ومرارة .

٥ - المفكر المسيحي هو من كان إيمانه بلا رياء . والجملة تعني حرفياً الإيمان الذي لا غش فيه أو نفاق . وهذا يعني ببساطة أن ميزة المفكر المسيحي الكبرى الصدق والأمانة . هو صادق في رغبته أن يجد الحق ؛ وهو صادق في رغبته أنه ينقل هذا الحق إلى آخرين . وكلتا العمليتان . تفكيره ، ودوافعه للتعليم يجب أن تتعرض لفحص الله المدقق .

هؤلاء الذين لا يحتاجون لناموس

٨ وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ صَالِحٌ إِنْ كَانَ أَحَدٌ
يَسْتَعْمِلُهُ نَامُوسِيًّا ٩ عَالِمًا هَذَا أَنَّ النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ
لِلْبَارِّ بَلْ لِلْأَثَمَةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ لِلْفُجَارِ وَالْخُطَاةِ لِلدُّنْسِينَ
وَالْمُسْتَبِاحِينَ لِقَاتِلِي الْآبَاءِ وَقَاتِلِي الْأُمَمَاتِ لِقَاتِلِي
النَّاسِ ١٠ لِلزُّنَاةِ لِمُضَايَعِي الذُّكُورِ لِسَارِقِي النَّاسِ
لِلْكَذَّابِينَ لِلْحَانِثِينَ وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ التَّعْلِيمَ
الصَّحِيحَ ١١ حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ اللَّهِ الْمُبَارَكِ الَّذِي
أَوْثَمِنْتُ أَنَا عَلَيْهِ .

(١ تيموثاوس ١ : ٨ - ١١)

يبدأ هذا الجزء بفكرة كانت مفضلة في العالم القديم . وظيفة الناموس .
محاسبة فاعلي الشر . لا يحتاج البار لناموس يضبط أفعاله أو يهدده بالعقاب .
وفي عالم من الأبرار لا توجد حاجة لأي ناموس على الإطلاق .

أصاب انتيفانس اليوناني عين الحق إذ قال : « من لم يرتكب خطأ
لا يحتاج لقانون » . وقال أرسطو : « تمكن الفلسفة الإنسان أن يعمل بدون
ضابط خارجي ما لا يستطيع غيره أن يفعله إلا مخافة من القوانين » . وكتب
أمبروز ، الأسقف المسيحي العظيم ، فقال : « للعادل مقياس ومرجع هما
قانون عقله ، وعدم تحيزه ، وعدالته ؛ لهذا يكون رجوعه عن الخطأ لا مخافة

من العقاب بل طوعاً لحكم الشرف » . إتفقت الوثنية والمسيحية أن مصدر
الصلاح الحقيقي هو قلب الإنسان ؛ وأن ذلك أمر مستقل عن أى مكافأة أو
عقاب قانونى .

ولكن اختلفت المسيحية عن الوثنية فى شئ واحد . كان تطلع الوثنى إلى
عصر ذهبي قديم انعدمت فيه الحاجة للقانون وحسنت فيه كل الأمور .
وكانت لهفة قلوبهم المشتاقة ترنو بحسرة إلى تلك الأيام الطيبة الماضية . وقد
رسم الشاعر الرومانى أوفيد صورة بالغة الروعة لهذا الماضى الذهبى (ميثامور
فوسيس ١ : ٩٠ - ١١٢) « ما أروع هذا الجيل الأول ، حفظ الإيمان
وفعل الصواب ، لم يفرض عايه أحد ذلك ، ولم يدفعه قانون ما ، بل كان
عملاً حراً بارادته هو . لم يكن هناك خوف من عقاب ، أو كلمات الوعيد
تقرأ من ألواح نحاسية ، لم تتجمع الجماهير لترتجى فى خوف وجه القاضى ،
فقد عاش الناس فى أمان دون حاجة للقاضى . لم تكن شجرة الصنوبر قد
اقتلعت بعد من موطنها الجبلى ، حيث نزلت إلى السهل المرتوى وتشعبت إلى
أراض كثيرة ، كما لم يعرف الناس شواطئاً خلاف ما يخصهم . لم تكن
الخنادق العميقة قد أحاطت بعد بالمدن ، كما أن النفير أو البوق النحاسى أو
السيوف أو الخوذات لم تكن قد ظهرت بعد . لأنه باستتباب الأمن وتوقف
الحروب انعدمت الحاجة للجيوش المسلحة وأمضت الدول السنين فى سلم
جميل » . كانت تلك هى الأيام الذهبية التى اختفى فيها الشر والخوف من
الناس . رسم المؤرخ الرومانى تاسيتس نفس الصورة « فى الأزمنة الأولى ، لم
تكن العواطف الشريرة قد غلبت الناس بعد ، فعاشوا حياة بلا لوم أو ذنب
حياة لم تستوجب عقاباً أو قيوداً . إنقادوا لطبيعتهم فى اتباع كل ما هو فاضل ،
والتمسك بكل ما هو صواب دون المطالبة بمكافأة ما ، لهذا لم يتعرض أحد

لإيلام أو لعقوبة » . تلفت العالم القديم إلى الماضي يتلهف على أيام مضت دون رجعة . ولكن المسيحية تتميز بالنظر إلى الأمام لا إلى الخلف . لا يتلفت الإيمان المسيحي إلى الوراء متحسراً على عصر ذهبي قد ولى ؛ بل يثبت نظرتة إلى الأمام إلى اليوم الذي تصبح فيه محبة المسيح في قلب الإنسان قانون العالم الأوحده ، لأن المسيحية تؤمن أن عهد الناموس لن ينتهى قبل أن يبرز فجر المحبة .

يجب أن يكون هناك عامل واحد فقط متحكم في حياة كل واحد فينا . يجب أن ينبعث صلاحنا ، لا من مخافة الناموس ، ولا حتى من مخافة الدينونة ، ولكن حرصاً على أن لا نخيب محبة المسيح أو نحزن قلب الله الآب . قوة المسيحي الفعالة لحياة صالحة تركز على هذه الحقيقة ، أن الخطية لا تكسر ناموس الله فقط بل قلبه أيضاً . إن محبة الله ، لا ناموسه ، هي التي تقيدنا وتحدد أفعالنا .

هؤلاء الذين يدينهم الناموس

في الدولة المثالية ، عندما يأتي ملكوت الله ، لن تكون هناك ضرورة لأي قانون بخلاف محبة الله والخير في قلب الإنسان ؛ ولكن والأحوال كما هي الآن فالأمر مختلف تماماً . هنا يضع أمامنا بولس قائمة مصنفة للخطايا التي يجب أن يرقبها القانون ويدينها . كانت هذه القائمة من الخطايا والشرور تصف في الحقيقة العالم الذي عاش فيه المسيحيون الأوائل وتحركوا وعملوا لم يسبق لنا مشاهدة هذه الصورة الواضحة للكنيسة المسيحية ، وكأنها جزيرة صغيرة طاهرة في وسط بحر فاسد موبوء . نتكلم أحياناً عن صعوبة المحافظة

على مسيحيتنا في وسط مدينة عصرية ؛ يكفيننا أن نقرأ وصفاً كهذا لنرى كيف كان الأمر شاقاً بما لا يقاس بالنسبة للظروف التي أحاطت بنشأة الكنيسة . دعونا نبحث بنود هذه القائمة المربعة .

كان هناك الأئمة . وهم أولئك الذين يعرفون قوانين الخطأ والصواب ، ومع ذلك يكسرونها عمداً وبسبق لإصرار . لا يستطيع أحد أن يلوم شخصاً على كسر قانون لا يعرف عنه شيئاً ؛ ولكن الآثم يعلم جيداً القانون ويكسره متعمداً ليرضى طموحه ورغباته .

كان هناك المتمردون • وهم من لا نظام لهم ولا يخضعون لأحد . هم من يرفضون تقبل أو إطاعة أى سلطة . مثلهم في ذلك كالجناد الذين يثورون عاصين للأوامر . متمردين على كل الرتب . هم إما متكبر أو جامع حتى أنه لا يقبل أى ضبط أو ربط .

وكان هناك الفجار . وهذه الكلمة في اليونانية كلمة رهيبية . فهي لا تصف فقط الاستخفاف ، أو الانزلاق والسقوط في الخطية . بل تصف العمل الإيجابي الفعال ضد الدين ، تصف الروح التي تتحدى وتتهمد حرمان الله من حقه . تصف الطبيعة الإنسانية في معركة ضد الله . فالفاجر هو ذلك الإنسان الذي يسلك سبيله متحدياً الله أن يفعل أسوأ ما يستطيع .

هناك الخطاة . يمكن استعمال هذه الكلمة في وصف عبد منحل الأخلاق . فالكلمة تصف الشخص الذي فقد كل مقومات الخلق .

هناك الدنسون . anostoi . الكلمة اليونانية hosios كلمة نبيلة ؛ فهي تصف ، على حد قول ترنش ، « شرائع الحق الأبدية » ، التي لم تشملها قوانين الناس الوضعية أو عقائدهم ، لأنها تسبق كل القوانين .

والعادات . . الأشياء التي يطلق عليها hosios تكون جزءاً من مكونات الكون ذاته ، تكون مقدساته الأبدية . وعلى سبيل المثال ، استقبح اليوناني العادة المصرية القديمة زواج الأخ من اخته ، أو العادة الفارسية زواج الابن من أمه ، فأطلق عليها anosion ، أى دنس ، غير مقدس . الشخص الذي يدعى دنس أسوأ ممن يكسر القانون . لأنه الشخص الذي يجترئ على المقدسات السامية ولا يرفعى حرمة لقيم الحياة النبيلة .

هناك المسيحيون وهي كلمة قبيحة لها تاريخ غريب . ففي الأصل كانت تعنى ببساطة الشيء الذي يمكن أن يوطأ بالأقدام ، على النقيض من الشيء المقدس لبعض الآلهة ، فانه لا يمس . ثم تطورت الكلمة فأصبحت تعنى نجس المضادة للمقدس . ثم تطورت لتعنى الشخص الذي ينجس الأشياء المقدسة ، الشخص الذي يدنس يوم الرب ، ولا يطيع شرائعه ، ويحقر من شأن عبادته ، ويلطخ الحياة التي أعطاها له الرب بالأوحال . من يدعى مستببح ينجس كل شيء يلმسه .

هناك قتل الآباء والأمهات . نص القانون الروماني على أن الابن الذي يضرب والديه مستحق للموت . والكلمات تعنى الابن (أو الابنة) الذي فقد كل إحساس بالجميل أو بالاحترام أو بالاحجل . ويجب أن يذكر دائماً أن هذه الضربة البالغة القسوة ليست فقط ضربة تحقيق بالجسد ، بل تجرح القلب .

هناك أيضاً القتل وتعنى حرفياً قتل الناس . لا بد أن بولس كان يفكر في الوصايا العشر وكيف تميز العالم الوثني بنقض وصية بعد الأخرى منها . عندما نقرأ هذا يجب أن لا يتوارد إلى أذهاننا أنه لا شأن لنا بهذه الخطية على الأقل ، لأن يسوع مد مضمون هذه الوصية لتشمل ، بجانب عملية القتل ، كل إحساس بالغضب ينطوى عليه قلب الإنسان نحو أخيه .

هناك الزناة ومضاجعي الذكور . من الصعب علينا أن نشير إلى حالة العالم القديم في أمور الجنس وأخلاقيات الجنس . لقد كانت ملطخة بشر غير طبيعي . وأعجب الأشياء هو الارتباط الحقيقي بين الفسق والدين . كان معبد أفروديت بكورنثوس يضم ألفاً من الكاهنات المكرسات للدعارة المقدسة ، فكان ينزلن كل مساء إلى شوارع المدينة لممارسة تجارتهن . ويقال إن سولون كان أول قانوني في أثينا يسمح رسمياً بممارسة الدعارة ، ويقال أيضاً إنه أنشأ بيوت عامة للدعارة في أثينا ، وأنه من الأرباح العائدة من هذه البيوت أنشأ معبداً جديداً لأفروديت ، آلهة الحب . جاء في تعليق براون المرسل بالهند ، على الرسائل الرعوية (فيما يختص بهذا الجزء) أن العجيب في قانون العقوبات الهندي الذي نص على تحريم المناظر الفاضحة أنه استثنى عرض التماثيل والحفريات والصور الفاضحة في المعابد ، أو نقل هذه التماثيل في السيارات التي تستخدم في الأغراض الدينية . من الأشياء الغريبة أن الفسق والقباحة انتعشت مرات كثيرة تحت ستار الدين في جميع هذه الأديان الغير مسيحية . حقاً أن العفة هي الفضيلة الكاملة الجديدة التي أدخلتها المسيحية إلى العالم . علينا إذاً أن نفكر فيما كانت عليه مهمة المسيحي في الأيام الأولى عندما كان يحاول جاهداً تطبيق الأخلاق المسيحية في حياته في وسط عالم كهذا .

هناك سارقو الناس . تعنى الكلمة تجار العبيد أو خاطفو العبيد . وربما شملت الكلمة المعنيين معاً . حقيقة كان الرق جزءاً متكاملًا من حياة العالم القديم . ومن الحقيقي أيضاً أن أرسطو أعلن أن المدينة تقوم على الرق ، وأن طبقة معينة من الرجال والنساء قد خلقت لقطع الأخشاب وسحب الماء ، وأنها تعيش لتؤدي المهام الدنيئة في الحياة لأجل راحة الطبقات المثقفة . ولكن حتى

في هذا العالم القديم ارتفعت أصوات ضد الرق . فتكلم أفلاطون عن تجار الرقيق أنهم هؤلاء الذين يسلبون الناس أعز وأغلى مقتنياتهم ، حرياتهم « . ربما كان هذا الوصف أكثر انطباقاً على خاطفي العبيد . كان العبيد سلعة غالية . عبد عادي بدون مواهب أو مهارة خاصة كان يساوي ١٦ إلى ٢٠ دولار . عبد متمرن تمريناً خاصاً كان يتقن بعض الصناعات اليدوية كان يساوي ثلاثة إلى أربعة أمثال هذه القيمة . الشباب الحسن الطلعة كان مطلوباً بشدة للعمل كمخدّام خصوصيين أو سقاة للخمر ، وكان يساوي بين ٨٠٠ ، ٩٠٠ دولار . ويقال إن ماركورس أنطونيوس دفع ٢٠٠٠ دولار ثمناً لشابين متناسقين كان يظن خطأ أنهما توأمين . في الأيام التي شغفت فيها روما على الخصوص بتعلم فنون اليونان ، غلا سعر العبيد المثقفين في الأدب والموسيقى والفن اليوناني ، يوجد سجل يثبت أن عبداً معيناً بيع بـ ٣٥٠٠ دولار . نتيجة لكل هذا زاد إغراء خطف العبيد ذوي القيمة . أصبحت ظاهرة عادية في الحياة لتقدم أن يخطف العبد الجميل أو من يوسم فيه صفات خاصة .

وأخيراً هناك الكذابون والخائثون ، هؤلاء هم من لا يتورعون عن الكذب ، وتمويه الحق للحصول على أغراض غير شريفة .

هذه هي صورة حية للجو الذي عاشت ونمت فيه الكنيسة الأولى ، وقد قصد كاتب الرعويات برسائله أن يحذر ويحرض المسيحيين في عهده ضد هذا الويلاء .

الكلمة المطهرة

نخبرنا هذا الجزء عن ثلاث مميزات للرسالة المسيحية التي جاءت إلى العالم .

١ - إنها تعلم صحيح : الأصل اليوناني لكلمة صحيح وتعني حرفياً واهب -
الله . خاصية المسيحية العظيمة أنها دين أخلاقى . لا تتطلب من الإنسان
لحرص فقط على طقوس دينية معينة ، بل أن يعيش الحياة الفاضلة . يجب أن
تذكر دائماً أن المسيحية لا تعني التمسك بتقليد ما ، حتى لو اشتمل هذا التقليد
على دراسة الكتاب والذهاب إلى الكنيسة ، إنما تعني الحياة الفاضلة . إذا
كانت المسيحية حقيقية لا ادعاء فيها تطهرت بها الحياة والأخلاق لأنها واهبة
للصحة الخلقية .

٢ - إنها إنجيل ممجّد أو بالأحرى الأخبار الحسنة المحيدة . إنها أخبار
حسنة عن مغفرة خطايا الماضي ، وعن قوة جديدة لغلبة الخطية في المستقبل .
إنها أخبار حسنة عن رحمة الله ، عن تطهير الله وعن نعمة الله .

٣ - إنها أخبار حسنة تلك التي تأتي من الله . الإنجيل المسيحي ليس
اكتشاف إنسان ، بل هو الأخبار الحسنة التي كشف عنها الله . الإنجيل ليس
من عمل الإنسان أو اكتشافه ، بل هو هبة من الله وعطية من عنده . الإنجيل
يتكفل لا بعون الإنسان فقط ، بل بمنحه قوة الله .

٤ - هذه الأخبار الحسنة تأتي بواسطة الناس . كانت أخبار حسنة تلك
التي أوّتمن عليها بولس لتوصيلها للآخرين . الله يعرض عطيته والله يحتاج لمن
يتولون نقلها . والمسيحي الحقيقي هو من أغلق على نفسه باب العالم وقبل عطية
الله ، والذي تحقق أنه لا يستطيع أن يحتفظ بالأخبار الحسنة لنفسه ، فآلى أن
يذيعها وينقلها ويشارك فيها الآخرين الذين لم يجدوها بعد .

تخلص ليخدم

١٢ وَأَنَا أَشْكُرُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ رَبَّنَا الَّذِي قَوَّانِي إِنَّهُ
حَسَبَنِي أَمِينًا إِذْ جَعَلَنِي لِلْخِدْمَةِ ١٣ أَنَا الَّذِي كُنْتُ
قَبْلًا مُجَدِّفًا وَمُضْطَهَدًا وَمُفْتَرِيًا . وَلَكِنِّي رُحِمْتُ لِأَنِّي
فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيْمَانٍ ١٤ وَتَفَاضَلَتْ نِعْمَةُ رَبَّنَا جِدًّا
مَعَ الْإِيْمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. ١٥ صَادِقَةٌ هِيَ
الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى
الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا. ١٦ لَكِنِّي
لِهَذَا رُحِمْتُ لِيُظْهَرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا أَوَّلًا كُلُّ أَنَاةٍ
مِثَالًا لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. ١٧ وَمَلِكُ
الدُّهُورِ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا يُرَى إِلَهُ الْحَكِيمُ وَخَدُّهُ لَهُ
الْكِرَامَةُ وَالْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ . آمِينَ .

(١ تيموثاوس ١٢: ١ - ١٧)

هذا الجزء يبدأ بأغنية رائعة للشكر ، رغب بولس أن يشكر يسوع
المسيح على أربعة أمور جبارة .

١ - يشكره لأنه اختاره . لم يخطر ببال بولس قط أنه هو الذي اختار

المسيح ، لكن المسيح هو الذى اختاره . كأنما كان مندفعاً بقوة إلى هلاك محقق ، فأمسكت به يد المسيح وأوقفت مسيرته القاتلة . كأنما كان منشغلاً بتبذير حياته هباءً وإذا بالمسيح يسوع يعيده فجأة إلى صوابه . تعرفت أثناء الحرب بطيار بولندى . احتشدت حياته بقصص هروب مذهلة من مخالب الموت وما هو أسوأ من الموت ، فاق عددها في سنين قليلة ما لا يستطيعه معظم الناس في كل حياتهم . أحياناً كان يقص قصة هروبه من أوروبا المحتلة ، وهبوطه بالمظلة من الجو ، أو عملية إنقاذه من البحر ، وأخيراً في نهاية هذه الرحلة الطويلة العجيبة ، كان يختمها دائماً بقوله ، وفى عينيه نظرة دهشة وتعجب « والآن إنى رجل الله » . وهذا هو تماماً ما أحس به بولس ، كان هو رجل المسيح لأن المسيح اختاره .

٢- يشكره لأنه ائتمنه . كان أمراً مدهشاً بالنسبة لبولس أن المسيح يختاره هو بالذات ، عدو الكنيسة اللدود ، مرسلًا ورائدًا له . لم يغفر المسيح له فقط بل ائتمنه أيضاً . أحياناً نصفح نحن فى -أمورنا البشرية - عمن ارتكب خطأ ما أو ائماً معيناً ، ولكن ماضيه يجعل من المستحيل ائمانه على أى مسئولية أخرى . ولكن المسيح لم يعف عن بولس فقط ، بل أوكل إليه عملاً لكى يؤديه . فأصبح مضطهد المسيح سفير المسيح .

٣- يشكره لأنه عينه . وكل ما فى تفكير بولس أنه عين للخدمة ، لا لشرف ما ، أو لتقدير خاص أو لنوال السلطة أو القيادة داخل الكنيسة . كان مجده وفخره هو أنه خلص ليعلم . ويخبرنا بلو تارك أنه عندما يفوز أحد الإسبرطيين فى إحدى الألعاب ، تكون مكافأته الوقوف بجانب الملك فى المعركة . ويحكى عن مصارع اسبرطى أنه عرضت عليه رشوة سخية ليتخلى عن صراع رهيب فى أحد الألعاب الأولمبية ولكنه رفض ، وبعد انتصاره

قال له أحدهم ساخراً « والآن ، أيها الأسيرطى ، ماذا يجديك هذا الانتصار الغالى الثمن ؟ » فأجابه : « لقد فزت بامتياز وقوفى أمام مليكى فى ساحة القتال » . كانت مكافأته أن يخدم وإذا دعت الضرورة ، أن يموت لأجل مليكه . هكذا كان يعلم بولس لماذا اختير ، اختير للخدمة ، لا للتشريف .

٤ - يشكره لأنه قواه . كان بولس من أوائل من اكتشفوا أن المسيح لا يكلف شخصاً بمأورية ما دون أن يهبه القوة لأدائها . لا يمكن لبولس أن يقول ، « أنظروا ماذا فعلت » لكنه كان دائماً يقول « انظروا ماذا قدرنى يسوع المسيح أن أفعل » . لا يوجد إنسان صالح ، أو قوى ، أو طاهر أو حكيم للدرجة أن يكون جديراً بخدمة المسيح . ولكن إذا أعطى إنسان نفسه للمسيح ، فسيمضى رافلاً فى قوة ربه لا فى قوة ذاته .

وسائل الرجوع إلى الله

لا تزال هناك نقطتان لطيفتان . فى هذا الجزء يبرز ماضى بولس اليهودى - يقول بولس إن يسوع المسيح رحمه لأنه ارتكب خطايا ضد المسيح وضد كنيسته فى أيام جهله ، قبل أن يعرف الإيمان . الفكرة السائدة لدينا هى ، أنه من وجهة النظر اليهودية ، الذبيحة تكفر عن الخطية . فإذا أخطأ الإنسان ، وضايقت الخطية الله وقطعت العلاقة بينهما ؛ نحرث الذبيحة فيهدأ غضب الله وتعود العلاقة بين الله والإنسان . ربما كانت هذه فعلاً الفكرة المهينة الشائعة عن الذبيحة . ولكن الفكر اليهودى أصر على أمرين . أولهما أن الذبيحة لا يمكن أن تكفر عن الخطية المتعمدة ، خطية الكبرياء والغرور ، خطية القلب المتغطرس والذراع الرفيعة . ولكنها تستطيع أن تكفر فقط عن

الخطايا التي ارتكبت عن جهل ، بدون قصد ، بل في لحظة انفعال . إذا
لا يمكن للذبيحة أن تغطي الخطية المقصودة التي ترتكب في تحد وغرور .
لأنهما أن الذبيحة لا يمكن أن تكفر عن أى خطية على الإطلاق إذا لم يصحبها
توبة وشعور بالحزى والألم في قلب من قدمها . نجد هنا بولس يتكلم من وحى
ماضيه اليهودي . انكسر قلبه أمام رحمة المسيح ، خطايا ارتكبت عن جهل
قبل أن يعرف المسيح ويلبس محبته . بسبب هذه الظروف كان بولس يشعر
أن باب الرحمة ما زال مفتوحاً له .

ولكن لا يزال في هذا الجزء نقطة لطيفة ، أشار إليها أ. ف. براون .
الآية ١٤ « وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع »
آية صعبة ولو أن الجزء الأول فيها سهل ويعنى أن نعمة الله علت فوق خطية
بولس . ولكن ما هو على وجه الدقة معنى الجزء « مع الإيمان والمحبة التي في
المسيح يسوع » ؟ يقترح أ. ف. براون أن المعنى المقصود هو هذا : أن
عمل نعمة المسيح في قلب بولس قواه وسنده الإيمان والمحبة التي صادفهما
بولس في أعضاء كنيسة المسيح ؛ أن تأثير نعمة المسيح قد ازداد بالعطف
والفهم والرقّة التي أظهرها نحوه رجال كحنانيا ، الذي فتح عينيه ودعاه
أخاً (أعمال ٩ : ١٠ - ١٩) ، وكبرنابا ، الذي وقف معه عندما ارتأبت
فيه بقية الكنيسة (أعمال ٩ : ٢٦ - ٢٨) والفكرة هنا أن عطية نعمة المسيح
تسندها الرأفة المسيحية التي يبيدها أعضاء الكنيسة الذين يعيشون في المسيح .
وهي فكرة عميقة ، إذا أردنا تطبيقها وجدنا أن هناك ثلاثة عوامل تتضمن
في رجوع أى إنسان إلى الله .

— أولاً : هناك الله . كانت صلاة إرميا : « أرددنا يا رب إليك
فترتد » (مراثى إرميا ٥ : ٢١) . ما لم يعمل روح الله في قلب الإنسان ، لن

تمر بمخاطره رغبة في الله . وكما قال أغسطينوس ، لا يمكن أن نكون قد بدأنا البحث عن الله ما لم يكن الله قد وجدنا أولاً . القوة المحركة هي الله ؛ خلف رغبة الإنسان الأولى نحو عمل الخير ، توجد محبة الله الفاحصة الباحثة .

— ثانياً : هناك نفس الإنسان : يقول الكتاب « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨ : ٣) . هذا يعنى بالتأكيد أنه لا بد من وجود استجابة بشرية للدعوة الإلهية . أعطى الله الإنسان إرادة حرة وللإنسان كامل الحرية في قبول أو رفض عطية الله . الإنسان نفسه هو الذى يجب أن يأخذ الخطوة الضرورية في تسليم ذاته لله .

— ثالثاً — هناك العامل الإنساني في شخص مسيحي آخر . كان بولس مقتنعاً أنه مرسل إلى الأمم « لكي يفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا » (أعمال ٢٦ : ١٨) وكان يعقوب مقتنعاً أن من يرد خاطئاً عن طريق ضلاله إنما يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا » (يعقوب ٥ : ١٩ ، ٢٠) إذاً . هناك واجب مزدوج عايناً . قيل إن القديس هو من يسير في طريق الإيمان بالله ، وأن القديس هو شخص يعيش فيه المسيح مرة أخرى . وواجبتنا أن نشكر من أرشدونا إلى المسيح ، من كانت كلماتهم وقدمتهم طريقاً إليه ، وواجبتنا أن نجاهد لكي نصبح قوة ذات تأثير ولكي نكون نوراً يقود الآخرين إلى الله .

في موضوع الرجوع إلى الله تتحد عوامل ثلاثة ، الإحساس يبدأ بتأثير الله ، تتبعه استجابة من نفس الإنسان ، وتقويه قدوة إنسان مسيحي آخر .

١ - العار الذى لا ينسى

والإلھام الذى لا يموت

أهم ما فى هذه الفقرة إصرار بولس على تذكر خطيته . فهو يكتب مجموعة من الألفاظ ليبين كم فعل ضد المسيح والكنيسة . كان مهيناً محترماً للكنيسة ؛ قدف المسيحيين بثنائه الساخنة الغاضبة ، متهماً إياهم بالإجرام فى حق الله ، وهو وحده المحرم . كان مضطهداً ، اتخذ كل وسيلة أتاحها له الناموس اليهودى ليقضى على الكنيسة المسيحية . ثم يأتى الوصف المرعب ، أنه كان إنساناً مفزوعاً وحشى العنف . الكلمة فى اليونانية تعنى رغبة فى التدمير يصحبها غرور ، تعنى شخصاً غرضه اتباع الألم والإصابة لجرد شعوره بالارتياح والسرور لهذا . ويعرف أرسطو هذه الكلمة بأنها « تعنى إيذاء وجلب الحزن للناس ، بطريقة تجعل العار يحقق بمن أودى . لا للمكسب خاص يلحق بمن تسبب فى الأذى والإيلام ، بل لجرد أنه يجد متعة وسروراً فى إظهار قسوته وفى عذاب الآخرين . فى هذه الكلمة توجد متعة سادية فى إلحاق الألم . وهذا هو حال بولس فى تعامله مع الكنيسة المسيحية . لم يكتف بألفاظ التحقير والإهانة ، فاندفع إلى أقصى حدود الاضطهاد التى يسمح له بها الناموس . حتى هذا لم يرضه ، فاندفع فى قسوة سادية محاولاً محو الدين المسيحى . تذكر بولس ذلك ؛ وحتى آخر أيامه كان يرى نفسه أول الخطاة . أنه مازال أول الخطاة وليس فقط فى الماضى . ومصدّقاً للقول ، لم ينس بولس قط أنه خاطئ صفيح عنه ، ولكنه لم ينس قط ماضيه الخاطئ . لماذا يتذكر بولس خطيته إذا بهذه الشدة ؟

١ - ذكرى خطيته كانت أضمن رادع له ضد الكبرياء :

لا يمكن أن يلمع إنسان فعل مثل ما فعله بولس بكبرياء روحى . كان

جون نيوتن واحداً من أعظم الوعاظ وأعظم كاتب ترانيم الكنيسة ؛ ولكن في وقت ما كان جون نيوتن متهماً بكل خطية ، وانحدر إلى أدنى مهاوى الرذيلة التي يمكن لإنسان أن يبلغها . كان ذلك في الأيام التي عبر فيها البحار في مركب تجارة العبيد . لذلك عندما رجع جون نيوتن إلى الله وأصبح مبشراً للإنجيل ، كتب يافطة في حروف كبيرة وعلقها في أبرز مكان في مكتبه لكيلا تضع عن نظره مطلقاً : « تذكر أيام عبوديتك في أرض مصر وافتداء الرب إلهك لك » . وألف جون نيوتن هذه المراثاة لتتقش على شاهد قبره « جون نيوتن ، موظف ، ساقط وكافر في وقت ما ، خادم للعبيد في أفريقيا ، ولكنه برحمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ، حفظ من الهلاك ، أعيد إلى البر ، صفح عنه ، وعين ليبشر الإيمان الذي جاهد كثيراً للقضاء عليه » . لم ينس جون نيوتن قط أنه خاطئ غفرت له خطياه ؛ كذلك لم ينس بولس ذلك . ويجب علينا نحن أن لا ننسى . أنه من الأفضل أن يذكر الإنسان خطياه فيصونه ذلك من الكبرياء الروحي .

٢ - ذكرى خطية كانت أضمن دافع يحفظ شكره مشعلا :

أن نذكر ما غفر لنا أضمن طريقة توقظ حينا وشكرنا ليسوع المسيح . يخبرنا ف. و. بورهام عن خطاب كتبه البيوريتاني العجوز توماس جودوين إلى ابنه . « كلما شعرت بالبرود يزحف إلى خدمتي في الكنيسة ، كلما شعرت باقتراب صباح يوم الرب وقلبي لم يمتلئ بعد بالدهشة إزاء نعمة الله ، كلما حان وقت توزيع عشاء الرب ، هل تدري ماذا كنت أفعل ؟ كنت آخذ جواة بين خطايا حياتي الماضية ، وكنت دائماً أعود من جولتي بقلب منكسر مغلوب بالألم ، مشتعل بالعظة ، العظة عن غفران الخطايا » . وقال « لا أظنني ذهبت مرة إلى سلم المنبر دون أن أتوقف لحظة عند أسفله لأتذكر خطايا السنين الماضية . لا أظنني رتبت عظة دون أن آخذ مسيرة حول مكثي

ناظرًا إلى الخلف ، إلى خطايا الشباب وخطايا كل حياتي حتى اللحظة الحاضرة .
« كم من صباح أحد ، تكون نفسي باردة جافة لإهمالي الصلاة خلال
الأسبوع ، ولكن جولة قصيرة في حياتي الماضية قبل ذهابي إلى المنبر كافية
لتكسر قلبي القاسي ، وتدني من إنجيل الرب فتجهز نفسي للعظة » . عندما
تذكر في كيف آذينا الله وآذينا من أحبونا وآذينا رفقاءنا من الناس ، وعندما
تذكر كيف أن الله والناس قد صفحوا عنا ، لا بد أن هذه الذكرى كافية
لإيقاظ شعلة الشكر داخل قلوبنا .

٣ - ذكرى خطية كانت حافزاً مستديماً نحو مجهود أكبر :

لا يمكن لإنسان أن ينال رضا الله أو يستحق محبته ؛ ولكنه لا يستطيع
التوقف عن محاولة إظهار تقديره للمحبة والرحمة التي غيرته عندما نحب أحداً .
لا يمكننا أن نغالب رغبتنا في إظهار هذه المحبة . لأن هذا أمر طبيعي تمليه
علينا الغريزة . لهذا عندما نذكر كم يحبنا الله وكم نحن غير مستحقين لهذه
المحبة ، عندما نذكر أنه لأجلنا عذب المسيح وصلب هناك في الجلجثة ،
لا بد أن هذا سيدفعنا ويحفزنا نحو مجهود أكبر . نستطيع أن نقول لله إننا
نعرف مقدار ما فعله لنا ، ونظهر ليدوع المسيح أن توضيحته العظمى لم
تذهب هباء .

٤ - ذكرى خطية كانت ضمانةاً للتشجيع مستمر للآخرين :

يستخدم بولس صورة حية . فيقول إن ما حدث له كان مثالا لما سيحدث
لهؤلاء الذين يقبضون المسيح فيما يأتي من الأيام . والكأمة التي يستعملها تعني
صورة مشروع أو تقرير ابتدائي أو نموذج مبدئي . كما لو كان بولس يريد
القول ، « انظروا ماذا فعل المسيح لي ! إذا أتيح لشخص مثل أن يخلص ،

هناك رجاء لأى إنسان لم يخلص بعد . لنفترض أن شخصاً مريضاً بمرض خطير وأن عليه أن يجتاز عملية جراحية شديدة الخطورة ، ألا يكون أعظم مشجع له أن يقابل ويحدث شخصاً ر بنفس العملية الخطيرة وخرج منها سليماً معافى ؟ لم يخش بولس أن يعرف ماضيه ؛ بل أعلنه جهاراً مدوياً ، حتى يعلمه الجميع ويمثلثوا بالرجاء أن النعمة التى غيرت بولس قادرة أن تغيرهم هم أيضاً .

لم تكن خطية بولس شيئاً يريد أن يتناساه . وكما قال ذو القاب الكبير Great heart لأولاد المسيحى : « يجب أن تعلموا أن الأخضر الغافل Forgetful Green هو أشد الأماكن خطورة فى جميع هذه البقاع » .

رفض بولس أن ينسى خطيته ، لأنه فى كل مرة كان يذكر مدى شناعة خطيته ، كان أيضاً يذكر عظمة يسوع المسيح التى تفوق بكثير جرمه الكبير . لم تسبب ذكره لخطيته اكتئاباً نفسياً يسوقه لليأس ، بل إيقاظاً لينبوع الفرح إزاء محبة ونعمة يسوع المسيح الشاملة الكاملة .

الدعوة التي لا يمكن أن ترفض

١٨ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ أَيُّهَا الْإِبْنُ تِيموثَاوُسُ اسْتَوْدِعْكَ
إِيَّاهَا حَسَبَ النُّبُوءَاتِ الَّتِي سَبَقَتْ عَلَيْكَ لِكَيْ تُحَارِبَ
فِيهَا الْمُحَارَبَةَ الْحَسَنَةَ ١٩ وَلَكَ إِيمَانٌ وَضَمِيرٌ صَالِحٌ
الَّذِي إِذْ رَفَضَهُ قَوْمٌ أَنْكَسَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ مِنْ جِهَةِ
الْإِيمَانِ أَيْضاً ٢٠ الَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَالْإِسْكَنْدَرُ
الَّذَانِ أَسْلَمْتُهُمَا لِلشَّيْطَانِ لِكَيْ يُودَّبَا حَتَّى لَا يُجَدِّفَا .

(١ تيموثاوس ١ : ١٨ - ٢٠)

الفقرة الأولى في هذا الجزء مختصرة مضغوطة للغاية . لا بد أن اجتماعاً
تم انعقاده بين أنبياء الكنيسة . كان الأنبياء معروفون بأنهم حائزون على ثقة
ومشورة الله . « أن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لهيده
الأنبياء » (عاموس ٣ : ٧) . في اجتماع الأنبياء هذا نوقشت الحالة التي
كانت تهدد الكنيسة وانتهى إلى أن تيموثاوس هو أفضل من يصلح لمواجهةها .
نستطيع أن نرى كيف تصرف الأنبياء تصرفاً مطابقاً في أعمال ١٣ : ١ - ٣ .
في هذا الوقت بالذات كان يواجه الكنيسة هذا القرار الخطير ، هل تؤخذ
رسالة الإنجيل إلى الأمم خارج اليهودية أو لا تؤخذ ؛ وكان رد الروح القدس
هلى الأنبياء الرسالة الآتية ، « افرزا لي برنابا وشاول لأجل العمل الذي
دعوتهما له » (أعمال ١٣ : ٢) وهذا ما حدث لتيموثاوس . اختاره الأنبياء

لمواجهة الحالة الطارئة على الكنيسة . ومن المعقول جداً أن يكون تيموثاوس قد انكمش إزاء جلال المأمورية الموضوعه أمامه ، لهذا يشجعه بولس في هذا الجزء ويشعل فيه الحماس لإعتبارات معينة .

١ - يقول له بولس « أنت الذى اخترت ولا يمكنك أن ترفض مأموريتك » حدثت قصة شبيهة بذلك لجون نكس . كان يدرس في « سانت أندروز » ، ورغم أن تدريسه كان خاصاً لكن كثيرين أتوا لاستماعه ، فقد كان واضحاً أنه شخص ذو رسالة . لهذا نصحه الناس « أن يأخذ على نفسه مسئولية الوعظ . ولكنه رفض بتاتاً ، متعللاً بأنه لا يمكن أن يسعى حيث لم يدعه الله وبناء عليه تشاوروا فيما بين أنفسهم وكان معهم في المجلس سير دافيد لندسى ، وانتهوا إلى أن يكلفوا جون بمهمة ، وأن يكون هذا علناً على لسان واعظهم » . كان جون نوكس رجلاً مختاراً ، ورغم هذا تردد كثيراً إزاء المسئولية الضخمة المطلوبة منه . جاء يوم الأحد ، وكان جون نوكس حاضراً في الكنيسة والواعظ جون روف John Rough يقوم بالوعظ . فقال : يا أخى ، أرجو أن لا تتكدر رغم أنى أكلامك بما عهد إلى من جميع أولئك الحاضرين هنا : باسم الله وابنه يسوع المسيح ، وباسم أولئك الذين يدعونك الآن على لسانى ، أطلب منك أن لا ترفض هذه المهمة المقدسة ، . . . وأن تأخذ على نفسك مسئولية الوظيفة العامة ومسئولية الوعظ ، ناظراً إلى تجنب مضايقة الله ، راغباً فى مضاعفة نعمته عليك ؛ وفى النهاية مخاطب الموجودين قائلاً : « ألم يكن هذا تكليفكم لى ؟ وهل لاتوافقون على هذه الوظيفة ؟ فأجابوا : « نعم ، ونحن نوافق عليها » عند ذلك غلب الحجل على جون وانفجر فى فيض من الدموع ، وانسحب إلى حجراته . منذ ذلك اليوم حتى اليوم الذى اضطرب فيه أن يقدم نفسه لمكان الوعظ العام ، دلت طلعتة وسلوكه بوضوح تام عن مدى الحزن والاضطراب الذى ساد

قلبه ؛ فلم يلاحظ فيه أحد أى بادرة للسرور ، كما أنه لم يداخله فرح لرفقة أى إنسان ، لعدة أيام . . اختيار جون نوكس ؛ ولم يرغب جون نوكس فى تلبية الدعوة ؛ ولكن لم يكن هناك مفر لجون نوكس ، لأن الاختيار جاء من عند الله . بعد عدة سنوات وقف مورتون الوصى على العرش عند قبر جون نوكس ونطق ميراثه الشهيرة « بالنسبة أنه كان يحمل رسالة الله ، وأمامه وحده سيعطى حساباً عنها ، فانه رغم ضعفه وعدم استحقاقه وكونه رجلاً مرعباً لم يخف من وجوه الناس . » .

إحساسه أنه مختار أعطاه الشجاعة . وهكذا يقول بولس لتيموثاوس :
« لقد اخترت ؛ لا يمكنك أن تخيب أمل الله والإنسان . » . اختيار الله يأتى لكل واحد فينا ؛ وعندما ندعى لعمل ، لا نجسر على رفضه . .

٢ - من المحتمل أن يقول بولس لتيموثاوس : « يا تيموثاوس ، كن صادقاً لاسمك » فاسم تيموثاوس مكون من كلمتين يونانيتين ، تيمو وتعنى شرف ثيوس وتعنى إله . أى أن الاسم تيموثاوس كان يعنى شرفاً لله . ويبدو أن بولس يريد أن يقول لتيموثاوس « . تيموثاوس ، كن جديراً باسمك » . ونحن ندعى باسم مسيحين ، أى أتباع المسيح ، ويجب أن نكون أمناء لهذا الاسم .

٣ - وأخيراً ، يقول بولس لتيموثاوس « لقد أوتمنت على عمل ما » « وإنى أوكلك فى هذه المأمورية » . والكلمة التى يستعملها بولس عن يأتين هى كلمة تستعمل عن ائتمان شئ غالى وثمين فى أمانة عند إنسان . فهى تستعمل ، مثلاً ، عن إيداع فى بنك ، أو ترك شخص تحت رعاية شخص آخر . وهى دائماً تعنى أن أمانة ما أودعت لدى إنسان ، وأن ذلك الإنسان

سيعطى حساباً يوماً ما عن الأمانة لهذا يقول بولس لتيموثاوس : « ياتيموثاوس
إني أستودعك أمانة مقدسة . أنظر أن لا تفشل فيها . » وقد أودع الله أمانته
في أيدينا وضع شرفه و كنيسته . ويجب علينا أن نعمل حتى لا نفشل .

مرسل لحرب الله

١. هو إذا الذى أوتمن عليه تيموثاوس ؟ ولأى غرض أرسل ؟

أرسل تيموثاوس ليجاهد الجهاد الحسن . تصوير الحياة ك ميدان حرب
ظلت دائماً فكرة مثيرة لخيلات الناس . قال ماكسيموس من مدينة صور :
« الله هو القائد ؛ الحياة هي ميدان القتال ، والإنسان هو الجندي » وقال
سنيكا : « الحياة بالنسبة لى ، يا عزيزى لوسيليوس ، أن أكون جندياً »
عندما يصبح شخص ما تابعاً للالهة إيزيس ، ويبدأ تعريفه بأسرار الإلهة
المقدسة ، كانت الدعوة إليه : « التحق بعسكر إيزيس المقدس » .

هناك ثلاث أشياء يجب ملاحظتها هنا .

١ - لم ندع لمعركة بل لميدان حرب . الحياة ميدان حرب طويلة ؛
الحياة خدمة طويلة لا إفراج فيها . الحياة ليست صراعاً حاداً قصير الأمد
يلقى الرجل بعده سلاحه ويستريح فى سلام . الحياة حرب مستمرة مشتعلة
الأوار حتى نهاية اليوم الأخير فيها . وتشبيه الحياة بسباق قصير تشبيه قاصر
لأنها ماراثون عنيف . هنا تكمن خطورة الحياة . فمن الضروري أن تكون
دائماً على حذر وعلى احتراس . « اليقظة الدائمة ثمن الحرية » . إغراءات
الحياة ، وأخطاء الحياة ، لا تكف أبداً عن هجومها وعن بحثها الدائم عن
ثغرة فى درع المسيحى . لا توجد فترات استرخاء فى الحياة المسيحية . أحد

الأخطار المعتادة في الحياة أن نتقدم في متابعة من القفزات . عندئذ نمر بفترة
جهاد حقيقي وحرب حقيقية ، تتبعها فترة خمول تبدأ فيها القيم في الانزلاق .
يجب أن نذكر أننا مدعوون لحرب ستستمر طالما استمرت الحياة .

٢ - أن تيموثاوس مدعو لجهاد حسن . نجد هنا مرة أخرى الكلمة
Kalos المغرمة بها الرعويات . لا تعني هذه الكلمة kalos ما هو حسن
وقوى فقط ؛ بل تعني أيضاً ما هو جيد وجذاب وجميل ورائع . ليس
جندي المسيح مجنداً يخدم عن ضيق متبرماً خائر العزيمة ؛ بل هو متطوع يخدم
بروح الشهامة والفروسية . فهو ليس عبداً للواجب ، بل خادماً مبهجاً .

٣ - يوصي تيموثاوس بأن يأخذ معه نوعين من الأسلحة .

(أ) يجب أن يأخذ إيمان : حتى إذا ادلهمت الأمور ووصلت إلى
أحلك ساعاتها ، يجب أن يحتفظ بإيمانه في عدالة وصواب قضيته ، وبإيمان في
انتصار الله النهائي . كان هو الإيمان الذي حفظ جون نوكس في وقت يأسه
مرة عندما كان عبداً ، مرت سفينته على مرأى من « سانت اندروز » كان
ضعيفاً لدرجة أنهم حملوه ليستطيع الرؤية . أروه برج الكنيسة وسألوه هل
يعرفه فأجاب « نعم ، إنني أعرفه جيداً ، وإنني مقتنع تماماً ، أنه مهما بدا من
ضعفي الحالي ؛ فلن أغادر هذه الحياة حتى يمجّد لساني اسمه المقدس في ذات
المكان » . ويصف مشاعره عام ١٥٥٤ عندما اضطر للهروب من البلد
لينجو من انتقام ماري تيودور فيقول ، « عندما تتفق كل المفاهيم الطبيعية ،
على أن قضيتي لا علاج لها . يبتغي الجسد الضعيف ، المنهك بالخوف
المحطم بالألم ، خلاصاً ، حاقداً دائماً مترجعاً دائماً عن بذل وعد بالطاعة .
أيها الإخوة المسيحيون ، إنني أكتب عن خبرة . . . إنني أعلم تبرمات وشكاوى

الجسد . إنى أعلم الغضب ، وسورة العنف ، والحق الذى تخالج الجسد ضد الله ، متشككة فى كل وعوده ، ومستعدة دائماً للافلات المستديم من يده فى أى لحظة لا يوجد غير الإيمان ليقف ضد هذه جميعاً . يحتاج الجندى المسيحى إلى إيمان لا يتزعزع فى أحلك الساعات .

(ب) يجب أن يأخذ دفاع ضمير صالح . أو بقول أوضح ، يجب على الجندى المسيحى أن يحاول على الأقل المعيشة طبقاً لتعليمه شخصياً ومبادئه الخاصة . يجب أن يكون قادراً على القول : « حاولت دائماً أن أطبق فى حياتى ما أعظ به وأن أعيش بما أعلمه » . لا بد أن الفضيلة تهزل متباعدة من رسالة إنسان يبكته ضميره أثناء كلامه .

تعنيف قاس

ينتهى الجزء بتعنيف قاس موجه إلى عضوين من الكنيسة المسيحية أساءا إلى الكنيسة ، وأحزنا بولس ، وحطما سفينة حياتيهما . يأتى ذكر هيمينائيس مرة أخرى فى ٢ تيموثاوس ٢ : ١٧ ؛ أما الإسكندر فربما هو نفسه الذى يشار إليه فى ٢ تيموثاوس ٤ : ١٤ . كان لبولس ثلاث شكاوى ضد هذين الرجلين .

١ - رفضا مشورة الضمير . سمحا لرغباتهما وأغراضهما الشخصية أن تتكلم بأكثر قوة وإقناع عن صوت الله . جعلتا إرادتهما ، لا إرادة الله المتحركة فى حياتهما .

٢ - كان محتماً أن يسقطا فى أفعال شريرة . عندما هجرا الله ، تردت

الحياة في الوحل والسفاهة . متى اختفى الله من الحياة ، اختفى معه الجمال وكل عذوبة في الحياة .

٣ - اتخذنا طريق التعليم الفاسد . مرة أخرى هذا أمر محتم : متى ما خطا الإنسان في الطريق الخاطئ ، يكون أول رد فعل غريزي له هو إيجاد الأعذار وتبرير ما فعله . يأخذ عن التعاليم المسيحية ما يستطيع تحويره وتشويهه لتمشى مع موقفه . من الصواب يصطنع حججاً ملتوية لتبرير الخطأ . يلتمس في كلام المسيح أعذاراً يبرر بها طرق إبليس . في اللحظة التي يرفض فيها الإنسان إطاعة صوت الضمير ، يتدهور سلوكه ، ويلتوى تفكيره :

لهذا يمضى بولس في القول إنه « أسلمهما للشيطان » . ما معنى هذه الجملة الرهيبة ؟ لا نستطيع أن ندلى برأى قاطع ، ولكن يوجد احتمالات ثلاثة :

١ - ربما كان يدور بخلد الحُرمان المتبع في اليهودية . كان التقليد المتبع في المجمع هو هذا ، إذا سلك شخص في فعل الشر ، يوبخ أولاً علناً . فإذا لم تجدى هذه الطريقة ، يطرد من المجمع لمدة ثلاثين يوماً . فإذا أصر على غيه وعدم توبته ، يوضع تحت الحُرمان ، أى يصبح شخصاً ملعوناً ، محروماً من مجتمع الناس ورفقة الله . في مثل هذه الظروف يمكن أن يقال إن هذا الإنسان قد سلم إلى الشيطان .

٢ - ربما كان ما يقصده بولس هو أنه حرهما من الكنيسة وأطلقهما ليعيشا دون قيد في العالم . في مجتمع وثني كان من المحتم ظهور حاجز صعب العبور بين الكنيسة والعالم . الكنيسة أرض الله ؛ والعالم مملكة الشيطان ؛ إذا حرم الإنسان من الكنيسة فعنى هذا تسليمه إلى تلك الأرض التي يملك زمامها

الشيطان . . أى أن معنى الجملة أن هذين الشخصين الذين سببا المتاعب داخل الكنيسة قد تركا للعالم .

٣ - هناك تفسير ثالث هو أكثر الثلاثة احتمالاً . اعتبر الشيطان المشغول عن آلام وعذاب البشر . كان هناك رجل في الكنيسة الكورنثوسية متهم بخطية زواج المحرمات الرهيبة . وكان رأى بولس أن يسلم هذا الرجل إلى الشيطان « لا هلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب ، يسوع المسيح » . (١ كورنثوس ٥ : ٥) . والفكرة فى ذلك هو أن على الكنيسة أن تصلى لأجل تأديب بدنئى يحقق بالرجل حتى يعود ، خلال آلامه الجسدية ، إلى حواسه العقلية . فى قصة أيوب كان الشيطان هو المتسبب فى توقييع عذاب الجسد على أيوب ٢ : ٦ ، ٧) . وفى العهد الجديد نفسه تطالعنا النهاية المرعبة لحنايا وسفيره (أعمال ٥ : ٥ ، ١٠) والعمى الذى سقط على عليم الساحر لمقاومته للأنجيل (أعمال ١٣ : ١١) . من المعقول جداً أن صلاة بولس هو أن يتعرض هذان الرجلان لعذاب بدنئى ، يكون بالنسبة لهما تحذيراً وعقاباً .

وهذا هو رأى الغالب ، لأن بولس لم يكن يرجو لهذين الرجلين الهلاك والضيايع ، بل كان يود أن يؤدبا حتى يطردا الشر من طرقهما . لم يكن العقاب بالنسبة لبولس - وكما يجب أن يكون بالنسبة لنا - مجرد إشباع لرغبة انتقامية ، بل كان دائماً تأديباً علاجياً . لم يكن القصد منه الإيلام بقدر ما كان المرجو منه البرء والشفاء .

شمول الإنجيل

الأصحاح الثانى

١ فَاَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ تُقَامَ طَلَبَاتُ وَصَلَوَاتُ
وَأَبْتِهَالَاتُ وَتَشْكُرَاتُ لِأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ ٢ لِأَجْلِ الْمُلُوكِ
وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصَبٍ لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةَ مُطْمَئِنَّةٍ
هَادِئَةٍ فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ . ٣ لِأَنَّ هَذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ
لَدَى مُخَلِّصِنَا اللَّهِ ؛ الَّذِى يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ
وَالِى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ . ٥ لِأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهُ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ
وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ ٦ الَّذِى
بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ الشَّهَادَةِ فِي أَوْقَاتِهَا
الْخَاصَّةِ ٧ الَّتِى جُعِلْتُ أَنَا لَهَا كَارِزاً وَرَسُولاً . الْحَقُّ
أَقُولُ فِي الْمَسِيحِ وَلَا أَكْذِبُ . مُعَلِّماً لِلْأُمَمِ فِي الْإِيمَانِ
وَالْحَقِّ .

(١ تيموثاوس ٢ : ١ - ٧)

قبل أن نبدأ دراسة هذا الجزء بالتفصيل ، يجب أن نلاحظ شيئاً واحداً
يسطح خلال السطور كلها بطريقة واضحة لا تغيب عن أحد . لا يوجد
إلا قليل من هذه الكتابات في العهد الجديد التى تؤكد وتوضح شمول الإنجيل .
الصلاة ترفع لأجل جميع الناس ؛ الله هو المخلص الذى يريد أن جميع الناس

يخلصون ؛ يسوع بذل نفسه فدية لأجل الجميع . أو كما يقول والتر لوك :
« مشيئة الله للخلاص لا يعادها في الشمول إلا مشيئة في الخلق » . هذا نحن
يتكرر سماعه مرات ومرات خلال العهد الجديد . الله الذي صالح العالم لنفسه
بيسوع المسيح (٢ كورنثوس ٥ : ١٨ ، ١٩) هكذا أحب الله العالم حتى
بذل ابنه (يوحنا ٣ : ١٦) . كان يسوع تام الثقة ، في أنه متى رفع على
الصليب ، سيجذب جميع الناس إليه ، إن عاجلاً أو آجلاً (يوحنا ١٢ :
٣٢) . في تعليق أ. ف. براون على هذا الجزء يطلق عليه « ميثاق العمل
المرسلى » ويقول إنه برهان كاف أن جميع الناس بإمكانهم قبول الله . يحتمل
أن يضيع الناس ، ولكن يمكن إيجادهم . يحتمل جهل الناس ولكن يمكن
إخبارهم . يحتمل أن يكونوا خطاة ولكن في الإمكان خلاصهم . يكتب
جورج ويشارت ، الصوت السابق على جون نوكس ، في ترجمته للاعتراف
السويسري الأول : « النهاية والقصد من الكتاب هو إعلان أن الله محب ودود
للإنسان ، وأنه أعلن هذه الرأفة بيسوع المسيح ابنه الوحيد ؛ هذه الرأفة التي
تقبل بالإيمان » . ذلك إذا هو السبب لماذا يجب أن ترفع الصلاة لأجل الجميع .
الله يريد جميع الناس ، وكذلك كنيسة الله يجب أن تريد جميع الناس .

١ - يشمل الإنجيل المرتفع والدليل . سواء الإمبراطور في جبروته أو
العبد في مسكنته ، الاثنين ضمتهم دعوة الإنجيل الشاملة . الفيلسوف في حكمته
والبسيط في جهله ، كلاهما يحتاج للنعمة والحق التي يعطيها الإنجيل . بين
دفتي الإنجيل تختفي الفوارق الطبقيّة . الملك والرعا ، الغني والفقير ، نبيل
المحتد وأجير الأرض ، السيد والمسود . الجميع شملتهم ذراعا الإنجيل اللانهاية ،

٢ - يشمل الإنجيل الجيد والردئ . هناك خطر غريب دخل الكنيسة
في الأزمنة الحديثة . أصبح مبدأ معترفاً به ، كما يبدو من كثرة حدوثه

وتكراره ، أن لا يسمح إلا للشخص المحترم بالدخول إلى الكنيسة ، أما الخطوة الذين يتطلعون إلى دخول أبوابها لا يحظون من الكنيسة إلا بنظرة شذرة جانبية . الحق يقال أصبح من أشق الأمور على الخاطئ أن يدخل إلى كنيسة حديثة دون أن يكون هدفاً للنظرات المرتابة أو المتسائلة أو الناقدة أو العدائية أحياناً ، وبدون أن يكون موضوعاً للهمس والنقد المفتوح ، للفضول وصدور الأحكام المختلفة ضده . ولكن العهد الجديد صريح العبارة في أن الكنيسة توجد ، لا لتقوى الصالح فقط ، بل لترحب وتخلص الخاطئ أيضاً . اعتاد المرسل العظيم س. ت. استد O.T. Studd أن يكرر ثلاثة أسطر من الزجل :

« البعض يريد أن يحيا في نطاق الكنيسة
ولكني أريد أن أدير محلاً للخلاص
ولو على بعد خطوة من الجحيم » .

يعتبر كاجاوا Kagawa واحداً من أعظم قديسي العصور الحديثة ، بل وكل العصور . اختار كاجاوا أفقر حوارى شنكاوا ليجد رجالاً ونساء للمسيح . عاش هناك في أفقر وأحط وأبشع بيئة في العالم . ويصف و. ج. ميمارت الموقف : « كان جيرانه طغمة مختلطة من عاهرات غير مسجلات ، لصوص يتفاحرون بمقدرتهم على خداع كل بوليس المدينة ، قتلة لا يتورعون عن الإضافة إلى قائمة ضحاياهم ليرتفع مركزهم في نظر حثالة القوم حولهم . وجميع الناس ، بدون استثناء ، سواء المريض ، أو ضعيف العقل أو المجرم ، كانوا يعيشون في بوتس بشع ، في شوارع زلقة من قذارة المتراكم عليها ، حيث تزحف الفيران من الحجاري المفتوحة لتهلك . كانت رائحة العفن تزكم

الجو كله . فتاة معتوهه ، جارة لـ كاجاوا ، تجعل من ظهرها مرسماً وقحاً فاسقاً لتغري ذوى الشهوة إلى عرينها . فى كل مكان كانت الأجساد البشرية تتعفن ويأكلها الزهرى » . أراد كاجاوا أناساً كهؤلاء ، وهكذا أيضاً يريد يسوع المسيح ، لأنه يريد جميع الناس ، الجيد والردئ على السواء .

٣ - يشمل الإنجيل المسيحى وغير المسيحى . الصلاة يجب أن ترفع لأجل جميع الناس . كان الأباطرة والحكام والرؤساء الذين تطالبنا هذه الرسالة بالصلاة لأجلهم غير مسيحيين : بل فى الحقيقة كانوا أعداء للكنيسة ؛ ورغم هذا كان المطلوب رفعهم إلى عرش النعمة بصلوات الكنيسة . لأنه بالنسبة للمسيحى الحقيقى لا يوجد شئ اسمه عدو فى جميع هذا العالم . لا يوجد أحد خارج عن مجال صلواته ، لأنه لا يوجد أحد يخرج عن نطاق محبة المسيح ، ولا يوجد أحد خارج عن نطاق أغراض الله ، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون .

طريقة الصلاة

فى هذا الجزء نجد أربع كلمات مختلفة عن الصلاة مجتمعة معاً . حقيقة لا يجب التمييز بينها بشدة ؛ ومع هذا عندما نمتحن كل منها على حدة ، نجد أن كل كلمة منها تخبرنا شيئاً عن طريقة الصلاة .

١ - أولها الكلمة التى ترجمناها طلب . ليست كلمة دينية مطلقة ؛ فيمكن استعمالها عن طلبه تقدم إلى إنسان زميل أو إلى الله . ولكن الفكرة الأساسية هى الإحساس بالحاجة . لن يتقدم أحد بطلبته دون إحساسه بحاجة دفعته إلى تقديمها . والصلاة تبدأ بإحساس بالحاجة . تبدأ بالاعتناق أننا لن

نقوى على الحياة بمفردنا . تبدأ بلمس عجزنا الشخصى . تبدأ بالإحساس بالضعف البشرى . هذا الإحساس بالضعف البشرى أساس كل تقرب بشرى نحو الله .

تبدأ الصلاة بالتعرف على ضعف البشرية .

٢ - الكلمة الثانية التى ترجمناها صلاة . والاختلاف الأساسى بين الطلبة والصلاة هو أن الطلبة يمكن أن توجه للإنسان أو لله ، بينما الصلاة لا تستعمل قط إلا للتقرب من الله . هناك احتياجات معينة لا يحققها غير الله . وهناك احتياجات معينة لا يمكن أن نأتى بها إلا إليه . هناك قوة لا أحد غيره يستطيع أن يعطيها ؛ وهناك مغفرة لا يستطيع أن يمنحها سواه ؛ وهناك يقين لا ينساب إلا من عنده وحده فقط . من المحتمل جداً أن ضعفنا يطاردنا لأننا كثيراً ما ذهبنا باحتياجاتنا إلى المكان الخطأ ..

٣ - الكلمة الثالثة هى التى ترجمناها ابتهاج . ومن بين الكلمات الثلاث هذه أطرفهم فهى كلمة لها تاريخ شيق . هى اسم مشتق من الفعل الذى يعنى فى الأصل يقابل ، أو يقع مع شخص آخر ؛ ثم تطورت لتعنى يقوم بمحادثة متداخلة مع إنسان آخر ؛ ثم اتخذت معنى فنياً خاصاً ؛ فأصبحت تعنى يدخل إلى حضرة الملك ويقدم التماساً له . وصار لها المعنى الفنى للالتماس المرفوع إلى حاكم أو ملك . وهذا نخبرنا بالكثير عن الصلاة . نخبرنا أن الطريق إلى الله مفتوح أمامنا ؛ وأنه قد أتيحت لنا هذه الفرصة التى لا تقدر بثمن فرصة الحديث الدقيق الخاص مع الله ؛ وأن لنا الحق فى إحضار التماساتنا إلى من هو أعظم من ملك . المسيحى هو الشخص الذى نال حق رفع طلباته مباشرة إلى حضرة الله الملكية .

من المستحيل أن يكون التماسك أكبر من قدرة الملك .

٤ — الكلمة الرابعة هي التي ترجمناها شكر . الشكر جزء مكمل لا ينفصل عن الصلاة . فالصلاة لا تعنى فقط طلب أشياء من الله ؛ ولكنها تعنى أيضاً شكر الله على عطاياه . لكثيرين منا ما الصلاة التي نصليها إلا تمرين على الشكوى ، بينما يجب أن تكون تمريناً على الشكر . اعتاد ابيكتيتس ، الذي لم يكن مسيحياً بل فيلسوفاً صوفياً ، أن يقول : « ماذا يستطيع إنسان ضئيل أعرج كبير السن مثلي أن يفعل خلاف رفع المديح والشكر لله ؟ » . نحن نملك الحق في إحضار احتياجاتنا ورغباتنا وطلباتنا إلى الله ؛ ولكن علينا واجب رفع شكراتنا باستمرار إليه .

الصلاة لمن لهم السلطان

هذا الجزء يوصى في وضوح وجلاء بضرورة الصلاة لأجل الملوك والأباطرة وجميع من يتصدرون مناصب السلطة . كان هذا مبدأ أساسياً رئيسياً في الصلاة المسيحية الجماعية . يحتمل أن الأباطرة كانوا قساة . ويحتمل أن من بيدهم السلطان كانوا يعتزمون إفناء المسيحيين . ولكن الكنيسة المسيحية لم تتوقف ، حتى في أمر ساعات اضطهادها ، عن الصلاة لأجلهم .

من المدهش تتبع تصرفات الكنيسة الأولى خلال تاريخها كله في تلك الأيام الحالكة ، وظلت الكنيسة تعتبر أحد واجباتها المطلقة أن تصلى للامبراطور وإلى ممثليه من الملوك والحكام . يقول بطرس : « خافوا الله ، أكرموا الملك » (١ بطرس ٢ : ١٧) ، كما يجب أن نتذكر أن هذا الملك لم يكن سوى الوحش القاسى نيرون . ويعد تيرتوليان أن صلاة المسيحي للامبراطور كانت

الأجل « عمر طويل ، حكم مضمون ، أمان البيت ، برلمان مخلص ، شعب بار ، وعالم في سلام » . كتب يقول « نحن نصلي لحكامنا ، لأحوال العالم ، لأجل سلام كل الأشياء ، ولرجاء تأجيل النهاية » . وكتب أيضاً : « المسيح لا يعادى أحداً ، وآخر الجميع الامبراطور ، لأننا نعلم أنه طالما تعين بأمر الله ، فن الضروري علينا أن نحبه ، ونوقره ، ونكرمه ، ونطلب سلامه ، مع سلام كل الامبراطورية الرومانية . لذلك نحن نضحى لأجل سلامة الامبراطور » . وفي رسالة إلى ديمتريانوس ، يتكلم عن الكنيسة المسيحية « كمضحية مسترضية الله ليل نهار لأجل سلامك وأمانك » . في عام ٣١١ ميلادية طلب الامبراطور جاليروس فعلياً صلوات المسيحيين ، ووعدهم بالرحمة والرفاهية لوصلوا للدولة . فكتب تاتيان : « هل يأمرنا الامبراطور بدفع الجزية ؟ نحن نقدمها عن طيب خاطر . هل يأمرنا الحاكم بعمل خدمة أو عبودية ؟ نحن نعرف بعبوديتنا . ولكن الرجل يجب أن يكرم كما يليق برجل ، أما الله فله وحده التوقير » . . ويكتب ثيوفيليس من أنطاكية : « الإكرام الذي سأقدمه للامبراطور أعظم الكل ، لأنني لن أعبد ، بل سأصلي لأجله . لن أعبد إلا الإله الواحد الحق ، لأنني أعلم أن الامبراطور قد عين بواسطة . . . هؤلاء الذين يعطون الامبراطور تكريماً حقيقياً هم الذين يميلون له ، والذين يطيعونه والذين يصلون لأجله » . وكتب جوستان مارتير « إننا نعبد الله وحده ، ولكن في جميع الأشياء الأخرى نخدمك بسرور . معترفين بالملوك وحكام الناس ، مصليين أن يوجدوا ولهم المنطق الخالص مع هيئة ملكية » . . ولكن أعظم الصلوات للامبراطور جاءت في رسالة كليمنت الروماني الأولى إلى كنيسة كورنثوس والتي كتبت حوالي عام ٩٠ ميلادية بينما كانت وحشية الامبراطور ماثلة في الأذهان . « أنت ، يارب ويا سيد قد أعطيت القائمين علينا وحكامنا قوة السلطان من سلطانك ومجدك الرائع

الذى لا يوصف ، حتى إذ نعلم نحن المجد والتكريم الذى أسبغته عليهم ، نقدم أنفسنا لهم راضين ، غير مقاومين إرادتك فى أى شئ . لهذا ، يارب ، نطلب أن تمنحهم صحة ، وسلاماً ، وتوافقاً ، واستقراراً ، حتى يتمكنوا من إدارة الحكومة التى أعطيتها لهم دون فشل . لأنك ، يا سيد السماء ، وملك الدهور ، قد أعطيت لأبناء الناس الكرامة والسلطان على جميع الأشياء التى فوق الأرض . وجه ، يارب ، مشورتهم حسب ما يطيب ويحسن فى عينيك ، حتى متى استعملوا القوة التى وضعتها بين أيديهم فى سلام ورقة مع تقوى ، نالوا رضاك . أنت ، يا من وحدك قادر على هذه الأشياء ، وما يفوقها بكثير فى الخير لأجلنا ، نحمدك ونشكرك خلال الكاهن الأعظم وحافظ نفوسنا ، يسوع المسيح ، الذى له المجد والكرامة من الآن وإلى كل الدهور ، وإلى الأبد . آمين . » . اعتبرت الكنيسة دائماً واجباً عليها أن تصلى لأجل الذين فى مراكز السلطة فى ممالك الأرض . وقد حملت الكنيسة حتى مبغضها ومضطهدها إلى عرش النعمة بصلواتها المستديمة لهم .

عطايا الله

صلت الكنيسة لأجل أشياء معينة لمن فى مراكز السلطة .

١ — صلت الكنيسة لأجل « حياة هادئة مطمئنة » . كانت هذه صلاة لعصر سلام ، نخال من الحروب ، نخال من الثورات ، نخال من كل ما يمكن أن يعكر سلام الحكم . هذه صلاة المواطن الصالح لأجل بلده .

٢ — ولكن الكنيسة صلت لما هو أفضل كثيراً من ذلك . صلت لأجل « حياة تصرف فى التقوى والوقار » . نجد هنا كلمتين عظيمتين تعتبر من

الخطوط الرئيسية في الرسائل الرعوية . هما كلمتان تصفان ما يجب أن يتحلى به الحاكم ، وما يجب أن يصبو إليه كل مسيحي .

أولاً ، هناك تقوى *Eusebeia* ، وهي واحدة من أعظم الكلمات اليونانية التي لا توجد لها ترجمة دقيقة . تعني الكلمة الوقار والتبجيل نحو الله والإنسان . تصف موقفاً عقلياً يحترم الإنسان ويكرم الله ويثق بذاته . عرفها ايزوبيوس بأنها « توقير للاله الواحد الأحد ، ونوع الحياة التي يود لنا أن نحياها » . بالنسبة لليونانيين ، كان سقراط النموذج العظيم للتقوى ، ويصف اكسينوفون سقراط كما يلي : « شديد الورع ، ملتهب الإيمان حتى أنه لا بخطو خطوة واحدة بعيداً عن إرادة السماء ؛ كثير العدل والاستقامة حتى أنه لم يتسبب قط في إصابة تافهة لنفس حية ؛ ضابط للنفس معتدل الطبع ، حتى أنه لم يختار لنفسه الحلو بدل المر في أى وقت من الأوقات ؛ شديد الحساسية عميق الحكمة حكيم التصرف حتى أنه لم يخطئ قط في التمييز بين الأفضل والأسوأ » . هذه الكلمة « تقوى » قريبة المعنى جداً من الكلمة اللاتينية العظيمة *pietas* . ويصف وارد فولر الـ *pietas* الرومانية : « رغم التجارب والضجيج ، فإن الصفة التي يعرفها الرومان بـ *pietas* تسمو فوق انفعالات العواطف الشخصية ، والسهولة التي تغرى بكثرة التداول . إن *pietas* اينياس صارت إحساساً بالواجب نحو إرادة الآلهة ، ونحو أبيه وابنه وشعبه ؛ هذا الواجب لن يفارقه أبداً » . من الواضح أن *Eusebeia* كلمة شئ عظيم جداً . فهي لا يمكن أن تنسى التوقير الواجب نحو الله ؛ ولا حقوق الناس ؛ ولا الاحترام الواجب نحو الذات . فهي دائماً مدركة للواجب البشرى والإلهي . وتصف أخلاق الرجل الذي لا يمكن أن يخيب أمل الله ، أو الإنسان أو نفسه .

ثانياً — هناك وقار من اليونانية Semnotès ، هنا أيضاً نجد أنفسنا في عالم الكلمات الغير قابلة للترجمة . الصفة المشتقة Semnos إحدى صفات الآلهة . يقول ر. س. ترنش إن الرجل الـ Semnos « ينبثق منه جمال وجلال ، لا تخلعهما عليه الأرض » . ويقول إنه شخص « مجرد مرآة يثير ويوحى بالوقار دون أن يطلبه » . كان أرسطو معلم اليونان الأخلاقي العظيم . وكانت له طريقة في وصف أى فضيلة كتوسط بين حدين متباعدين . على أحد الجانبين يوجد حد الزيادة ، وعلى الجانب الآخر حد النقصان ، وبين الاثنين المتوسط ، الوسط السعيد الذى ترقد فيه الفضيلة وعلى هذا يعرف أرسطو كلمة الوقار بأنها المتوسط بين الضعة والغرور . ويمكن القول بأن الحياة كلها بالنسبة للرجل الوقور ما هى إلا عمل واحد متصل مستمر من العبادة ؛ أن الحياة كلها تصرف في حضرة الله ؛ وهو يتحرك خلال العالم ، دون أن يحدث فيه تغييراً ، ولكن كما لو كان هذا العالم معبداً للاله الحي . هو لا ينسى قط قداسة الله أو جلال الإنسان . هو الشخص الذى يسلك صواباً نحو الله والإنسان .

هاتان صفتان عظيمتان ، صفتان ملكيتان يجدر بكل إنسان أن يرنو إليهما باشتاء ويصلى دائماً لنوالهما .

إله واحد ومخلص واحد

يختم بولس هذا الجزء بفقرة عن أعظم حقائق الإيمان المسيحى .

١ — هناك إله واحد . نحن لا نعيش في عالم كالذى اختلقه الغنوسيون حيث يوجد إلهان متناحran دائماً . ونحن لا نعيش في عالم كالذى اختلقه

الوثنيون حيث تظهر جحافل من الآلهة المتنافسة في حروب مستمرة فيما بينها .
يقص علينا المرسلون أن أعظم اطمئنان تأتي به المسيحية للوثني هو الإيمان بالله
واحد فقط . قبل ذلك ، كانوا يعيشون في عالم تسكنه مئات الآلهة ؛ ولم يكن
بإمكانهم أبداً أن يعرفوا متى أغفلوا تكريماً واجباً لإله ما فاستحقوا نقمته .
لهذا عاشوا في رعب مستمر من الآلهة . إن اكتشافهم لإله واحد اسمه الآب
وطبيعته المحبة حررهم من عبودية الخوف من الآلهة .

٢ - هناك وسيط واحد . حتى اليهود يمكنهم القول بوجود وسطاء
كثيرون بين الله والإنسان . الوسيط هو من يقف بين طرفين (غالباً متنازعين)
ويعمل واسطة بينهما أو يحاول جمعهما معاً . يمكن لليهود أن يقولوا إن الملائكة
وسطاء ، جاء في كتاب دان « تقربوا من الله ، ومن الملاك الذي يتشفع
لكم ، لأنه وسيط بين الله والإنسان » . أما اليونانيون فلهيهم كل أنواع
الوسطاء . قال بلوتارك إنها إهانة لله تصور أن الله ليس له أى ارتباط مباشر
بالعالم ؛ تعامله مع العالم يتم عن طريق ملائكة وشياطين وأنصاف آلهة ،
الذين كانوا يمثلون في الواقع ضباط اتصال بينه وبين العالم . إذاً ففى الفكر
اليهودى أو اليونانى لم يكن هناك طريق مباشر بين الإنسان والله . ولكن ، فى
يسوع المسيح ، يجد المسيحي صلة مباشرة مع الله ، بدون عوائق .

بالإضافة ، هناك وسيط واحد . ويقص علينا . ف . براون أن الهندوس
يجدون هذه الحقيقة صعبة التصديق جداً . يصعب عليهم تصديق أن الله
لا يملك غير طريقة واحدة لخلاص جميع البشر . فيقولون « دينك حسن
لكم ، وديننا لنا » . ولكن إذا لم يكن هناك إله واحد ووسيط واحد ! يمكن
أن يوجد شئ اسمه أخوة الإنسان . إذا كان هناك عديد من الآلهة وعديد من
الوسطاء ، لكان معنى هذا وجود عديد من الآلهة وعديد من الوسطاء جميعها

فى تنافس للفوز باخلاص وولاء ومحبة الناس . ويصبح الدين حينذاك سبباً
للتفرقة بين الناس بدلا من توحيد صفوفهم . فلأنه يوجد إله واحد ووسيط
واحد أمكن للناس أن يكونوا أخوة بعضهم البعض .

ثم يمضى بولس فيدعو يسوع الذى بذل نفسه فدية للجميع . ومعنى هذا
ببساطة أن الله تكلف فى رد الناس إليه هذا الثمن الباهظ ، حياة وموت ابنه ؛
يحكى عن رجل أنه فقد ابناً فى الحرب ، وكان رجلاً دنيوياً عاش حياة لاهية
عابثة دون أن يعرف له إلهاً ؛ ولكن موت ابنه أعاد إليه صوابه ، وأتى به
وجهاً لوجه مع الله فى موقف لم يمر به من قبل . تغير الرجل وأصبح إنساناً
آخر . وفى يوم من الأيام كان يقف بجوار نصب الحرب التذكارى فى
بلدته ، شاخصاً إلى اسم ابنه المنقوش عليه . وفى منتهى السرعة تتم قائلاً :
« أعتقد أنه كان عليه أن ينزل إلى أسفل ليرفعنى أنا إلى أعلى » وهذا هو
ما فعله يسوع بالضبط ؛ فقد تكلف الأمر حياة وموت وآلام وفداء يسوع
المسيح حتى يعرف الناس محبة الله وحتى يعود الناس إلى الله .

ثم ينتقل بولس إلى الكلام عن نفسه والوظائف الأربع التى يشغلها .

١ - هو كازر (أو منبئ) بقصة يسوع المسيح . الكازر هو من يعلن
الحق . الكازر هو من يعطى تصريحاً ويقول « هذا حق » . الكازر هو من
يأتى باعلان ليس صادراً منه بل آتياً من الملك .

٢ - هو شاهد لقصة المسيح . الشاهد هو من يقول : « هذا حق » ، إلى
أعلمه . الشاهد هو من لم يكتف بالقول إن « هذا حق » بل ويضيف إليه
« وأنه يعمل فعلاً » والشاهد هو من لم يكتف بقصة يسوع بل ويقص أيضاً
ما فعله يسوع له شخصياً .

٣- وهو رسول . الرسول هو من كان واجبه تقديم وتمثيل بلده في أرض أجنبية . ورسول في المعنى المسيحي هو إذا من قدم وأوصى بقصة يسوع لآخرين . الرسول هو من يرغب في نقل القصة إلى آخرين ، فيأخذون منها غذاء بقدر ما أخذ منها هو شخصياً .

٤- هو معلم . الكارز هو من أعلن الحقائق ؛ والشاهد هو من أعلن قوة الحقائق ؛ والرسول هو من قدم وأوصى بالحقائق ؛ أما المعلم فهو من قاد الرجال إلى معاني الحقائق . ليس كافياً أن نعلم أن المسيح عاش ومات ؛ بل يجب أن نستخرج من هذه الحياة وهذا الموت معانيهما . للرجل رأس وقلب ؛ له عقل وعواطف ، له ذكاء وأحاسيس ، لا يكف أن يحس بالإعجاب نحو قصة المسيح ، بل عليه أن يستخلص منها حياة لنفسه وللآخرين .

معطلات الصلاة

٨ فَأُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ رَافِعِينَ
أَيْدِيَ طَاهِرَةً بِدُونِ غَضَبٍ وَلَا جِدَالٍ . ٩ وَكَذَلِكَ
أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنْنَ ذَوَاتِهِنَّ بِلبَاسِ الْحِشْمَةِ مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ
لَا بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لَالٍ أَوْ مَلَابِسٍ كَثِيرَةٍ الثَّمَنِ ١٠
بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللَّهِ بِأَعْمَالٍ
صَالِحَةٍ ١١ لِيَتَعَلَّمَ الْمَرْأَةُ سُكُوتَ فِي كُلِّ خُضُوعٍ ١٢ .
وَلَكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلَّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ
بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ ١٣ لِأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلًا ثُمَّ حَوَاءُ ١٤ .
وَأَدَمُ لَمْ يُغْوَ لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدَّى ١٥ .
وَلَكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلَادَةِ الْأَوْلَادِ إِنْ ثَبَتْنَ فِي الْإِيمَانِ
وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ .

١ تيموثاوس ٢ : ٨ - ١٥

أخذت الكنيسة الأولى الطريقة اليهودية في الصلاة . كان اليهودي يصلي واقفاً ، ويداه ممدودتان وكفاه متجهتان إلى أعلا . ثم جاء تيرتليان فيما بعد ليقول إن طريقة الصلاة هذه تصور وضع المسيح على الصليب .

كان اليهود يعلمون جيداً عن العوائق التي تقف بين صلاة الإنسان والله :
سمع إشعياء الله يكلم الشعب : « فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم ، وإن
كثرت الصلاة لا أسمع ، أيديكم ملآنة دماً » . (إشعياء ١ : ١٥) . المطلوب
أشياء معينة .

١ - من يصلي يرفع أيدي طاهرة . يجب أن يبسط الله يدين لم تمسكا أو
تلمسا أشياء محرمة . لا يعنى هذا مطلقاً أن الحاطئ محروم من الله ؛ ولكنها
تعنى أنه لا جدية في صلاة يرفعها رجل ثم يخرج خارجاً ليدنس يديه بأشياء
محرمة ، كما لو كان لم يصل مطلقاً . لا ينطبق هذا على إنسان عاجز واقع في
قبضة خطية ما أو عبد لشهوة أو عادة معينة ، محاولاً في يأس الفكاك منها ،
مدركاً في مرارة فشله المتكرر . بل أن الوصية للشخص الذي يرفع صلاته
كروتين تعود عليه ، الذي يصلي ثم يخرج إلى العالم وإلى حياته كأن شيئاً لم
يحدث .

٢ - من يصلي لا يجب أن يضمر في قلبه غضباً . قيل إن « المغفرة
لا تنقسم » المغفرة البشرية والإلهية يمزجيان بدءاً في يد . مرات ومرات يؤكد
يسوع الحقيقة أنه لا رجاء لنوال مغفرة الله طالما نضمر الكراهية والعداوة
لزملائنا « فان قدمت قربانك إلى المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً
عليك ، فترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلع مع أخيك ،
وحينئذ تعال وقدم قربانك » (متى ٥ : ٢٣ ، ٢٤) . « وإن لم تغفروا
للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (متى ٦ : ١٥) . ويقص
يسوع قصة ما حدث للخادم القاسى القلب الذي لم يصفح ، فلم يجد صفحاً هو
نفسه ، ويختمها هكذا : « وهكذا أبى السماوى يفعل بكم إن لم تتركوا من
قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » (متى ١٨ : ٣٥) . لكي يغفر لنا ، لا بد أن

تكون غافرين . وقد أوجز ، أقدم كتاب مسيحي عن العبادة العامة ويرجع تاريخه إلى عام ١٠٠ ميلادية ، فذكر : « لا تدع أحداً في خصام مع جاره يأتي إلينا ، حتى يصطلحا » . المرارة في قلب إنسان عائق يمنع وصول صلواته لله .

٣ - من يصلي لا يجب أن يحتفظ بشكوك في عقله . هذه الجملة لها معنيين والكلمة المستعملة يمكن أن تعني جدال أو شك . لو أخذناها بمعنى ، جدال فسيتكرر ببساطة ما سبق أن ذكر . ستعاد الحقيقة أن المرارة ، والخصام ، والجدال الحاد ، والمناقشات المسمومة ما هي إلا معوقات للصلاة . من الأفضل إذا أخذ المعنى الثاني وهو الشك . قبل أن تستجاب الصلاة يجب أن يكون هناك إيمان أن الله سيستجيب . إذا صلى رجل في يأس وتشاؤم ، إذا صلى وهو لا يؤمن أن صلاته لها أي فائدة ، فالمؤكد أن صلاته ستسقط قبل أن يتاح لها صعود . قبل أن يشفى الرجل ، يجب أن يثق أنه يمكن شفاؤه ؛ وقبل أن يتمكن الشخص من التعلق بنعمة الله ، يجب أن يؤمن أولاً بنعمة الله . يجب أن نأخذ صلواتنا إلى الله في كامل الثقة أن الله هو الإله الذي يستمع ويستجيب للصلاة .

النساء في الكنيسة

الفقرة الثانية من هذا الجزء تعالج مركز النساء في الكنيسة .

لا يمكن قراءة هذا الجزء دون معرفة التاريخ الذي أحاط به ، فهو وليد الظروف التي كتبت فيها . وهو مكتوب في ظل تاريخ مزدوج .

١ - كتب في ظل تاريخ يهودي . في وجهة النظر اليهودية الرسمية ،

كانت المرأة في مستوى دنىء . حقيقة لم تنل المرأة في شئون العائلة والمنزل مكانة مثل تلك التي حصلت عليها في الدولة اليهودية ؛ ولكن مركز المرأة رسمياً ظل في الحضيض . لم يعتبر القانون اليهودي المرأة شخص له كيان ، بل شيء . كانت بكل ما لها . تحت إمرة أبيها أو زوجها . كانت ممنوعة من دراسة الناموس ؛ وتعليم المرأة في الناموس كالقاء اللآلئ أمام الخنازير . لم يكن للنساء أى دور في خدمة المجمع ؛ بل كن يحجزون في قسم خاص بالمجمع ، أو في ال gallery ، حيث لا يشاهدون ، ولا يسمح لهن بممارسة أى خدمة . يأتي الرجل إلى المجمع ليتعلم ؛ ولكن ، على أكثر تقدير ، تأتي المرأة لتستمع . في المجمع ، تقرأ الكتابات المقدسة بواسطة أعضاء من المجتمعين ، ولكن لا يسمح للنساء بالقراءة ، لثلا يقلل هذا من « كرامة المجمع » . وكان محرماً بتاتاً على المرأة أن تدرس في مدرسة ؛ حتى ولو كان هذا لأصغر الأطفال . وكانت المرأة معفاة من طلبات الناموس المعروفة . فلم يكن محتماً عليها حضور الاحتفالات المقدسة والأعياد . احتسب النساء ، والعبيد والأطفال في طبقة واحدة . في الصلاة اليهودية الصباحية ، يشكر الرجل الله أن الله لم يجعله « أممياً ، أو عبداً أو امرأة » . في كتاب « أقوال الآباء » يذكر المعلم جوزيه بن جوهانان : « ليكون بيتك مفتوحاً ، وليكن الفقراء أهلك وعشيرتك ، ولا تتحدث كثيراً مع امرأة ؛ وكان يقصد بهذا زوجته ، ويقل الحديث كثيراً إذا كانت المرأة زوجة آخر . لهذا قال الحكماء : من تكلم كثيراً مع امرأة ، يجاب الشر على نفسه ، ويتوقف عن عمل الناموس ، وأخيراً يصل إلى جهنم » . والمعلم الأصيل لا يسلم على امرأة في الشارع ، حتى لو كانت زوجته أو ابنته أو أمه أو أخته . وقيل عن النساء : « عملها أن ترسل أطفالها إلى المجمع ؛ الاهتمام بالشئون المنزلية ؛ تترك زوجها حراً لكي يدرس في

المدارس ؛ وتدبر له البيت حتى يعود » . يجب أن نذكر أنه من مثل هذه البيئة اليهودية نشأت الكنيسة .

٢ - كتب في ظل تاريخ يوناني . المنشأ اليوناني ضاعف من صعوبة الأشياء . كان مكان المرأة في الدين اليوناني منخفضاً . ضم معبد أفروديت في كورنثوس ١٠٠٠ كاهنة كن عاهرات مقدسات يعرضن بضاعتهم كل مساء في شوارع المدينة . وضم معبد ديانا في أفسس مئات من الكاهنات وكانت وظيفتهن مماثلة . كانت المرأة اليونانية المحترمة تحيا حياة محدودة تماماً . تعيش داخل جناحها الذي لا يدخله إلا زوجها . لم تكن تظهر حتى لتناول الطعام . ولا يمكن أن تخرج بمفردها إلى الشارع ؛ ولا يمكن أن تذهب إلى اجتماع عام ، أو تشارك بكلام أو عمل . والحقيقة هي أنه لو كانت النساء المسيحيات في مدينة يونانية قد شاركت بعمل فعلى في نشاطات الكنيسة من تعليم ووعظ ، لكان من المحتم وصم الكنيسة بأنها مركز للنساء الخليعات الفاسدات . لذلك لم يكن ممكناً في أى مجتمع يوناني وضع تنظيمات غير الموجودة فعلاً .

وفوق هذا ، تواجدت نساء في المجتمع اليوناني ، لم يكن اهتمام حياتهم منحصراً إلا في اقتناء الملابس الفاخرة وتصفير الشعر . ومن روما ، يقص علينا بليني Pliny أن عروساً ، لوليا بولينا بالاسم ، تكلف فستان زفافها ما قيمته حالياً ٤٣٢,٠٠٠ دولار . بلغت محبة الملابس ومحبة العرض ، ومحبة الحللى بين بعض نساء اليونان والرومان درجة كانت تصدم اليونانيين والرومان أنفسهم . دعيت أديان اليونان العظيمة ديانة الأسرار ، وهى تتضمن ، على وجه الدقة ، نفس الأنظمة عن الملابس . هناك حفرة تقرأ كالتالى : « المرأة المكرسة لا تقتنى حلياً ذهبية ، أو أحمر شفاه ، أو بودرة للوجه ، أو عصاية

للرأس ، أو شعراً مضمفراً ، أو أحذية إلا ما كان مصنوعاً من اللباد أو جلود حيوانات القرايين » . لم تضع الكنيسة المسيحية هذه الأنظمة على أنها أنظمة دائمة ، ولكنها وجدت ضرورية لتستطيع الكنيسة أن تتعايش مع الظروف التي وجدت فيها .

على أى حال هناك الكثير ضد المرأة . مما جاء في القصة القديمة فالمرأة خلقت بعد الرجل ، وأن المرأة هي التي سقطت تحت إغراء الحية ؛ ولكنه حقيقى أيضاً أن مريم الناصرية حملت وربت الطفل يسوع ؛ وأن مريم المجدلية كانت أول من رأى رب المجد المقام ؛ وبين جميع التلاميذ لم يقف عند الصليب إلا أربع نسوة . كانت بريسكيلا مع زوجها أكيلا معلماً له وزنه في الكنيسة الأولى ، معلماً قاد أبوللوس إلى معرفة الحق (أعمال ١٨ : ٢٦) . أفودييه وسنتيخي ، رغم خصامهما ، جاهدتا في الإنجيل (فيلبي ٤ : ٢ و ٣) . وكان للإنجيلي فيليب أربع بنات كن أيضاً نبيات (أعمال ٢١ : ٩) . من حق المتقدمات في السن أن يعلمن (تيطس ٢ : ٣) . وكان بولس يحتفظ للويس وأفنيكي بأكرم مقام (٢ تيموثاوس ١ : ٥) ؛ وهناك كثير من أسماء النساء المكرمات في رومية ١٦ . كل ما جاء في هذا الإصحاح إنما هي تعليمات وقتية وضعت لمواجهة موقفاً معيناً . إذا أردنا أن نعرف رأى بولس الحقيقى الدائم في هذا الأمر ، نجده في غلاطية ٣ : ٢٨ : « ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع » . كل اختلافات المكان والكرامة والمركز والوظيفة داخل الكنيسة تزول وتختفى في المسيح .

ورغم هذا ، فإن هذا الجزء يختم بحق ثابت . فيقول إن النساء سيخلصن بولادة الأولاد . هناك احتمال معين هنا . احتمال ضعيف أن في هذه العبارة

إشارة إلى الحقيقة وهي أن مريم ، وهي امرأة ، كانت أم يسوع . وربما كان هذا يعنى أن النساء سيخلصن ، كما سيخلص جميع الناس ، بهذا العمل الأسمى من « ولادة الأولاد » والذي جاء به ابن الله إلى العالم . ولكن المعنى الأبسط لهذه الجملة أكثر احتمالاً ، وهذا المعنى هو أن النساء سيجدن حياة وخلصاً ، ليس في حضور اجتماعات ، أو في مخاطبة جماهير ، بل في الأمومة التي هي تاجهن . فالمرأة ملكة داخل بينها .

لا يجب أن نأخذ هذا الجزء على أنه عائق ضد أعمال وخدمة النساء داخل الكنيسة ؛ بل يجب أن نقرأه في ضوء تاريخه اليهودي وفي ضوء الموقف في مدينة يونانية . كما يجب أن ننظر وجهة نظر بولس الدائمة التي تخبرنا أن كل الاختلافات قد زالت ، وأن الرجال والنساء ، العبيد والأحرار ، اليهود والأمميين ، الجميع واحد لهم نفس الحقوق في خدمة المسيح .

الْأَصْحَاحُ الثَّالِثُ

قادة الكنيسة

١ صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ إِنْ أَبْتَغَى أَحَدٌ الْأُسْقُفِيَّةَ
فَيَسْتَهَيِّ عَمَلًا صَالِحًا . ٢ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْقُفُ
بِلَا لَوْمٍ بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ صَاحِبًا عَاقِلًا مُحْتَشِمًا مُضِيْفًا
لِلْغُرَبَاءِ صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ . ٣ غَيْرَ مُذْمِنٍ الْخَمْرِ وَلَا ضَرَّابٍ
وَلَا طَامِعٍ بِالرَّبْحِ الْقَبِيحِ بَلْ حَلِيمًا غَيْرَ مُخَاصِمٍ وَلَا مُحِبٍّ
لِلْمَالِ ٤ . يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا لَهُ أَوْلَادٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ
وَقَارٍ . ٥ وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ
فَكَيْفَ يَغْتَنِي بِكِنْيَسَةِ اللَّهِ . ٦ غَيْرَ حَدِيثِ الْإِيمَانِ لِئَلَّا
يَتَصَلَّفَ فَيَسْقُطُ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ . ٧ وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ
تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ لِئَلَّا
يَسْقُطَ فِي تَغْيِيرٍ وَفَخٍّ إِبْلِيسَ .

١ نيموثاوس ٣ : ١ - ٧

هذا الجزء هام جداً من ناحية إدارة الكنيسة ، فهو يتعلق بالرجل الذي
يدعوه الكتاب الأسقف Bishop .

جاء بالعهد الجديد كلمتان تشرحان صفات حاملي الوظائف الرئيسية

بالكنيسة ، هؤلاء الذين تواجدوا في كل اجتماع للكنيسة ، والذين كان لإدارتهم وتصرفاتهم كان الفضل في نجاح الاجتماعات أو فشلها .

١ - هناك الشيخ (elder, presbuteros) . المشيخة هي أقدم الوظائف داخل الكنيسة . كان لليهود مشايخهم ، ويعود تاريخهم إلى المناسبة التي عين موسى على أثرها سبعين رجلاً لمساعدته في حكم ورعاية الشعب أثناء تجوالهم بالبرية (عدد ١١ : ١٦) كان لكل مجمع شيوخه ، وكان هؤلاء الشيوخ القادة الحقيقيين للمجتمع اليهودي . ترأسوا العبادة في المجمع ؛ وتولوا توجيه التأديب والتعنيف حيناً وجد هذا ضرورياً ؛ فضوا المنازعات والمشاحنات والأحوال التي احتاجت لمحاكم في البلاد الأخرى . كان للشيوخ احترام خاص بين اليهود ، وقد باشروا سلطة أبوية على الأمور الروحية والمادية في المجتمع اليهودي . ولكن كانت هناك شعوب كثيرة بخلاف اليهود تتبع نظام المشيخة . فكان للاسبرطين مجلس حاكم اسمه *gerousia* ويعني مجلس الشيوخ .

دعى برلمان روما مجلس الشيوخ *the Senate* ، التي تأتي من *senex* وتعني رجلاً كبير السن . وفي إنجلترا كان الرجال الذين يباشرون شئون المجتمع يدعون *aldermen* ، وتعني الشيوخ . وفي مصر ، لكل قرية مصرية مشايخها الذين يتولون شئونها .

للشيوخ تاريخ طويل ، ولهم مكان في حياة كل مجتمع تقريباً .

٢ - ولكن أحياناً يستعمل العهد الجديد كلمة أخرى ؛ يستعمل كلمة *episkopos* ، والتي ترجمت إلى أسقف *bishop* ، والتي تعني حرفياً الناظر أو المشرف . لهذه الكلمة أيضاً تاريخ طويل مشرف . في الترجمة السبعينية للتوراة ، تستعمل الكلمة عن رؤساء العمل الذين كانوا يباشرون

مشروعات الأعمال والمباني العامة (١ أيام ٣٤ : ١٧) . واستعملها اليونانيون عن الرجال الذين أرسلوا من العاصمة لتنظيم الشئون في مستعمرة منشأة حديثاً في مكان بعيد . واستعملت الكلمة أيضاً عن أولئك الذين ندعوهم الآن مجلس المدينة الذين يقومون بالإشراف على شئون المدينة . واستعملها الرومان عن الموظفين العموميين المعيّنين للإشراف على مبيعات الطعام داخل مدينة روما . واستعملت أيضاً عن مندوبي الملك لمراقبة تنفيذ الأحكام والقوانين والتشريعات التي يصدرها الملك . هذه الكلمة episkopos كانت دائماً تحمل معنيين . أولاً ، كانت تعني نظارة على منطقة معينة أو على دائرة عمل ما ؛ ثانياً ، كانت تعني مسئولية أمام جهة أو سلطة أعلى . فهي إذا كلمة ذات تاريخ مشرف ومستول .

والسؤال الهام هنا هو : ماذا كانت العلاقة في الكنيسة الأولى بين الشيخ وبين الناظر ، الرجل الذي يلقبه الكتاب بالأسقف والذي دعونا بالناظر ؟ يتجه تفكير كل الباحثين العصريين إلى أنه في الكنيسة الأولى كان الشيخ والأسقف (أو الناظر) شخصاً واحداً . وتعليل ذلك ما يأتي :

(أ) كان الشيوخ يعينون في كل مكان . بعد رحلتها الإرسالية الأولى ، عين بولس وبرنابا شيوخاً في جميع الكنائس التي أنشأها (أعمال ١٤ : ٢٣) . يوجه تيطس إلى تعيين وتنصيب شيوخ في كل مدن كريت (تيطس ١ : ٥)

(ب) صفات الشيوخ والأساقفة كانت متطابقة في جميع الأغراض . (١ تيموثاوس ٣ : ٢ - ٧ ؛ تيطس ١ : ٦ - ٩)

(ج) في بداية الرسالة إلى أهل فيلبّي ، يرسل بولس تحياته إلى الأساقفة وإلى الشمامسة (فيلبّي ١ : ١) . ومن المستحيل أن لا يرسل

بولس تحيات مطلقاً إلى الشيوخ ، الذين ، كما رأينا ، كانوا في كنيسة ؛ لهذا فإن الأساقفة والشيوخ لا بد كانوا واحداً ، نفس المجموعة من الناس .

(د) في رحلة بولس الأخيرة إلى أورشليم ، أرسل إلى الشيوخ من أفسس لمقابلته في ميليتس (أعمال ٢٠ : ١٧) ، وفي سياق الحديث معهم قال إن الله جعلهم نظاراً ، وأساقفة لرعاية كنيسة الله ، (أعمال ٢٠ : ٢٨) . أي أن بولس خاطب نفس المجموعة من الرجال ، أولاً كشيوخ وثانياً كأساقفة أو نظار .

(هـ) عندما كتب بطرس إلى شعبه خاطبهم هكذا — من شيخ إلى شيوخ — (١ بطرس ٥ : ١) ، ثم مضى ليقول أن عملهم هو رعاية شعب الله (١ بطرس ٥ : ٢) ، والكلمة التي يستعملها لرعاية هي الفعل episkopein التي جاءت منها كلمة episkopos الأسقف . أي أن جميع الشواهد تشير إلى أنه في زمن العهد الجديد كان الشيخ والأسقف واحداً بل نفس الشخص .

هذا يفسح المجال لسؤالين . أولاً ، إذا كانوا واحداً ، لماذا استعمل اسمين لهما ؟ والجواب أن كلمة شيخ كانت تصف واقع ، وطبيعة هؤلاء الرجال . كانوا كبار السن ، أكبر وأكثر الأعضاء احتراماً بين الجميع . أما كلمة أسقف ، فهي تصف الوظيفة ونوع العمل ، وهو النظارة والإشراف على حياة وعمل الكنيسة . كلمة تصف الرجل ، والكلمة الثانية تصف عمل الرجل .

السؤال الثاني هو : إذا كان الشيخ والأسقف أصلاً شخصاً واحداً ، كيف صار الأسقف إلى ما صار عليه ؟ والجواب على ذلك سهل . من المحتم

أن مجموعة الشيوخ نفسها كانت ستنتهى إلى إيجاد قائد لها . شخص ليقود ويرأس كان ضرورة من المحتم أن تظهر . وكلما ازداد تنظيم الكنيسة ، كلما ازدادت الحاجة إلى مثل هذا الشخص وكان لا بد من أن يبرز . وهكذا قدر للشيخ الذى برز فى صف القيادة أن يدعى ناظراً للكنيسة أو أسقفاً . ولكن الملاحظ أنه كان قائداً بين زملاء يتساوون معه . فى الحقيقة كان شيخاً اجتمعت الظروف والمزايا الشخصية أن تجعل منه قائداً لعمل الكنيسة .

وسنرى أن ترجمة episkopos إلى أسقف فى زمن العهد الجديد يعطى للكلمة الآن مفهوماً خاطئاً . من الأفضل ترجمتها إلى ناظر أو مشرف .

تعيين وواجبات قادة الكنيسة

الطريف فى هذا الجزء أيضاً أنه يخبرنا عن تعيين قادة الكنيسة وواجبات وظروف خدمتهم .

١ - أفرز القادة رسمياً وعلنياً لأجل هذه الوظيفة كان على تيطس أن يسمح شيوخ فى كل كنيسة (تيطس ١ : ٥) . فالموظف فى الكنيسة لم يكن يعين فى الخفاء ؛ بل يسمح ويفرز للوظيفة أمام جميع الناس . يعرف الرجال وضعه . وهو يمثل الكنيسة أمامهم ، وتسلم إليه مسئوليات علناً .

٢ - كان على القادة تمضية فترة تجريبية اختبارية . (١ تيموثاوس ٣ : ١٠) . لا يبنى أحد بناء أو يصمم ما كينة من معدن لم يفحص ويختبر من قبل . ويحسن بالكنيسة أن تكون أكثر تدقيقاً فى اختبار قادتها .

٣ - كان يدفع للقادة قيمة العمل الذى يؤدونه . الفاعل مستحق أجرته (١ تيموثاوس ٥ : ١٨) . لا يعمل القائد المسيحى لأجل الأجر ، ولكنه

محتاج أن يعيش ، وواجب الكنيسة التي اختارته للعمل فيها أن تعطيه ما يسد عوزة ومعيشته .

(٤) كان القادة معرضين للرقابة (١ تيموثاوس ٥ : ١٩ - ٢٢) .
كان لحامل الوظيفة في الكنيسة الأولى عملين : فهو القائد والمشرف على الكنيسة ، ولكنه كان أيضاً خادماً وأمين الكنيسة . كان مسئولاً عن وكالة . ولا يحق لأي قائد مسيحي أن يتخذ موقف عدم المسئولية أمام أحد . فهو مسئول أمام الله ، وهو مسئول أمام الشعب الذي أعطاه له الله لكي يرعاه .

(٥) كان على القادة واجب رئاسة الاجتماع المسيحي وتعليم الشعب . الإدارة والتعليم . (١ تيموثاوس ٥ : ١٧) . ربما كان أحد مأسى الكنيسة الحديثة أن العمل الإداري طغى كلية على العمل التعليمي في واجبات حامل الوظيفة . وعلى سبيل المثال ، من الأشياء المؤسفة أن نرى حفنة قليلة من الشيوخ مشغولين جدياً في العمل التعليمي لمدارس الأحد .

٦ - إحدى النصائح الطريفة أن لا يكون حامل الوظيفة حديث الإيمان ويعطى سببان لهذا . الأول واضح تماماً وهو « لئلا يتعالى باحساسه بأهميته » والسبب الثاني ليس في مثل هذا الوضوح ، إنه كما جاء في الكتاب ، « لكي لا يسقط في دينونة إبليس » . هناك ثلاثة إيضاحات محتملة لهذه الجملة الغريبة .

(أ) كانت الكبرياء سبب سقوط إبليس . كبرياء إبليس أثارتته ضد الله ، وبالتالي إلى طرده من السماء . ربما كان هذا ببساطة تحذيراً ثانياً ضد الكبرياء .

(ب) وربما عنت الجملة ، أن حديث الإيمان إذا سقط في خطية الكبرياء ، أتاح للشيطان فرصة توجيه الاتهام إليه . حامل الوظيفة

المغرور يعطى للشيطان فرصة إثارة منتقدي الكنيسة بقوله :
« انظروا ؛ هذا هو إنسانكم المسيحى ! هذا هو عضو الكنيسة !
هذا هو نوع حامل الوظيفة ! » حامل الوظيفة المتهم بالكبرياء
يعطى فرصة للشيطان أن يهمس بآتهاماته ضد الكنيسة فى آذان
أولئك الذين ينتظرون أى عصاة يضربون بها الكنيسة .

(ح) كلمة *diabolos* لما معنيان . تعنى الشيطان وهذا هو المعنى
الذى اتبعه الكتاب (الترجمة المعتمدة) . ولكنها أيضاً تعنى
المغتتاب . وهى نفس الكلمة التى استعملت لتفيد معنى المغتتاب
فى آية ١١ ، فى الجملة التى تحرم على النساء أن يكن ثالبات . إذاً
ربما كان معنى هذه الجملة هو أن حديث الإيمان المعين فى الوظيفة
والذى انتفخت أوداجه غروراً ، يعطى فرصة للمغتتابين أن
ينهشوا فى سيرة الكنيسة . فسلوكه الغير لائق وقود يشعله أعداء
الكنيسة ومنتقديها . مهما كان المعنى الذى نرتضيه ، فان النقطة
الأساسية هى أن موظف الكنيسة المتكبر المغرور حمل ثقل على
الكنيسة .

ولكن مسئولية حامل الوظيفة فى الكنيسة لم تكن فى رأى الكنيسة الأولى
محصورة فقط داخل الكنيسة بل كان له منطقتا نفوذ أخرى ، وإذا فشل
فيها . حق عليه الفشل فى الكنيسة أيضاً .

١ — أول منطقة نفوذ هى بيته . إذا لم يعرف الرجل كيف يدير بيته ،
كيف يتسنى له أن يدير شئون رعية الكنيسة ؟ (١ تيموثاوس ٣ : ٥) .
الرجل الذى لم ينجح فى تهيئة بيت مسيحى من الصعب توقع نجاحه فى تهيئة
كنيسة مسيحية . الرجل الذى فشل فى تعليم وتوجيه عائلته وأفراد أسرته ،

كيف يصلح أن يعلم ويرشد عائلة الكنيسة ؟ عمل الكنيسة ليس فضيلة أو فضلاً يزداد عليه ، إذا كان في تأديته قد أهمل بيته وعائلته . العمل المسيحي كعمل الخير ، يبدأ من البيئة .

٢ - له منطقة نفوذ ثانية في العالم . يجب أن يكون حاصل على « شهادة حسنة من أولئك الذين في خارج الكنيسة » (١ تيموثاوس ٣ : ٧) . يجب أن يكون رجلاً كسب احترام زملائه في أعمال الحياة اليومية المعتادة . وفي ميادين العمل . لم يسيء إلى الكنيسة قدر أولئك العاملين الظاهريين في الكنيسة بينما حياتهم الاجتماعية وفي ميادين العمل تكذب الإيمان الذي يتشددون به والمبادئ التي ينادون بها . إن حامل الوظيفة المسيحي يجب أن يكون ، أولاً وقبل كل شيء ، إنساناً صالحاً .

صفات القائد المسيحي

رأينا كيف يجب على القائد المسيحي أن يحظى باحترام الجميع . ويوجد في هذا الجزء متابعة طويلة من الألفاظ والجمل التي تصف هذه الأخلاق المسيحية ؛ ومن المستحسن أن نبحث كل منها على حدة . ولكن قبل أن نفعل هذا ، ربما كان من الطريف أن نفرّد إلى جانبها وصفين شهيرين للأخلاق الواجب توفرهما كما رآها كبار مفكري الوثنية : يسلمنا ديوجينيس لارشيس الوصفة الصوفية للرجل الصالح . يجب أن يكون متزوجاً ؛ غير متكبر ، معتدلاً يجمع بين رجاحة العقل وكمال السلوك الخارجي . ووصف كاتب اسمه أونوزاندر أخلاق القائد المثالي . يجب أن يكون حريصاً ، ضابطاً للنفس ، متيقظاً مقتصداً ، صبوراً في المشقات ، ذكياً ، دون محبة للمال ، لا صغير السن ولا كبيره ، يفضل أن يكون رب عائلة ، متحدث كفء ،

وذو سمعة طيبة . من الطريف أن نجد عند مناقشة صفات الرجولة الحقيقية ، تطابق الأوصاف المسيحية والوثنية .

القائد المسيحي شخص بلا لوم والكلمة في أصلها تعني مركزاً غير معرض للهجوم ، أو حياة لا تقبل الرقابة ، إنها فن أو صنعة تبلغ حد الكمال فلا يمكن رؤية الخطأ فيها ، أو هي اتفاقية لا يمكن مهاجمتها أو إفسادها . يجب أن يكون القائد المسيحي شخصاً خلت حياته من تلك الأخطاء التي يمكن مهاجمتها بتهم معينة ، ليس هذا فقط بل يجب أن تصل أخلاقه إلى درجة من السمو ترقى به فوق كل انتقاد . في ترجمة ريمس Rheims للعهد الجديد تترجم هذه الكلمة اليونانية بكلمة انجليزية غير عادية هي irreprehensible ، أى لا يمكن إيجاد عيب فيه . وعرف اليونانيون أنفسهم الكلمة بأنها تعني « لا تعطى العدو فرصة أن يتمسك عليك بشئ » . هنا مثال الكمال الذي لن نتمكن تماماً من الوصول إليه ، ولكن الحقيقة تبقى أن على القائد المسيحي أن يجاهد ليقدم للعالم حياة تبلغ في طهارتها ونبيلها ما لا يترك حتى ثغرة صغيرة لانتقاد نفسه .

القائد المسيحي يجب أن يكون بعل امرأة واحدة . الأصل اليوناني لهذه تعني حرفياً أن القائد المسيحي يجب أن يكون « زوجاً لامرأة واحدة » . يوجد البعض ممن يأخذون هذه على أنها تعني أن القائد المسيحي يجب أن يكون رجلاً متزوجاً ، ومن المحتمل أن الجملة تقصد ذلك ؛ ومن المؤكد أن رجلاً متزوجاً أقدر على كتمان الأسرار وتقديم العون أكثر من رجل أعزب ، إن في إمكانه أن يبدى فهماً خاصاً ومشاطرة أبلغ في كثير من المواقف .

وهناك أقلية تأخذ هذه الجملة لتعن أنه لا يحق للقائد المسيحي بأى حال أن يتزوج مرة ثانية، حتى بعد وفاة زوجته. ويستندون في ذلك إلى ما جاء

بتعليم بولس في اكورنثوس ٧ . ولكن الجملة في مضمونها هنا تعنى بالتأكيد أن القائد المسيحى يجب أن يكون زوجاً وفياً ، محافظاً على الزواج فى كل طهارته . وفى السنين التالية أرسى القانون الرسولى قواعد هذا الزواج : « من كان مرتبطاً بزواجين ، بعد تعميده ، أو من اتخذ لنفسه محظية ، لا يصلح أن يكون أسقفاً » .

ولنا إذاً أن نتساءل : لماذا وجد وضع شرط يبدو من الواضح بحيث لا يحتاج لتنظيم ؟ يجب أن نتفهم الحالة فى العالم التى دعت لهذا الشرط . قيل بحق أن الفضيلة الجديدة الكاملة الوحيدة التى أدخلتها المسيحية إلى هذا العالم كانت فضيلة العفة . فى نواح كثيرة يصدق القول إن العالم القديم كان فى حال فوضى أخلاقية . وكان هذا حقيقياً حتى عن العالم اليهودى . وبرغم ما فى هذا من غرابة ، كان لا يزال هناك بعض اليهود يؤمنون ويباشرون الزواج بأكثر من واحدة . فى « محادثة مع تريفو » التى يناقش فيها جوستين مارتر المسيحية مع يهودى ، يقال فيها « أنه من المصرح به لليهودى حتى الآن أن يقتنى أربع أو خمس زوجات » .

ويكتب يوسيفوس : « حسب التقاليد الموروثة ، يستطيع الرجل أن يعيش مع أكثر من زوجة واحدة » . لنترك هذه الحالات الغير عادية ، فنجد أن الطلاق كان سهلاً بطريقة مؤسفة فى العالم اليهودى . كان لليهود أفكار مثالية عظيمة عن الزواج . فقالوا إنه أفضل للرجل أن يسلم نفسه للموت عن أن يرتكب جريمة قتل ، أو عبادة الأوثان أو الزنا . كان لديهم الإيمان أن الزيجات مرتبة فى السماء . فى قصة زواج اسحق ورفقة قيل « من عند الرب نخرج الأمر » (تكوين ٢٤ : ٥٠) . وأخذ هذا على أنه يعنى أن الزواج مرتب بأمر الله . كذلك يقال فى أمثال ١٩ : ١٤ « أما الزوجة المتعقلة فمن

عند الرب . وفى قصة توبت ، يقول الملاك لتوبت : « لا تخف فهى معدة لك منذ البدء » (توبت ٦ : ١٧) . كذلك قال معلمو إسرائيل : « الله يجلس فى السماء يرتب الزيجات » : « قبل أن يتكون الطفل بأربعين يوماً ، يعين صوت من السماء رفيق حياته » .

وبرغم كل ذلك ، سمح الناموس اليهودى بالطلاق . حقيقة كان الزواج مثالياً ولكن الطلاق كان مسموحاً به . كان الزواج « غير قابل للاتلاف ولكنه لم يكن غير قابل للحل » . تمسك اليهود بأنه متى ما تحطم هذا الزواج المثالى نتيجة للقسوة أو الخيانة أو عدم التكافؤ ، كان من الأفضل جداً السماح بالطلاق وإعطاء فرصة أخرى لكل طرف أن يبدأ بداية جديدة . ربما كان هذا جيداً ، ولكن مأساة قانون الطلاق اليهودى أنه لم يكن للزوجة أى حقوق على الإطلاق . يقول يوسيفوس : « قانوناً ، من حق الزوج أن يفسخ الزواج ، ولكن بالنسبة للزوجة ، إذا تركت زوجها ، لا يمكنها أن تزوج شخصاً آخر ، إلا إذا أدخل زوجها السابق طرفها » فى زمن العهد الجديد ، إذا تم الطلاق بموافقة الطرفين ، لا يتطلب الأمر محكمة على الطلاق ، بل شاهدين فقط . من حق الزوج أن يطرد زوجته لأى سبب ، وكل ما يمكن للزوجة أن تفعله أن ترفع التماساً للمحكمة لى تنصح زوجها بأن يحررها وثيقة طلاق ، ولم يكن فى وسع المحكمة حتى أن تجبره على عمل كهذا .

وفى مواجهة هذا الموقف بين اليهود ، وصل الأمر إلى درجة أن « النساء رفضن عقود الزواج ، وشاب كثير من الرجال دون زواج » ثم توقفت هذه العملية بالتشريع الذى أدخله سمعان بن شيتاه . وبمقتضاه تحضر الزوجة اليهودية لزوجها دوطه ، وشرع سمعان أن لكل رجل تمام الحرية فى استعمال هذه الدوطه ، طالما ظل زوجاً لزوجته ، ولكن فى حالة الطلاق كان من

المهم عليه أن يرد الدوطة ، « حتى لو باع جلده » لينمكن من ذلك . وضع هذا القانون حداً للطلاق ؛ ولكن النظام اليهودي ظل دائماً عرضة للألأعيب بالنسبة لأن الزوجة لم تملك حقاً على الإطلاق .

في العالم الوثني ، كانت الأمور أسوأ بما لا نهاية . وحسب القانون الروماني ، لم يكن للزوجة أى حقوق . قال كاتو : « إذا أخذت زوجتك في زنا ، يمكنك أن تقتلها دون أن تخاف شيئاً ، وبدون أن تعرض لمحاكمة ؛ ولكنك إذا اشتركت في زنا ، لا تجسر هي أن ترفع إصبعاً ضدك ، لأنه غير قانوني » . وقد ساءت الأمور جداً ، وأصبح الزواج عبثاً ثقيلاً ، للدرجة أنه في عام ١٣١ قبل الميلاد صرح روماني معروف اسمه ميتيلس ماسيدونيكس واقتبس تصريحه القيصر أغسطس فيما بعد : « لو استطعنا أن نعيش بدون زوجات ، لتخلصنا من هذا الضيق . ولكن حيث أن الطبيعة قد أصدرت حكمها في أننا لن نستطيع العيش في راحة معهن أو نحيا على الإطلاق بدونهن ، فن الأفضل أن ننظر مصالحنا الدائمة بدلاً من لذاتنا الوقتية » .

حتى شعراء الرومان رأوا الموقف الميثوس منه . كتب هوراس « عهد غنية بالآثم كانت السبب في وصم الزواج والحياة العائلية . ومن هذا المنبع فاض نهر الشر » . وقال بروبشياس ، « سرعان ما ستجف البحار وتسقط النجوم من السماء قبل أن يصلح حال نساتنا » . وكتب أوفيد كتابه الشهير أو الناضح « فن الحب » ، لم يذكر فيه الحب الزوجي مرة واحدة . بل كتب ساخراً : « النساء الطاهرات فقط هن من لم يحاول معهن أحد ، وإذا غضب رجل من شطحات زوجته الغرامية يكون فلاحاً جلفاً » . ويعلن سنيكا : « من لم تفح رائحة أموره الغرامية ، ولا يدفع إلى امرأة متزوجة أجراً سنوياً ، تحقره النساء كحبيب للبنات فقط ؛ في الحقيقة ما الأزواج إلا مجرد فيخ

لاصطياد العشاق » . وقال « القبيحات فقط هن المخلصات » . أيضاً « المرأة التي تكتفى باثنين فقط يرافقهما هي قمة الفضيلة » .

ويمتدح تاسيتس القبائل الجرمانية المتبربرة لأنها « لا تضحك للشر ولا تجعل من إغراء الجنس روح العصر » .

عندما يحدث زواج ما ، كان البيت الذي سيذهب إليه العروسان يزين بأوراق الغار الخضراء . ويقول جوفينال أنه وجد أولئك الذين يبدأون في إجراءات الطلاق قبل أن تجف أوراق الغار . في عام ١٩ قبل الميلاد أقام رجل اسمه كينتس نصباً لزوجته ، كتب عليه :

« نادراً ما يطول زواج حتى الموت دون طلاق ؛ ولكن زواجنا دام في سعادة لمدة ٤١ عاماً » . الزواج السعيد كان الاستثناء الغريب .

كان لكل من أوفيد ، بليني ثلاث زوجات ؛ ولكل من سيزار وانطوني ٤ زوجات ؛ ولكل من سولا وبومبي ٥ زوجات ؛ كان لهيروودس ٩ زوجات ولتليا ابنة شيشرون ٣ أزواج . وكان الامبراطور نيرون الزوج الثالث لبوبيا والزوج الخامس لستاتيليا مسالينا .

لهذا وضعت الرسائل الرعوية شرط زواج القائد المسيحي بامرأة واحدة . في عالم غارق في الفسق حتى في الأماكن العالية ، كان على الكنيسة المسيحية أن تبرهن على العفة المسيحية ، وعلى دوام رباط الزوجية ، وعلى قدسية البيت المسيحي .

صفات القائد المسيحي

يجب أن يكون القائد المسيحي صاحباً ، ثم نقرأ بعد أسطر قليلة أنه غير مدمن للخمر . كانت الخمر كثيرة الاستعمال في العالم القديم . بالنسبة لقلة موارد المياه العذبة وخطورتها أحياناً ، صارت الخمر المشروب الطبيعي . الخمر تشرح صدر الله والناس (قضاة ٩ : ١٣) . عند رد سبي إسرائيل ، ستغرس كرومها وتشرب خمرها (عاموس ٩ : ١٤) . تعطى خمر مسكرة لكل من على شفا الهلاك ، وتقدم الخمر لمن يحس بمرارة في النفس (أمثال ٣١ : ٦) . لا يعنى هذا أن العالم القديم لم يكن مدركاً تماماً للأخطار التي تأتي من الشراب . تتكلم الأمثال عن الأضرار التي تلحق بالرجل الذي ينظر الخمر وهي حمراء (أمثال ٢٣ : ٢٩ - ٣٥) . الخمر مستهزئة ، والمسكر عجاج (أمثال ٢٠ : ١) . هناك قصص رهيبة عما فعلت كثرة الخمر بالناس هناك قصة نوح (تكوين ٩ : ١٨ - ٢٧) ، ولوط (تكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨) وامنون (٢ صموئيل ١٣ : ٢٨ و ٢٩) . ولكن رغم أن العالم القديم استعمل الخمر وتعود عليه إلا أن استعماله كان في منتهى الاعتدال عندما تشرب الخمر ، كانت تمزج بالماء بنسبة جزءين خمر وثلاثة أجزاء ماء . من سكر بالخمر جلب على نفسه العار في المجتمع الوثني العادي ، فما بالك بالكنيسة . الأصل اليوناني لكلمة صاح تعنى متيقظ كما تعنى أيضاً حذر متنبه . وكلمة مدمن في اليونانية تعنى بجانب الإدمان عنيف مشاكس . والنقطة التي ترمى إليها الرعويات في هذا الجزء هو أنه لا يحق للمسيحي أن يسمح لنفسه بملذات وأطايب تقلل من حذره ويقظته وتشين مسلكه المسيحي .

ثم يتبع ذلك كلمتان يونانيتان عظيمتان تعبران عن صفتين عظيمتين يجب أن يتحلى بهما القائد المسيحي . يجب أن يكون القائد المسيحي عاقلاً

ophron (محاشيا) أو حسن التصرف Kosmos

كلمة *sophron* إحدى الكلمات اليونانية التي لا تتواجد لها ترجمة حرفية . فهي تترجم : ذو عقل متزن ، حذر ، حريص ، ضابط للنفس ، عفيف ، له تحكم كامل على رغباته الحسية . وقد اشتقها اليونانيون من كلمتين تعنيان يحفظ عقله سليماً ومتزناً . الاسم منها هو العقل ، وقد كتب عنه اليونانيون ويحثوه كثيراً وهو مضاد لعدم الاعتدال وانعدام ضبط النفس . عرفه أفلاطون بأنه « مسك زمام اللذة والرغبة » . وعرفه أرسطو بأنه « تلك القوة التي تخضع ملذات الجسد لأمر القانون » . وعرفه فيلو بأنه « تنظيم الرغبات والحد منها ، بالقضاء على ما هو خارجي ومبالغ فيه ، والسمو بما هو ضروري بالتوقيت والاعتدال » وقال عنه فيثاغورس « إنه الأساس الذي تركز عليه النفس » . وقال إيامبليكس « إنه طوق النجاة لأفضل ما في الحياة من عادات » وقال عنه أوريبيدس « إنه أجمل عطايا الله » . ودعاه جيريمي تايلور « حزام المنطق ولجام العاطفة » . ويصف ترنش العاقل بأنه « حالة تحكم كامل على العواطف والرغبات ، فلا تنال إلا ما يسمح به القانون ويوافق عليه المنطق السليم » . وكتب الباحث الكلاسيكي الكبير جلبرت موري عن كلمة عاقل فقال ، « هناك اتجاه من التفكير يدمر وهناك اتجاه يبني . يسير الرجل أو المرأة العاقلة بين روائع ومخاطر العالم ، شاعراً بالحب ، بالبهجة ، بالغضب .. وبقية الأحاسيس ؛ ولكنه في خلالها جميعاً يحتفظ بهذا الذي في عقله الذي ينقذ الموقف كله ، ينقذ من الخطر الموشك أن يكون » . ويقتبس أ. ف. براون ، في تصويره للعاقل من صلاة لتوما الأكويني مرفوعة « لتهدئة جميع دوافعنا ، جسدية وروحية » .

الرجل العاقل هو من ملك زمام كل جزء في طبيعته ، بمعنى آخر الرجل العاقل هو من كان المسيح يعيش في قلبه سيداً بلا منازع .

والكلمة الأخرى هي Kosmos ، والتي ترجمناها حسن التصرف .
إذا كان الشخص حسن التصرف في تصرفاته الخارجية ، إنما يكون ذلك
بسبب كونه عاقلاً في حياته الداخلية . هذه الكلمة معناها أيضاً : منظم ،
أمين ، مهندس . لكن لها استعمالين خاصيين في اليونانية ، كانت شائعة الاستعمال
في وفاء الحقوق وفي الحفريات للموتى . وهي أيضاً شائعة الاستعمال في وصف
المواطن الصالح . يعرف أفلاطون الرجل المحتشم بأنه ، « المواطن المسالم في
البلد الذي يقوم بسداد ما عليه في المكان والزمان المناسبين » هذه الكلمة تحمل
ما هو أكثر من مجرد حسن التصرف . إنها تصف الرجل الذي يعيش حياة
جميلة ، والذي لا يشوب أخلاقه شائبة بل تتكامل وتنسجم فيه كل الأشياء
في توافق جميل . إنه الشخص الذي تتحد فيه القوة والجمال .

يجب أن يكون القائد في الكنيسة رجلاً عاقلاً ، أخضع كل غريزة
وعاطفة ورغبة لتحكم كامل ؛ ويجب أن يكون رجلاً محتشماً انعكست حياته
الداخلية المتزنة في جمال خارجي يزينه ؛ القائد إنسان سادت قلبه قوة المسيح
وأضاء حياته نور المسيح .

صفات القائد المسيحي

يجب أن يكون مضيفاً للغرباء . هذه صفة يركز عليها العهد الجديد
بشدة . يوصي بولس الكنيسة الرومانية أن « تعكف على إضافة الغرباء »
(رومية ١٢ : ١٣) . ويقول بطرس ، « كونوا مضيفين بعضكم بعضاً
بلا دمدمة » (١ بطرس ٤ : ٩) . في « راعي هرمس » ، واحدة من أوائل
الكتابات المسيحية ، مكتوب : « يجب أن يكون الأسقف مضيفاً للغرباء ،
يرحب بسرور ، وفي كل وقت ، بخدام الله الذين يأتون إلى بيته » . يجب
أن يكون القائد المسيحي رجلاً ذو قلب مفتوح ودار مفتوح .

كان العالم القديم يرفع بشدة حقوق الضيف والغريب . كان الغريب في حماية زيوس حامى الغرباء . في العالم القديم كانت الفنادق قادرة سيئة السمعة . في إحدى تمثيلات أريستوفانس يسأل هيراقول زميله أين سيمضيان الليلة ، ويكون الجواب : « حيثما البراغيث أقل ما يمكن » . ويصف أفلاطون صاحب الحان أنه قرصان يحجز زواره للفدية . كانت الفنادق قادرة ، غالية الثمن ، سيئة السمعة . وكان هناك نظام يسمى صداقة الضيوف . خلال عدة أجيال رتبت عائلات فيما بينها نظام لتقديم المأوى واستضافة بعضهم البعض . وغالباً لم يكن أعضاء هذه العائلات يعرفون بعضهم معرفة شخصية . فكانوا يتعارفون بأن يظهر كل منهم شيئاً معيناً ، مقطوع بطريقة ما بحيث أن كلا من الضيف والمضيف يحتفظ بنصف ينطبق على الآخر . إذا انطبق الجزآن يعرف المضيف أن ضيفه فعلاً ابن من أبناء العائلة الصديقة .

في الكنيسة المسيحية كان هناك عديد من المعلمين والمبشرين المتجولين ؛ الذين يحتاجون لاستضافة . كان هناك أيضاً عديد من العبيد الذين لا ينتمون إلى بيوت تخصهم ، وكان من المزايا القليلة التي لديهم حق الدخول إلى بيت مسيحي . الكنيسة كلها كانت بمثابة جزيرة صغيرة من المسيحية في بحر من الوثنيين ؛ فكان من أعظم البركات أن يجد المسيحيون أبواباً مسيحية مفتوحة دائماً لهم ، وبيوتاً مسيحية يستطيعون أن يلاقوا فيها أصدقاء لهم نفس أفكارهم ومعتقداتهم . لازلنا نحن نعيش في عالم فيه كثيرون متغربون عن عشيرتهم وأهاليهم ، كثيرون يجدون أنفسهم غرباء في أرض غريبة ، وكثيرون يعيشون تحت ظروف قاسية . إن باب البيت المسيحي ، وترحيب القلب المسيحي ، يجب أن تكون دائماً في خدمة هؤلاء .

يجب أن يكون القائد المسيحي صالحاً للتعليم (didaktikos) وقد قيل في وصف واجب القائد المسيحي أنه « تبشير من لم يعرف الله بعد

وتعليم من عرفه . هناك أمران يجب ذكرهما عن هذه النقطة . واحدة من مآسى العصر الحديث أن الخدمة التعليمية داخل الكنيسة لم تعد كما كانت ، يوجد كل ما يمكن من عظات الساعة ؛ يوجد كل ما يمكن من الوعظ والإرشاد ؛ ولكن هناك قليل يرتجى من وعظ مسيحي لا يعرف ما معنى كونه مسيحياً . التعليم هو واجب القائد والواعظ المسيحي الأول . ولكن هناك أمر ثان . أفضل وأبعد أثراً لا يتم بالكلام ، بل بالقدوة . واجبنا الاسمي ليس مجرد تعريف الناس بالمسيح ، بل أن نريهم المسيح . حتى ذلك الشخص الذى لا يجيد الكلام يستطيع أن يعلم بأن يسلك حياة يرى فيها الناس إنعكاساً لحياة السيد . عرف القديس مرة بأنه واحد « يحيا فيه المسيح مرة أخرى » .

لا يجب أن يكون القائد المسيحي مهاجماً للآخرين . والكلمة اليونانية هي *pléktés* ، أى ضراب . لماذا كان هذا التحذير ضرورياً ؟ ، نجد أنه نجاد فى التنظيمات الأولى للقانون الرسمى ما يأتى : « الأسقف ، أو الكاهن أو الشماس الذى يضرب المؤمن عندما يخطئ ، أو غير المؤمن عندما يرتكب ذنباً ، لإرعابهم ، إنما يرتكب خطأ جسيماً ونحن نوصى بخلعه ؛ فلم يعلمنا الرب شيئاً كهذا . فعندما أهين . لم يرد الإهانة ، بل على العكس تماماً . وعندما ضرب ، لم يرد بالضرب ؛ وعندما تألم ، لم يهدد أحداً » . من المستبعد تماماً أن يضرب قائد مسيحي مسيحياً آخر فى أيامنا الحاضرة ؛ ولكن الحقيقة ما زالت أنه ممنوع بتاتاً على المسيحي أن يتعامل بالشدة أو بالتهديد أو بسوء الخلق مع أى إنسان آخر ، وسواء كان هذا بالقول أو الفعل .

يجب أن يكون القائد المسيحي حليماً . والكلمة هي *epieikés* ، وهى أيضاً إحدى الكلمات التى تعجز عنها الترجمة الحرفية . الاسم هو *epieikeia* ، ويصفه أرسطو بأنه « من يصحح العدالة » . وكما قال إنه

الشيء « الأعدل والأفضل من العدالة » . قال إنه الصفة التي تصحح القانون عندما يخطئ القانون نتيجة عموميته . وما يقصده هو أنه أحياناً يقع ظلم فعلاً إذا طبق القانون بنصه وحرفه . هناك حالات في الحياة إذا طبق فيها القانون تطبيقاً حرفياً نتجت مظالم . وقال ترنش إن الحلم تعنى « التراجع عن حرفية الصواب أفضل في سبيل المحافظة على روح الصواب » . وقال أيضاً إن « الروح يعلم استحالة الخضوع لجميع القانون الوضعي ويعلم الخطورة الناتجة من تأكيد الحقوق القانونية ، خشية أن تدفع نحو إساءات خلقية الروح الذي يصلح ويصحح ما في العدالة من ظلم » . ويصف أرسطو بالتفصيل عمل الحلم : « تعفو عن ضعفات البشر ، تتطلع إلى معطى - القانون لا القانون : إلى الغرض ، لا إلى الفعل ؛ إلى الكل لا الجزء ؛ إلى أخلاق المتهم على المدى الطويل لا في اللحظة الحاضرة ؛ لتذكر الحسنات أكثر من السيئات ، والخير الذي ناله إنسان أكثر من الخير الذي فعله ؛ تحتمل الأذية ، .

وتود أن تفض « اشكالا بالقول لا بالفعل » . إذا وجد أمر فيه جدال ، يمكن تسويته بالرجوع إلى كتاب عمل عن الخطوات القضائية ، أو يمكن تسويته بالاسترشاد بيسوع المسيح . إذا كثرت الاختلاف في موضوع معين ، إما أن يسوى بالقانون ، وأما أن يسوى بالمحبة . يمكن أن نأتى به ليختبر في تطبيق قضائى ، ويمكن أن نأتى به عند موطن القلمين أمام عرش نعمة الله . كم سيتغير الجو الذي تعيش فيه كثير من الكنائس تماماً إذا وجد فيها كبير من ذوى الحلم .

يجب أن يكون القائد المسيحى مسالماً (غير محاصم) (amachos) ؛ وتعنى الكلمة اليونانية غير مستعد للقتال . هناك أناس نستطيع أن نلقبهم ،

بأنهم « سعداء بشد الزناد » في تعاملاتهم مع الآخرين . ولكن القائد المسيحي .
الحقيقي لا يرغب في شيء أكثر من السلام والوثام مع زملائه من الناس .

يجب أن يكون القائد المسيحي خالياً من محبة المال . لا يجب أبداً أن يكون
دافعه لعمل ما الرغبة في الربح . فهو يعلم جيداً أن هناك قيماً وأموراً لا يمكن
لمال الأرض أن يشتريها .

رجال الخدمة المسيحية

٨ كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الشَّامِسَةُ ذَوِي وَقَارٍ
لَا ذَوِي لِسَانَيْنِ غَيْرَ مُوَلَّعِينَ بِالْخَمْرِ الْكَثِيرِ وَلَا طَامِعِينَ
بِالرَّبْحِ الْقَبِيحِ ٩ وَلَهُمْ سِرُّ الْإِيمَانِ بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ. ١٠
وَإِنَّمَا هَؤُلَاءِ أَيْضاً لِيُخْتَبَرُوا أَوَّلًا ثُمَّ يَتَشَمَّسُوا إِنْ كَانُوا
بِلَا لَوْمٍ. ١١ لِيَكُنِ الشَّامِسَةُ كُلُّ بَعْلٍ أَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مُدَبِّرِينَ
أَوْلَادَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ حَسَنًا. ١٢ لِأَنَّ الَّذِينَ تَشَمَّسُوا حَسَنًا يَقْتَنُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ دَرَجَةً حَسَنَةً ١٣ وَثِيْقَةً كَثِيرَةً فِي الْإِيمَانِ الَّذِي
بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ .

(١ تيموثاوس ٣ : ٨ - ١٠ و ١٢ و ١٣)

كانت وظيفة الشمامسة في الكنيسة الأولى تقع غالباً في مجال الخدمة العملية .
ورثت الكنيسة المسيحية عن اليهود نظاماً رائعاً للعمل الخيري . لم يتوفر
هذا الإحساس العميق بالمسؤولية نحو الأخ الفقير والأخت الفقيرة لأية دولة
مثل ما كان لدى اليهود . كان للمجمع نظام للتعامل مع هؤلاء الناس ومساعدتهم
لم يشجع اليهود إعطاء معونة فردية لأفراد : بل فضلوا أن تتم هذه المعونات
عن طريق المجتمع وخاصة المجمع . كان يذهب محصلان رسميان كل أسبوع
إلى الأسواق والمنازل لجمع تبرعات مالية وعينية للفقراء والمحتاجين . وكانت
توزع هذه التبرعات للمحتاجين بمعرفة لجنة مكونة من اثنين أو أكثر إذا

احتاج الأمر . كان فقراء المجتمع يتسلمون طعاماً كافياً لـ ١٤ وجبة ، أى بواقع وجبتان يومياً لمدة أسبوع . ولم يكن يحق لأحد أن ينال شيئاً من هذه الإحسانات إذا توفر لديه طعام أسبوع فى المنزل . أطلق على متحصل الفقراء الـ Kuppah أو السلة . بالإضافة إلى ذلك كان هناك متحصل يومى من الطعام يجمع من بيت إلى بيت لأجل من هم فى حاجة ماسة حقيقية فى هذا اليوم . أطلق على هذا المتحصل الـ Tamhui أو الصينية . ورثت الكنيسة المسيحية هذه المنظمة الخيرية ، ومما لا شك فيه كان عمل وواجب الشمامسة تنفيذها عملياً .

كثير من صفات الشماس هى نفس الصفات المطلوبة فى الأسقف أو الناظر أو الشيخ . كان عليهم أن يحتفظوا بأخلاق حميدة ؛ مقتصدين فى الطعام والشراب ؛ ليس لهم أن يكتسبوا مالا بطرق غير مشروعة ؛ وكان عليهم أن يجتازوا اختباراً وفترة تجريبية ؛ وأن يباشروا فى حياتهم ما يبشرون به ، حتى يتسنى لهم تقديم الإيمان المسيحى بضمير نقي .

صفة واحدة جديدة أضيفت ، يجب ألا يكونوا ذوى لسانين . وفى اليونانية كانت الصفة أنهم يجب أن لا يكونوا dilogos ؛ وتعنى التكلم بلسانين ، قول شئ إلى أحدهم وشئ آخر إلى إنسان آخر . على الشماس ، الذى يذهب من بيت إلى بيت ، وفى تعامله مع المحتاجين وطالبي العون أن يكون ذا قول واحد . فهو معرض دائماً أن يهرب من المشاكل بقليل من النفاق والحديث الناعم . ولكن من يقوم بعمل الكنيسة المسيحية يجب أن يكون مستقيماً .

من حق من يؤدى وظيفة الشماس جيداً أن يتطلع إلى الترقية إلى وظيفة الشيخ . وإذا قام بهذه جيداً ، فإنه سيحصل على ثقة فى الإيمان تمكنه أن يواجه أى إنسان بكل شجاعة .

النساء اللائى يخدمن فى الكنيسة

١١ كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونِ النِّسَاءُ ذَوَاتِ وَقَارٍ غَيْرِ
ثَالِبَاتٍ صَاحِيَّاتٍ أَمِينَاتٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

١ تيموثاوس ٣ : ١١

فى الأصل اليونانى ، إما أن هذا يشير إلى زوجات الشمامسة ، أو من كن
يباشرن أعمالاً مماثلة . وأكثر الأمور احتمالاً أنها تشير إلى النساء اللائى كن
مشغولات بهذه الأعمال الخيرية . لا بد أن هناك أنواعاً من الرفق والمساعدة
وعمل الخير لا يمكن لغير امرأة أن تقدمه لامرأة أخرى . من المؤكد أن
الشمامسات تواجدن فى الكنيسة الأولى . وكان عليهن إرشاد حديثات الإيمان ،
وبالأخص حضور ورياسة حفل عمادهن ، لأن العماد كان بالتغطيس الكلى .

كان من الضرورى جداً تحذير هؤلاء النساء العاملات ضد نهش السير ،
وتأهيلهن أن يكن دائماً مستعدات للخدمة . عندما يتخرج طبيب حديث ،
عليه قبل أن يزاول المهنة أن يقسم قسم أبوقراط ، وجزء من هذا القسم وعد
بأخذه أن لا يكرر شيئاً سمعه فى منزل مريض ، أو شيئاً سمعه عن مريض ،
حتى لو كان ما سمعه فى الشارع . فى أعمال الخير للفقراء ، لا بد أن أشياء
كثيرة تسمع ، وأشياء يمكن تكرارها بسهولة ، يحدث من ورائها آلام
جسيمة . ليست هناك أى إهانة للنساء إذ تحذرهن الرسائل الرعوية من الثرثرة .
من طبيعة الحياة أن تتعرض المرأة لإغراء الثرثرة أكثر من الرجل . عمل الرجل

يأخذه خارجاً إلى العالم ؛ حيث ينشغل بمصالحه ونشاطاته وهواياته المختلفة ؛
أما المرأة فهي تعيش بالضرورة في محيط ضيق ، ولهذا ليس لديها الكثير
لتتكلم عنه ؛ لهذا كانت دائماً في خطر الحديث عن العلاقات الشخصية التي
تؤدي إلى نهش السيرة . الشخص المسيحي الذي ينقل القصاص ويعيد ما أسر
إليه باعتباره موضع ثقة سواء كان رجلاً أو امرأة ، هو وحش شديد الخطورة .

في وسط المدينة اليونانية ، كان من المحتم على النساء العاملات في الكنيسة
أن يحافظن على وقارهن . المرأة اليونانية المحترمة تعيش في انعزال كامل ؛
ولا يمكن أن تخرج منفردة ؛ ولا يمكن حتى أن تشترك مع الرجال عائلتها في
تناول الطعام كانت حياتها منعزلة تماماً . قال بركليس إن واجب الأم الأثينية
أن تحيا حياة كاملة الانفراد حتى لا يأتي ذكر لاسمها بين الرجال سواء بالقدح
أو المدح . يذكر أكسينوفون كيف أن صديقاً ريفياً يصف زوجته الصغيرة
التي تزوجها حديثاً ويحبها حباً جماً « ماذا كانت تتوقع أن تعرف عندما
تزوجتها ؟ لم تكن قد بلغت بعد الخامسة عشر عندما قلمتها لبيتى ، وكانت
قد ربيت تحت رقابة شديدة ؛ لم يكن من المسموح لها أن تبصر أو تسمع شيئاً ،
أو تسأل أى أسئلة » . هذه هي نوع التربية التي كانت البنات اليونانيات
المحترمات ينشأن عليها . ويعطينا أكسينوفون صورة نابضة لواحدة من أولئك
الزوجات « تكبر ببطء متعودة على زوجها متطورة إلى إنسانة كاملة الخضوع
حتى تخشى المحادثة معه » .

حررت المسيحية المرأة . أطلقتها من العبودية . ولكن كانت هناك
أخطار . متى تحررت ربما أساءت استعمال حريتها الجديدة ؛ والعالم المحافظ
ربما هزته الحرية ؛ لهذا كان على الكنيسة أن تتوخى الحكمة في وضع تنظيماتها .
إن المركز الممتاز الذي تمتع به المرأة الآن في الكنيسة إنما يرجع الفضل فيه
إلى الحكمة التي استعملت بها حرية المرأة لا سوء استعمالها .

مزايا ومسؤوليات الحياة داخل الكنيسة

١٤ هَذَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكَ رَاجِياً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَنْ قَرِيبٍ. ١٥
وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أُبْطِئُ فَلِكُنْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ
تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ اللَّهِ الْحَيِّ عَمُودُ
الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ .

١ تيموثاوس ٣ : ١٤ و ١٥

نجد هنا ، في جملة واحدة ، السبب العام في كتابة الرسائل الرعوية ؛
كتبت لتخبر الناس كيف يتصرفون داخل الكنيسة. كلمة يتصرف في اليونانية
تصف ما يمكن أن تطلق عليه سير الشخص وحديثه . تصف كل حياته
وأخلاقه ؛ ولكنها بالأخص تصف الشخص في علاقته مع الآخرين . وكما
قيل ، الكلمة في حد ذاتها تشترط في عضو الكنيسة المسيحية أن تكون أخلاقه
ممتازة ، وأن تكون علاقاته مع الآخرين شركة صادقة . داخل الكنيسة يجب
أن يكون الإنسان في شركة مع الله ، وفي شركة مع زملائه من الناس .
الكنيسة هي مجموعة الناس أصدقاء الله وأصدقاء بعضهم البعض . يمضي بولس
بعد ذلك ليعدد ٤ كلمات عظيمة تصف أربع وظائف عظيمة للكنيسة .

١ - الكنيسة هي بيت الله . أولاً وقبل كل شيء يجب أن تكون الكنيسة
عائلة. يذكر عن نلسون أنه كتب ، بعد إحدى إنتصاراته البحرية العظيمة ،
مرجعاً سبب انتصاره إلى الحقيقة أنه « كان سعيداً إذ أحس أنه يقود فرقة

من الأخوة » . ما لم تكن الكنيسة فرقة من الأخوة لن تكون كنيسة صادقة على الإطلاق . محبة الله لا توجد إلا إذا وجدت المحبة الأخوية .

٢ - الكنيسة هي اجتماع الله الحي . كلمة *ekklésia* تعني حرفياً مجموعة مدعوة من الناس . لا تعني أنهم مختارون أو منتقون . في أثينا كانت *ekklésia* هي الهيئة الحاكمة للمدينة ؛ وكانت تتكون من جميع المواطنين المجتمعين . ولكن لم يجتمع كل المواطنين معاً في أى وقت وهذا طبعى جداً . ترسل الدعوة لحضور اجتماع المدينة إلى الجميع ، ولكن البعض فقط هم الذين يستجيبون للدعوة . وهكذا نداء الله ، ودعوة الله ، موجهة إلى كل إنسان ؛ ولكن بعض الناس فقط قبلوها ؛ وهؤلاء الذين قبلوها أصبحوا ال *ekklésia* ، الاجتماع ، كنيسة الله الحي . لم ينتق الله البعض ، لم يختار الله البعض ويرفض البعض ؛ بل ليس مع أن دعوة الله وجهت للجميع لكن لم يقبل الجميع هذه الدعوة .

٣ - الكنيسة عمود الحق . كانت كلمة عمود ذات معنى خاص بالنسبة لكنيسة أفسس التي كتبت لها هذه الرسائل . أعظم أمجاد أفسس كان معبد ديانا أو أرطاميس . عظمة هي أرطاميس الأفسسيين « (أعمال ١٩ : ٢٨) كان المعبد أحد عجائب الدنيا السبع وأحد سمات المعبد أعمدته . كان بداخله ١٢٧ عموداً ، كل منها هدية من ملك . جميعها مصنوعة من المرمر ، وبعضها مزركش بالجواهر مغشى بالذهب . لهذا كان الأفسسيون يعلمون جيداً عن جمال الأعمدة . ويبدو أن كلمة عمود هنا لا تعني كثيراً التحمل أو السنادة - فهذه متروكة للقاعدة - وبقدر ما تعني العرض . غالباً يوضع تمثال رجل شهير فوق قمة عمود حتى يقف مرتفعاً عن كل الأشياء الاعتيادية ويبدو واضحاً للعيان من مسافة بعيدة . ، الفكرة هنا أن واجب الكنيسة هو إبراز

الحق بطريقة يستطيع جميع الناس أن يروه : واجب الكنيسة أن تعرض وتظهر الحق .

٤ - الكنيسة قاعدة الحق . القاعدة هي حامل المبنى . تحفظ للمبني ثباته وسلامته . في عالم لا يرغب في مواجهة الحق ، حفظت الكنيسة الحق للجميع ليروا . في عالم يود دائماً أن يقضى على الحق الغير مرغوب فيه ، تحمل الكنيسة الحق وتحفظه ضد كل من يبغي تدميره .

ترنيمة للكنيسة

وَبِالْإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى اللَّهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ
تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ تَرَاءَى لِمَلَائِكَةِ كُرُزَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ
أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ رُفِعَ فِي الْمَجْدِ .

١ تيموثاوس ٣ : ١٦

الاهتمام العظيم بهذا الجزء راجع إلى أنه كان جزءاً من أحد ترانيم الكنيسة الأولى . أى أنه تعبير عن إيمان الناس في المسيح يترنمون به بالشعر والموسيقى .
هي ترنيمة غنى فيها الناس عقيدتهم . ونحن لا يمكننا أن نبحث في الشعر وفي ترنيمة عن دقة التعبير التي نجدها في عقيدة ؛ ولكن يجب أن نحاول أن نرى ما يقوله كل سطر في هذه الترنيمة لنا .

١ - الله ظهر في الجسد : بداية الترنيمة تؤكد حقيقة بشرية ورجولة يسوع . فهي تقول : « أنظر إلى يسوع ، سترى نوع الحياة التي كان الله يحياها ، إذ كان الله إنساناً » . وهي تقول : « أنظر إلى يسوع ، فسترى عقل وقلب وعمل الله ، في صورة يفهمها الناس » .

٢ - تبرر في الروح : هذا سطر صعب . يمكن أن يعنى شيئاً من ثلاثة (أ) ربما يعنى أن يسوع ، خلال حياته الأرضية ، حفظ بلا خطية بقوة الروح . الروح هو الذي يعطى للإنسان إرشاداً ، هو الذي

نخبره في كل - نظرة في حياته ماذا يعمل وماذا يقول . من أخطائنا أننا كثيراً ما نرفض إرشاد الروح . كانت طاعة يسوع الكاملة لروح الله هي التي حفظته بلا خطية .

(ب) وربما كانت تعني أن ما نادى به يسوع تبرر بقوة وعمل الروح الساكن فيه . عندما اتهم الكتبة والفريسيون يسوع بأنه يشقى بقوة الشيطان كان جوابه : « ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » . (متى ١٢ : ٢٨) . كانت القوة التي في يسوع قوة الروح ، والأعمال العظيمة التي قام بها في هذه القوة كانت مبرراً للكلمات العظيمة التي تفوه بها .

(ج) وربما كانت تشير إلى القيامة . أخذ الناس يسوع وصلبوه كمجرم على الصليب ؛ ولكن بقوة الروح قام ثانياً ؛ فثبت فساد شهادة الناس ؛ وتبرر هو لأنه قام ثانياً وقهر الموت بقوة الروح . مهما أخذنا هذه الآية ، فالمعنى هو أن الروح هو القوة التي برهنت أن ما قاله يسوع ونادى به حقيقي .

٣ - نراءى للملائكة : مرة أخرى هناك ثلاثة معان لهذا القول .

(أ) ربما كان يشير إلى حياة يسوع قبل مجيئه للأرض . في الأماكن السماوية لا بد أن الملائكة رأت ابن الله وقدموا عبادتهم له ، قبل أن يأتي إلى الأرض .

(ب) ربما يشير إلى حياته على الأرض : فبحسب على الأرض كان جند السماء ينظرون إلى هذا الصراع الرهيب مع الشر : بين سمحابة الشهود الغير مرئية كان الملائكة ينظرون .

(ح) كان الاعتقاد السائد بين جميع الناس في زمن يسوع والكنيسة الأرضية ، أن الهواء مملوء بقوى الملائكة والشياطين . كثير من هذه القوى كان معادياً لله والإنسان ، وكانت تنوى القضاء على يسوع . وقال بولس مرة إنها كانت تنوى القضاء على يسوع خلال الجهل ، وأن يسوع جاء لهم وللناس بالحكمة المخفية منذ تأسيس العالم (١ كورنثوس ٢ : ٨ و ٧) . إذا كان هناك ارتباط بين هذه الجملة وذلك الاعتقاد ، يكون المعنى أن يسوع أتى بالحق حتى لقوات الملائكة والشياطين التي لم تكن تعرفه قط .

مهما كان المعنى الذي نأخذه ، فالمعنى أن عمل يسوع كان من الضخامة حتى شمل السماء والأرض معاً .

٤ - كوزبه بين الأمم : هنا نجد الحق العظيم في أن يسوع لم يكن ملكاً خاصاً لشعب معين أو بلد معين . لم يكن المسيح المنتظر الذي أتى ليرفع اليهود إلى أمجاد أرضية ؛ بل كان مخلص جميع الأمم ، مخلص جميع العالم .

٥ - أومن به في العالم . هنا حقيقة تبلغ الإعجاز تعلن في بساطة تامة .

بعد موت يسوع وقيامته وصعوده إلى المجد ، كان مجموع من تبعوه مائة وعشرين (أعمال ١ : ١٥) . وكل ما استطاع اتباعه أن يقدموه هو قصة النجار الجليلي ، الذي صلب كمجرم على تل في فلسطين . ولكن ، قبل انقضاء سبعين عاماً انتشرت هذه القصة إلى كل أقاصي الأرض ، وقبل الناس في كل بلد يسوع المصلوب هذا مخلصاً ورباً . هنا في هذه الجملة البسيطة نجد الإعجاز كله في انتشار الكنيسة الإلهي . انتشاراً لا يمكن تصديقه بالمنطق البشري .

٦ - رفع في المجد . هذه إشارة للصعود . تبدأ قصة يسوع في السماء وتنتهي في السماء . عاش كخادم ؛ دمع كمجرم ؛ صلب على خشبة ؛ قام وآثار المسامير ما زالت في يديه ؛ ولكن النهاية مجد .

الْأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

خدمة الله أو خدمة الشيطان

١ وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحاً إِنَّهُ فِي الْأَزْمِنَةِ
الْأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الْإِيمَانِ تَابِعِينَ أَزْوَاحاً مُضِلَّةً
وَتَعَالِيمَ شَيْاطِينٍ. ٢ فِي رِيَاءٍ أَقْوَالٍ كَاذِبَةٍ مَوْسُومَةٍ ضَمَائِرَهُمْ
٣ مَانِعِينَ عَنِ الزَّوْاجِ وَأَمْرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عَنْ أَطْعَمَةٍ قَدْ
خَلَقَهَا اللَّهُ لِتُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِي الْحَقِّ. ٤
لَأنَّ كُلَّ خَلِيقَةٍ لِلَّهِ جَيِّدَةٌ وَلَا يُرْفُضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ
الشُّكْرِ. ٥ لِأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ.

١ تيموثاوس ٤ : ١ - ٥

ورثت الكنيسة المسيحية عن اليهود الاعتقاد الثابت أنه لا بد أن تزداد
الأمور سوءاً في هذا العالم إلى حد كبير قبل أن تتحسن . كان التفكير اليهودي
يقسم الزمن إلى دهرين : الدهر الحالي وكله سوء وكله في قبضة قوات الشر ؛
والدهر الآتي الذي سيكون دهر الله الكامل الممتلئ بالخير . ولكن زوال
الدهر الحالي والوصول إلى الدهر الآتي لن يحدث دون صراع مرير . فبين
الدهرين سيأتي يوم الرب . في هذا اليوم ستهتز أساسات العالم ؛ وتنشب
المعركة الأخيرة المرعبة مع الشر ، وتحدث الدينونة الأخيرة ، وبعد هذا
يبرز فجر الدهر الجديد . وقد اقتبس كتاب العهد الجديد هذه الصورة .
فبحكم كونهم يهوداً . شبوا على هذه الفكرة . وكثرة ظهور الهرطقات
والمعلمين الكذبة أحد الأشياء المتوقعة في نهاية الدهر « ويقوم أنبياء كذبة

كثيرون ويضلون كثيرين» (متى ٢٤ : ١١) . «لأنه يقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكي يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً» (مرقس ١٣ : ٢٢) . في هذه الأيام الأخيرة يتوقع بولس ظهور «إنسان الخطية ابن الهلاك» الذي ينصب نفسه ضد الله (٢ تسالونيكي ٢ : ٤) .

أتى هؤلاء المعلمون الكذبة إلى كنيسة أفسس . وتدعونا الطريقة التي وصفت بها هذه التعاليم الكاذبة في هذا الجزء إلى التفكير ، بجدية . في هذا الزمان — وكما رأينا من قبل مراراً عديدة — آمن الناس بالأرواح الشريرة وبالشياطين ، الذين سكنوا الهواء وانطلقوا نحو تدمير الناس . كانت هذه الأرواح والشياطين الشريرة مصدراً لهذه التعاليم الكاذبة . ولكن رغم أن المصدر هو الشياطين ، إنما الأداة كانت الناس . لأن هذه التعاليم قدمها رجال يتصفون بنعومة زائفة ؛ رجال موسومة ضمائرهم بختم الشيطان . فكرة الدمغ هذه مصدرها ما كان يحدث أحياناً للعبيد عندما كانوا يختمون بعلامة تدل على من يمتلكهم ، تماماً كما يحدث للماشية في أيامنا الحالية . كان هؤلاء المعلمون الكذبة يحملون في ضمائرهم دمغة الشيطان نفسه ، فهم مفرزون لخدمته ، تابعون له في كل شيء .

والآن هنا يكمن الخطر والتهديد . فنحن نعلم أن الله وروح الله يبحث في كل مكان عن أناس للخدمة . يبحث الله دائماً عن مستخدميهم أدوات له ، وأسلحة له ، في هذا العالم . ولكن هنا أيضاً نأتى وجهاً لوجه مع الحقيقة الرهيبة أن قوات الشر تبحث أيضاً عن أناس لتستخدمهم . تماماً كما يريد الله أشخاصاً لتحقيق أغراضه ، تريد قوات الشر أشخاصاً لأغراضها . هنا تكمن المسئولية الرهيبة الملقاة على عاتق البشر . أما أن يقبل الإنسان خدمة الله ، وإما أن يقبل خدمة الشيطان . إما أن يصبح الإنسان أداة في عمل الخير الإسمى أو في عمل أقصى الشر . يواجه الإنسان الاختيار الأبدي ، لمن نعطي حياتنا ،

لله أم لعدو الله ؟ هل نعزم أن نستعمل بواسطة الله ، أو نصمم على أن
يستخدمنا الشيطان ؟

مستعبدون للناس مهينون لله

نشر هرطقة أفسس تعليماً فاسداً ذا نتائج محددة بالنسبة للحياة . كما رأينا
سابقاً ، كان هؤلاء الهرطقة غنوسيين ؛ ومضمون الغنوسية هو صلاح
الروح الكامل وفساد المادة الكامل . أحد النتائج المترتبة على هذا التعليم هو
أن البعض بشر بفساد الجسد ، وأن كل ما يتعلق بالجسد ، كل غريزة
طبيعية ووظيفة طبيعية ، شريرة ، وأن العالم شرير ، وكل ما في العالم شرير ،
وأن أجمل ما في العالم يجب أن يهمل ويحتقر . وقد أدى هذا التعليم في أفسس
إلى خطأين محددتين . فقد أصر هؤلاء الهرطقة على أن يمتنع الناس ، بقدر
الإمكان ، عن الطعام ، لأن الطعام مادة والطعام شر ؛ الطعام يخدم الجسد
والجسد شرير ؛ بالإضافة إلى ذلك ، أصرُوا على امتناع الرجل عن الزواج ،
لأن الجسد شرير ، وغرائز الجسد شريرة ويجب أن تكتم تماماً .

كانت هذه الهرطقة متكررة الحدوث في الكنيسة ؛ في كل جيل ظهر
رجال يودون أن يكونوا أكثر تدقيقاً من الله . عندما جاء الوقت لتدوين
القوانين الرسولية ، كان من الضروري توضيح ذلك الأمر بلا لبس : « إذا
امتنع ناظر ، أو أسقف أو شماس أو أى من كان في قائمة الكهنوت ، عن
الزواج أو اللحم أو الخمر ، لا بقصد التقشف (لتهديب الجسد) ، بل نتيجة
لكراهيته لهذه الأشياء باعتبارها شراً في ذاتها ، متناسياً أن كل الأشياء حسنة ،
وأن الله خلق الإنسان ذكراً وأنثى وبتجديف وتجريح لعمل الله ؛ إما أن
يرتدع ، أو يخلع ويطرد خارج الكنيسة . وكذلك يعامل العلماني بالمثل (القانون
الرسولي ٥١) . ويكتب إيريناوس Irenaeus في أواخر القرن الثاني ،

فيخبرنا أن أتباع ساتورنinus يعلنون أن الزواج وإنجاب الأطفال من إبليس . وبالمثل كثيرون يمتنعون عن الأطعمة الحيوانية ، ويجتذبون كثيرين بخدع وأساليب شيطانية (إيريناوس ، ضد الهرطقات ١ ، ٢٤ ، ٢) . وصل هذا النوع من التفكير أقصاه في الرهبان والنسك في القرن الرابع . تركوا كل شيء وعاشوا في الصحراء المصرية ، في عزلة كاملة عن بقية الناس . أمضوا حياتهم في تعذيب الجسد . أحدهم لم يذق طعاماً مطبوخاً وكان يشتهر « بلا جسدية » . وآخر أمضى ليلة بأكملها على صخرة حادة بارزة فكان من المستحيل عليه أن ينام . واشتهر ثالث لأنه ترك جسده في قذارة تامة وأهمل الدود المتساقط منه أثناء سيره . ورابع يأكل الملح في منتصف الصيف ثم يمتنع عن شرب الماء . قالوا « الجسم التنظيف يعني بالضرورة روحاً غير نظيف » .

والرد على هؤلاء الناس هو أنهم باتيانهم أعمالاً مثل هذه ، إنما يهينون الله لأن الله خالق هذا العالم ؛ وقيل مراراً وتكراراً إن خليقة الله حسنة . « ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن جداً » (تكوين ١ : ٣١) . « كل دابة حية تكون لكم طعاماً » (تكوين ٩ : ٣) . « خلق الله الإنسان على صورته ... ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكمثروا واملأوا الأرض » (تكوين ١ : ٢٧ و ٢٨) إذاً ما أبعد هذا عن الشر ، كل ما خلقه الله جيد ، ولكن كل عطايا الله يجب أن تستخدم بطريقة معينة .

١ - يجب أن تستخدم فيما هو تذكير أنها عطايا الله . هناك أشياء تأتينا بصفة منتظمة وبدون انقطاع حتى أننا نبدأ في نسيان أنها عطايا ونأخذها على كونها حقوق لنا . يجب أن نذكر أن كل ما لدينا هبة من الله ، وأننا لن نستطيع أن نتنفس بدون الله ، وأنه لن توجد نسمة حية أو شيئاً نامياً تكون له حياة منفصلة عن الله .

٢ - يجب أن تستخدم في المشاركة . كل استعمال ذاتي ممنوع . لا يستطيع أحد أن يحتكر هبات الله ؛ يجب أن يتشاركوا فيها الجميع .

٣ - يجب أن تستخدم بالشكر . دائماً تسبق صلاة الشكر مائدة الطعام ؛ كان اليهودي يشكر دائماً . وكان له شكر خاص يختلف باختلاف الظروف ؛ فعندما يأكل فاكهة يقول : « مبارك أنت ، يا ملك الكون ، الذي خلقت ثمرة الشجرة » . وعندما يشرب خمر يقول : « مبارك أنت ، يا ملك الكون ، الذي خلقت ثمرة الكرمة » . وعندما يأكل خضروات يقول : « مبارك أنت ، يا ملك الكون ، الذي خلقت ثمرة الأرض » . وعندما يأكل خبزاً يقول : « مبارك أنت ، يا ملك الكون ، الذي أنبت الخبز من الأرض » . ومجرد أننا نشكر الله لأجل شيء يجعل هذا الشيء مقدساً . لا يمكن أن يظل شيء غير طاهر عندما يرفع أولاً لله . حتى الشياطين نفسها لا تستطيع أن تلمسه إذا لمسه روح الله .

إنه تعليم مسيحي ذاك الذي يقول إن المسيحي الصادق لا يخدم الله باستعباد نفسه للقوانين والنظم واحتقار خليقة الله ؛ إنما هو يخدم الله بتقبل عطايا الله الجيدة بالشكر وتذكر أنه يحيا في عالم جعل الله كل ما فيه حسناً ، وأن لا ينسى مطلقاً أن يشارك الآخرين في عطايا الله وأنه يرفع شكر قلبه لله لأجل كل شيء .

نصيحة إلى رسول للمسيح

٦ إن فكرت الأخوة بهذا تكون خادماً صالحاً ليسوع
المسيح مُتربياً بكلام الإيمان والتعليم الحسن الذي
تتبعته . ٧ وأما الخرافات الدنسة العجائزية فأرفضها
وروض نفسك للتقوى . ٨ لأن الرياضة الجسدية نافعة
لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة
الحاضرة والعتيدة . ٩ صادقة هي الكلمة ومستحقة كل
قبول .

تيموثاوس ٤ : ٦ - ٩

هنا جزء مشحون بالنصائح العملية ، ليس فقط لتيموثاوس ، بل لكل
معلم أو خادم في الكنيسة مكلف بواجب العمل والقيادة في الكنيسة .

١ - فهو يخبرنا كيف ترشد الآخرين . الكلمة المستعملة فكرت الأخوة
كلمة عميقة المعنى (hupotithesthai) . لا تعني إصدار أوامر ، بل
بالأحرى تعني تبادل المشاورة ، النصيحة ، والإرشاد ، والاقتراح . فهي
كلمة رقيقة ، متواضعة . تعني أن المعلم والقائد لا ينبغي له قط أن يضع قانوناً
فيه روح الجمود والإساءة والعداء . تعني أنه لا ينبغي له أن يصدر إرشاداته
بجمود الدكتاتور أو كبرياء الطاغية . تعني بالأحرى أن يتظاهر أن كل
ما يقصده هو مجرد تذكير الناس بما يعرفونه فعلاً ، أو مقترحاً عليهم ، إنه

لا يقصد أن يتعلموا منه ، بل أن يكتشفوا الصواب من داخلاتهم وصوت قلوبهم . الإرشاد الذى يقدم فى رقة أبعد تأثيراً من الإرشاد الصادر عن قوة آمرة ناهية . ما أصدق القول إنه يمكن قيادة الناس ولكن يصعب سوقهم .

٢ - نخبرنا كيف نواجه مأمورية التعليم . يقال لتيموثاوس أن يغذى حياته بكلام الإيمان . لا يستطيع أحد أن يعطى بدون أن يأخذ . من يرغب أن يعلم يجب أن يكون هو نفسه مستعداً للتعليم دائماً . من الخطأ الشائع الاعتقاد بأنه متى أصبح الشخص مدرساً ، كف عن الدراسة . على الإنسان أن يغذى عقله باستمرار قبل أن يستطيع تغذية عقول الآخرين ؛ يجب أن يزداد يوماً فى معرفته بيسوع المسيح قبل أن يقدم المسيح للغير . لكى يستطيع الإنسان أن يحضر آخرين للإيمان عليه أن يتغذى هو شخصه ياً بالإيمان .

٣ - نخبرنا ماذا نتجنب . يجب أن يتجنب تيموثاوس الخرافات التى لا طائل من ورائها كتلك التى تقصها عجائز النسوة على الأطفال . من الضرورى أن نظل دائماً فى مركز الإيمان . فمن السهل أن نضل الطريق فى الخلافات الجانبية والأمور الفرعية . ومن السهل أن ننشغل بأمور أقل ما يقال فيها إنها حشو وتفاهة .

إن الحقائق الجوهرية والواقع هى التى تغذى عقل الإنسان .

٤ - نخبرنا عما نبعث . يقال لتيموثاوس إن على المسيحى أن يدرّب نفسه على التقوى ، تماماً كما يدرّب الرياضى بدنه للألعاب . ليس المقصود هنا التحقير من شأن اللياقة البدنية ، لأن الإيمان المسيحى يثق فى أن الجسد هو هيكل الروح القدس . ولكن هناك أشياء معينة تدور بخلد بولس هنا . أولاً ، كانت الملاعب أماكن خطيرة فى العالم القديم ، وخاصة فى اليونان .

كان لكل مدينة ملعبها الخاص ؛ وكان شباب اليونان فيما بين السادسة عشر والثامنة عشر يتمرنون على الألعاب كجزء رئيسي في ثقافتهم . ولكن العالم القديم كان غارقاً في الشذوذ الجنسي ، واشتهرت الملاعب بكونها مرتعاً خصيباً لهذه الخطية بالذات . ثانياً ، ما قصده بولس هنا هو الرجاء بوضع الأمور في نسبها الصحيحة . التدريب الرياضي والبدني شيء جيد ، وضروري أيضاً ؛ ولكن فائدته محدودة . فهو يربّي جزءاً في الشخص ، ويأتي بنتائج لا تستمر طويلاً ، لأن الجسد يمضي إلى فناء . أما التدريب على التقوى ، وعلى عمل الخير ، فانما يربّي كل ما في الشخص ، جسداً وعقلاً وروحاً ، ونتائجه لا تشمل الزمن الحالي فقط بل والأبدية أيضاً . إذا المسيحي ليس هو رياضي الملاعب بل رياضي الله .

هـ - وأخيراً ، يرينا هذا الجزء أساس الأمر كله . لا يدعى أحد أن طريق الحياة المسيحية سهل ؛ ولكن هدف الله . يتقبل الإنسان احتمال المشاق لأن الإنسان يرتجى الله ، ولأنه يرى الله في نهاية الرحلة ، ولأن الحياة تقضي في حضرة الله وتنتهي إلى القرب منه أكثر ، فعظمة الهدف تستحق مشقة الصراع .

الطريق الوحيد لإسكات الانتقاد

١٠ لَأَنَّا لِهَذَا نَتْعَبُ وَنُعِيرُ لَأَنَّا قَدْ أَلْقَيْنَا رَجَاءَنَا
عَلَى اللَّهِ الْحَيِّ الَّذِي هُوَ مُخَلِّصُ جَمِيعِ النَّاسِ وَلَا سِوَمَا
الْمُؤْمِنِينَ . ١١ أَوْصِ بِهَذَا وَعَلِّمْ .

١٢ لَا يَسْتَهِنُ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
فِي الْكَلَامِ فِي التَّصَرُّفِ فِي الْمَحَبَّةِ فِي الرُّوحِ فِي الْإِيمَانِ
فِي الطَّهَارَةِ . ١٣ إِلَى أَنْ أَجِيءَ أَغْكفْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْوَعظِ
وَالتَّعْلِيمِ . ١٤ لَا تُهْمِلِ الْمَوْهَبَةَ الَّتِي فِيكَ الْمُعْطَاةَ لَكَ
بِالنَّبُوءَةِ مَعَ وَضْعِ أَيْدِي الْمَشِيخَةِ . ١٥ أَهْتَمَّ بِهَذَا . كُنْ
فِيهِ لِكَيْ يَكُونَ تَقَدُّمُكَ ظَاهِرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ . ١٦ لَاحِظْ
نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمَ عَلَى ذَلِكَ . لِأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا
تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضًا .

١ تيموثاوس ٤ : ١٠ - ١٦

أحد المصاعب التي كان على تيموثاوس أن يتغلب عليها هي صغر السن .
ولكن لا يجب أن نظن أنه مجرد حدث . فهما كان صغيراً ، إنما مر عليه
١٥ عاماً منذ أن أصبح مساعداً لبولس . الكلمة المستعملة لشاب (neotés)

تصف في اليونانية أى فرد يصلح للتجنيد ، أى حتى من الأربعين . ولكن الكنيسة كانت تتطلب في موظفيها أن يكونوا رجالاً ناضجين . وقد حددت القوانين الرسولية فيما بعد سن الأسقف بخمسين سنة أو أكثر ، حتى يكون قد جاز التيارات الشبابية . ولكن تيموثاوس كان صغيراً بالنسبة لبولس ، ولا بد أن هناك كثيرون كانوا يرقبونه بعين الانتقاد ، محاولين دائماً أن يجدوا الخطأ وأن ينتقلوه . عندما كان الشيخ وليام بت ، لورد مشاتهم الكبير ، يلقي خطاباً بمجلس العموم وهو في سن الثالثة والثلاثين قال : « إنها جريمة فظيعة أن تكون صغير السن لن أحاول التقليل منها أو إنكارها » . كانت الكنيسة ترقب دائماً الشباب بنوع من الشك ، وكان من المحتم أن يعاني تيموثاوس من هذا الشك . كانت النصيحة التي أعطيت لتيموثاوس أصعب نصيحة يمكن اتباعها ، ورغم ذلك كانت النصيحة الوحيدة الممكنة . كانت النصيحة أن يسكت تيموثاوس الانتقاد بسلوكه . اتهم مرة أفلاطون ، فيلسوف اليونان الكبير ، اتهاماً باطلاً بسلوك معيب . فقال « حسناً ، يجب أن نحيا بطريقة تجعل كل الناس يرون أن الاتهام باطل » . لا يمكن للمناقشات والدفاع اللفظي أن تسكت الانتقاد ، ولكن السلوك يستطيع ذلك . ما هي إذاً العلامات التي يجب أن تميز سلوك تيموثاوس ؟

١ - أولاً ، يجب أن تكون هناك محبة Agapé وهي الكلمة اليونانية لأعظم الفضائل المسيحية ، وهي كلمة لا توجد لها ترجمة حرفية . معناها الحقيقي محبة للآخرين لا تقهر . لو كان لشخص agapé ، فانه مهما فعل به الناس أو قالوا عنه ، ومهما عامله الآخرون ، فانه لن يرتجى إلا خیرهم . لن يضر قلبه قط على مرارة ، أو حقد أو انتقام ؛ ولن يسمح لنفسه قط أن يكره ؛ ولن يمتنع مطلقاً عن الصفح والمغفرة . مهما كان نوع الناس حوله ، ومهما كانت تصرفاتهم تجاهه ، فانه يبحث دائماً عن خیرهم . من الواضح

أن هذا النوع من الحب يتطلب كل ما في شخصية الإنسان لكي يحققه . يأتي الحب عادة رغماً عنا . محبة أقرب وأعز الناس علينا غريزة تكون جزءاً من كيان الإنسان . محبة رجل لفتاة تجربة غير مقصودة لم يسع لأجلها . فهي تأتي بدون دعوة . الحب العادي شيء من القلب ، ولكن من الواضح أن هذه المحبة المسيحية أكثر من شيء من القلب ؛ لأنها شيء من الإرادة . فهي ليست بشيء يأتي رغماً عنا ، بل هي تحقيق لجهد وانتصار . المحبة المسيحية هي انتصار على النفس نستطيع به أن نربي في نفوسنا اهتماماً بالآخرين لا يقهر . إذاً ، أول علامة مميزة حقيقية للقائد المسيحي هي اهتمامه بالآخرين ، مهما فعل به الآخرون . يجب أن يفكر القائد السريع الغضب ، والذي يحمل ضغينة في نفسه ، في هذا الحب .

٢ - ثانياً، هناك الإيمان . الإيمان ثقة لا تنزعزع بالمسيح ، مهما كان الثمن الذي يدفع لهذه الثقة . ليس من الصعب أن تكون جندياً ممتازاً عندما تسير كل الأشياء على ما يرام . ولكن الجندي الشجاع حقيقة هو من يستمر في القتال بشجاعة عندما يكون الجسد خائراً والمعدة خاوية ، عندما يبدو الموقف ميئوساً منه ، وعندما يجد نفسه في وسط معمرة لا يدرى عن تحركاتها شيئاً . إذاً ثاني علامة مميزة للقائد المسيحي هي إخلاص للمسيح إخلاصاً يتحدى الظروف ، إخلاص صادق سواء أشرقت الأنوار أو حلت الظلال .

٣ - ثالثاً ، هناك الطهارة . الطهارة ولاء ثابت لا يقهر لمبادئ يسوع المسيح . عندما رفع بليني Pliny حاكم بثينيا Bithynia تقريره إلى الامبراطور تراجان Trajan ذكر عن المسيحيين في ولايته ما يأتي : « اعتادوا أن يرتبطوا بقسم ألا يرتكبوا جريمة سرقة ، أو سلب ، أو زناً ؛ وألا ينكثوا أبداً بكلمة قالوها أو ينكروا تعهداً أعطوه إذا طولبوا بوفائه » .

كان التعهد المسيحي ميثاقاً لحياة طاهرة . لهذا كان على المسيحي أن يحافظ على مستوى من الشرف والأمانة ، ومستوى من ضبط النفس والعفة ، ومستوى من التربية والاعتبار يفوق كثيراً المستويات العالمية . والحقيقة البسيطة هي هذه ، أن العالم لن يجد نفعاً في المسيحية ، حتى تثبت الكنيسة المسيحية أنها تخرج أفضل الرجال والنساء في العالم . إذاً ، ثالث علامة مميزة للقائد المسيحي هي حياة تحيا على مبادئ يسوع المسيح لا مبادئ العالم .

واجبات القائد المسيحي داخل الكنيسة

كانت هناك واجبات معينة ملقاة على تيموثاوس ، مبعوث الكنيسة والقائد الصغير . فقد كان عليه أن يكرس نفسه لقراءة الإنجيل العامة ، للوعظ والتعليم . في هذه التوجيهات نجد نموذج الخدمة في الكنيسة المسيحية .

أول وصف للخدمة المسيحية جاء في أعمال جوستين مارتر Justin Martyr فحوالي عام ١٧٠ ميلادية كتب جوستين مارتر دفاعاً عن المسيحية إلى الحكومة الرومانية ، وصف فيه نوع الخدمة في الكنيسة الأولى (الاعتذار الأول ، ١ : ٦٧ لجوستين مارتر) : « في اليوم الذي يدعى يوم الشمس . يجتمع كل أهل المدن والريف في مكان واحد . يبدأ الاجتماع بقراءات في كتابات الرسل والأنبياء وتستمر القراءة طالما سمح الوقت . ثم يتوقف القارئ ، بينما يأخذ قائد الاجتماع في حث المجتمعين وتشجيعهم على اتباع هذه التعاليم الجيدة . ثم يقف المجتمعون معاً ويشتركون في صلاة جماعية » . إذاً نموذج الخدمة المسيحية يشتمل على ثلاثة أشياء .

١ - يجب أن تكون هناك قراءة وعرض للكتاب المقدس . ففي مجمل الأمر لا يجتمع الناس للاستماع إلى آراء واعظ ؛ بل يجتمعون معاً لسماع كلمة الله . الخدمة المسيحية تركز حول الكتاب المقدس .

٢ - يجب أن يكون هناك تعليم . الكتاب المقدس كتاب صعب ، ولهذا يحتاج للشرح . والعقيدة المسيحية ليست سهلة الفهم . ولكن يجب أن يكون الشخص قادراً على تفسير أسباب الرجاء الذي فيه . ما أقل الفائدة في حث إنسان أن يكون مسيحياً ، إذا لم يكن يعرف ما قيمة أن يكون مسيحياً . الواعظ المسيحي هو من أمضى سنوات عديدة من حياته يكتسب فيها العدة اللازمة ليفسر الإيمان للآخرين . لقد تحرر من واجبات الحياة وأعمالها المعتادة ليتفرغ للتفكير والدراسة والصلاة حتى يستطيع أن يعلن كلمة الله بعمق وتفهم . ولن يثبت وينمو الإيمان المسيحي في كنيسة تنقصها خدمة التعليم .

٣ - يجب أن يكون هناك وعظ . يجب أن تحتم الرسالة المسيحية بالعمل المسيحي . بعد كل عظة للكلمة هناك شيء ما يجب أن ينفذ . قال أحدهم إن كل عظة يجب أن تحتم بهذا التحدى : « ما رأيك في هذا يا عزيزي ؟ » . ليس كافياً أن تقدم الرسالة المسيحية كموضوع للدراسة والمعرفة والفهم ؛ إنما يجب أن تقدم كعمل واجب الأداء . فالمسيحية هي الحق ، ولكنه الحق في التصرف والعمل .

٤ - هناك الصلاة . يتم الاجتماع كله في حضرة الله ، ويفكر في روح الله وينصرف في قوة الله . فلا الوعظ ولا الإصغاء أثناء العبادة ، ولا الخدمة العاملة بعد ذلك في العالم يمكن أن تتم دون عون روح الله .

لن يضبرنا أن نمتحن خدماتنا الحديثة أحياناً بالقياس إلى نموذج الخدمات الأولى في الكنيسة المسيحية .

واجبات القائد المسيحي الشخصية

نجد في هذا الجزء صورة حية نابضة لواجبات القائد المسيحي الشخصية :

١ - يجب أن يذكر أنه مفرز لعمل خاص في الكنيسة . صفة القيادة المسيحية لا تعني شيئاً إذا لم تقترن بالكنيسة . فتكليفه جاء من الكنيسة ؛ وعمله يدور في صميم الشركة بالكنيسة ؛ وواجبه أن يبنى آخرين للكنيسة . وهذا هو بعينه السبب أن أى عمل هام بالكنيسة لا يقوم به واعظ متجول ، ولكنه يتم دائماً خلال الخدمة الثابتة في الكنيسة . بدون كنيسة يصبح القائد المسيحي رمزاً لا معنى له .

٢ - يجب أن يذكر الواجب في التفكير بهذه الأمور . من الأخطار الكبيرة التي يتعرض لها القائد المسيحي ركود الذهن وجمود العقل . الخطر أن ينسى الدراسة ويسمح لأفكاره أن تجرى في خطوط مطروقة معروفة . الخطر أن لا يخاطر بالخروج عن مدارات بعض الآراء المحدودة المفضلة . الخطر أن الحقائق الجديدة والطرق الجديدة ، والمحاولات لتفسير الإيمان بأساليب العصر ، لا تعني بالنسبة له إلا الضيق والمضايقة . القائد المسيحي يجب أن يكون مفكراً مسيحياً وإلا فشل في مأموريته ؛ ولكي تكون مفكراً مسيحياً يجب أن تكون مفكراً جريئاً مخاطرأ طالما كانت في الحياة نسمة .

٣ - يجب أن يذكر واجب التركيز . فحياته كلها يجب أن توجد وتتركز فيما يعلمه . الخطورة هنا أن القائد المسيحي ربما استهلك كل طاقاته في أشياء كثيرة ليست بذات أهمية أو قيمة بالنسبة للإيمان المسيحي . فهو معرض دائماً لدعوته إلى واجبات كثيرة ؛ وهو مواجه دائماً بمطالب مختلفة . من عدة دوائر للخدمة ؛ ولكن واجبه الوحيد هو التركيز على العمل الذي أفرز لأجله .

كان هناك نبي واجه آخاب بنوع من الأمثال . قال إن رجلاً أتى بأسير من معركة وطلب منه أن يحرسه ، قائلاً إنه إذا أفلت الأسير تصبح حياته هو في خطر . ولكنه سها عن الرقابة « وفيما عليك منشغل هنا وهناك ، إذا هو مفقود » (ملوك أول ٢٠ : ٣٥ - ٤٣) . ومن السهل على القائد المسيحي أن ينشغل هنا وهناك ، ويسمح للأمور الرئيسية أن تفلت . التركيز إذا هو الواجب الأول على القائد المسيحي .

٤ - يجب أن يذكر واجب التقدم . وتموه وتقديمه يجب أن يكون واضحاً لجميع الناس . من الحق أن يقال إن معظمنا تغلبه نفس الأمور سنة بعد أخرى وأنا ضحية لنفس الأخطاء من الطبع والخلق ؛ وأنا نفشل لنفس الأسباب ؛ وأنه رغم تعاقب السنين لا نحرز تقدماً في هذا السبيل . ويبحث القائد المسيحي الآخرين أن يقتدوا بالمسيح ، كيف يستطيع أن يفعل هذا بأمانة إذا لم ينمى نفسه يوماً بعد يوماً في التشبه بسيدته الذي يسعى لخدمته ؟ عندما اعتزم كاجاوا Kagana أن يصبح مسيحياً ، كانت صلاته الأولى هكذا : « يا إلهي ، اجعلني كالمسيح » . لهذا صلاة القائد المسيحي الأولى أن ينمو نحو شبه أكبر بالمسيح ، لأنه بهذا وحده يمكنه أن يقود آخرين للمسيح .

الأَصْحَاحُ الْخَامِسُ

واجب الزجر

- ١ لَا تَزْجُرْ شَيْخاً بَلْ عِظْهُ كَأَبٍ وَالْأَحْدَاثَ كِأَخَوَةٍ
٢ وَالْعَجَائِزَ كَأُمَّهَاتٍ وَالْحَدَثَاتِ كَأَخَوَاتٍ بِكُلِّ طَهَارَةٍ .

١ تيموثاوس ٥ : ١ ، ٢

من الأمور العسيرة أن تزجر شخصاً بلطف ؛ وكان على تيموثاوس أن يواجه أحياناً واجباً مضاعف الصعوبة ، واجب زجر شخص أكبر منه سناً . كتب كريسوستم Cyrystom : « اللوم في طبيعته كرية ، خاصة إذا وجه إلى إنسان مسن ؛ وإذا كان هذا اللوم صادراً من إنسان صغير السن ، تصبح الملامة مثلية . لهذا يجب أن يلطف من وقعه بالأسلوب والرقعة التي يوجه بها اللوم . لأنه في الإمكان أن تعتب دون أن تهجم ، فإذا أردت أن تجعل هذا هدفاً ، يتطلب الأمر حرصاً عظيماً ، ولكن يمكن تحقيقه » .

العتاب والرجز مشكلة مستديمة . أحياناً نضيق جداً بمأمورية إسداء كلمة تحذير لشخص ما للدرجة أن نغفل الموضوع كلية . كم من الناس كان يمكن تجنبهم الحزن واليأس ، لو كان واحد فقط قد قال كلمة للتحذير أو للعتاب في الوقت المناسب . ليست هناك مأساة أكثر إيلاماً على النفس من أن تسمع واحداً يقول لنا : « لا يمكن أن أكون قد وصلت إلى هذا ، لو كلمتموني في الوقت المناسب » . من الأخطاء الشائعة أن نغفل الكلمة التي يجب أن نقال في حينها .

وقد تعتب وتزجر شخصاً بطريقة لا تتم إلا عن الغضب المكبوت في أصواتنا والضيق والمرارة في عقولنا وقلوبنا . العقاب الذى لا يصدر إلا عن غضب ، عتاب يبدو صادراً عن كراهية ومقت واحتقار وازدراء ولا يسبب إلا الخوف ، ربما آلم وأحزن ؛ ولكنه قطعاً سينشئ حقداً ؛ وتأثيره النهائى سيكون ببساطة تثبيت الإنسان المخطئ في خطأ طريقه . عتاب الغضب والتزجر باحتقار لا تأثير لهما ، وغالباً الضرر الناتج أكثر كثيراً من الصالح المرجو .

قيل عن فلورنس آلشورن Florence Allshorn ، المعلمة المرسلة الشهيرة ، إنها ، عندما كانت عميدة لإحدى كليات البنات ، كانت تعتب على تلميذاتها ، إذا دعت الحاجة ، وزراعتها تحيط بهن . العقاب الذى يصدر عن المحبة الواضحة هو العقاب الوحيد الذى له تأثير . لو توفرت لدينا الأسباب لتزجر إنسان ما . يجب أن يكون قيامنا بهذا العمل بطريقة تتم بوضوح تام ، أننا إنما نعتاب لا لأننا نجد متعة ولذة في ذلك ، ولا لأننا نرغب في العقاب ، . ولكن إنما نفعل هذا بدافع المحبة الخالصة . ورجبتنا في مساعدة الشخص لا الإضرار به .

العلاقات في الحياة

هاتان الآيتان تصفان روح العلاقات التى يجب أن تسود بين المجموعات المختلفة في السن .

١ - يجب أن نظهر المودة والاحترام نحو من هم أكبر منا سناً . المسن يجب أن يعامل كأب ، والمستن كأب . كان العالم القديم يعرف جيداً التقدير والاحترام الواجب نحو السن . كتب شيشرون Cicero : « إن واجب

صغير السن أن يظهر التقدير نحو من هم أكبر منه ، وأن يلتصق بأفاضلهم ، حتى يأخذ عنهم المشورة وينتفع بتأثيرهم . فقلة خبرة الشباب تحتاج لحكمة السن لتقويتها وتوجيهها . هذه الفترة من الحياة تحتاج فوق كل شيء لوقايتها ضد الحسية وتمارينها على الكفاح وقوة الاحتمال للعقل والجسد ، لمواجهة أعباء الحياة العسكرية والخدمة العامة فيما بعد . وحتى عندما يرغبون في إراحة عقولهم وإعطاء أنفسهم بعض المتعة ، يجب أن يحذروا المبالغة ويتذكروا دائماً قواعد التواضع . وسيكون هذا الأمر أكثر يسراً ، إذا لم يتجنب الشباب مشاركة الشيوخ ، حتى في مسراتهم » كتب أرسطو : « يجب أن يكون التكريم نحو كبار السن متناسباً مع سنهم ، بالنهوض لاستقبالهم ، وإيجاد كراسي لهم . . . وهكذا » ، إحدى ماسى الحياة أن يميل الشباب إلى اعتبار السن سبباً للضييق . يجب أن يعطى السن ما يليق به من احترام ومودة نحو أولئك الذين عاشوا طويلاً وعملوا كثيراً في طريق الحق والخبرة . هناك مثل فرنسي شهير يقول : « آه لو علم الشباب ، آه لو قدر الشيوخ » ولكن إذا تواجدت المحبة والاحترام المتبادل ، لأمكن لحكمة السن وخبرته أن تتعاون مع قوة ومخاطرة وحاس الشباب ، نحو فائدة عظيمة للآخرين .

٢ - يجب أن تظهر الأخوة نحو معاصرينا . يجب أن يعامل الشباب كالأخوة . وقد أجمل أرسطو إذ قال : « نحن الرفقاء والأخوة يجب أن يعطوا حرية الكلام والمشاركة في استعمال كل الأشياء » (أرسطو ، Nicomachean Ethics ٩ : ٢) يجب أن تتسم علاقاتنا بزملائنا بروح الاحتمال والمشاركة . من كانوا مسيحيين لا يمكن أن يظلوا غرباء بعضهم عن بعض ؛ يجب أن يكونوا أخوة في الرب .

٣- أما علاقاتنا بالجنس الآخر فيجب أن تتسم بالطهارة .. هناك جملة شهيرة تتكلم عن « الصداقة العنصرية » . الحب يجب أن يحفظ لشخص واحد « ومن الأمور الخطيرة أن تسود الأشياء الحسية العلاقات بين الجنسين ، عندما لا يرى الرجل في المرأة إلا الجسد . يجب أن تكون هناك مشاركة عقلية وقلبية بين شعب الله الذي تطهر من الشهوات ، فيعيشون متمتعين بالثقة وبأروع نوع من الحب المسيحي المتبادل .

الكنيسة والواجبات العائلية

٣ أَكْرِمِ الْأَرَامِلَ اللَّوَاتِي هُنَّ بِالْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ
٤ وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةً لَهَا أَوْلَادٌ أَوْ حَفَدَةٌ فَلْيَتَعَلَّمُوا
أَوَّلًا أَنْ يُوقِّرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَيُوفُوا وَالِدِيهِمْ الْمُكَافَأَةَ
لِأَنَّ هَذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ اللَّهِ . ٥ وَلَكِنَّ الَّتِي هِيَ
بِالْحَقِيقَةِ أَرْمَلَةٌ وَوَحِيدَةٌ فَقَدْ أَلْقَتْ رَجَاءَهَا عَلَى اللَّهِ وَهِيَ
تُوَاضِعُ الطَّلَبَاتِ وَالصَّلَوَاتِ لَيْلاً وَنَهَاراً . ٦ وَأَمَّا الْمُتَنَعِّمَةُ
فَقَدْ مَاتَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ . ٧ فَأَوْصِ بِهَذَا لِكَيْ يَكُنَّ بِلَا لَوْمٍ
٨ وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ وَلَا سِيَّمَا أَهْلَ بَيْتِهِ
فَقَدْ أَنْكَرَ الْإِيمَانَ وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ .

١ تيموثاوس ٥ : ٣ - ٨

ورثت الكنيسة المسيحية تقليداً جميلاً لمعاونة المحتاجين . لم يعتن شعب
بالمحتاجين والمسنين قدر اعتناء الشعب اليهودي . هنا تقدم النصيحة نحو
الاعتناء بالأرامل . ومن المحتمل وجود طبقتين من النساء هنا . كان يوجد
بالتأكيد أراميل ترملوا طبيعياً بموت أزواجهن . ولكن من المحتمل أن المقصود
أيضاً بالأرامل طبقة أخرى من النساء . كان مألوفاً في العالم الوثني أن يحتفظ
الرجل لنفسه بأكثر من زوجة واحدة ، فتعدد الزوجات كان ما زال معترفاً

به . ولكن إذا ما تحول الرجل للمسيحية ، فقد كان عليه أن يختار الزوجة التي سيعيش معها ، وكان معنى هذا الاستغناء عن بعض الزوجات . هؤلاء النساء كن في أشد حالات التعاسة وفي موقف يائس تماماً . ويمكن أن تتكرر نفس القصة في بعض ميادين الإرساليات الآن . ومن المحتمل أن اعتبرت الكنيسة مثل هؤلاء النساء كأرامل ، وقدمت لهن المعونة .

وقد حدد القانون اليهودي نظاماً يوفر الرجل بمقتضاه ما يقيم أود زوجته الأرملة ، في حالة وفاته . وجدير بالذكر أن أول موظفين عينتهم الكنيسة المسيحية ، كانت وظيفتهم الاعتناء بالأرامل ومعاملتهم بالعدل والمساواة (أعمال ٦ : ١) . وأرسى أغناطيوس قواعد هذا العمل « لا تهملوا الأرامل . كونوا لهن أوصياء بعد الرب » . ويوصي الدستور الرسولي الأسقف هكذا : « أيها الأسقف ، كن للمحتاجين ذاكرًا ، ماداً لهم يد المعونة ، وموفرًا لهم احتياجاتهم كوكيل لله . موزعاً الهبات موسميًا لكل واحد منهم ، للأرامل ، لليتامى ، لمن ليس لهم أصدقاء ، وأولئك المحربين بالآلام » . ويشمل نفس الكتاب إرشاداً لطيفاً رقيقاً : « إذا استلم أحدكم شيئاً لتوصيله إلى أرملة أو امرأة فقيرة . . . عليه أن يقوم بذلك في نفس اليوم » وكما يقول المثل : « من أعطى سريعاً يعطى مرتين » وكان يهم الكنيسة أن لا ينتظر الفقير في البؤس والحاجة نتيجة لأن أحد خدام الكنيسة متعطل في أداء واجبه .

ولكن يجب ملاحظة أن الكنيسة لم تتحمل مسئوليات كبار السن الذين لهم أولاد قادرين على إعالتهم . كان في العالم القديم تحديد واضح لواجب الأولاد نحو إعالة والديهم المسنين ، وقد أحسن سمبسون E.K. Simpson إذ قال : « إن مهنته دينية تقصر عن مستوى الواجب الذي يعرفه العالم خدعة شقية » . لم يكن ممكناً للكنيسة أن توافق على أن يصبح إحسان الكنيسة علناً للأولاد

أن يتخلوا عن مسئولياتهم . وقد حدد القانون اليونانى منذ عصر سولون أن على الأبناء والبنات ، أخلاقياً وقانونياً ، إعالة والديهم . وكل من رفض هذا الواجب فقد حقه المدنية . وذكر استينس ، الخطيب الأثينى ، فى إحدى خطبه : « لنفحص أعضاء الشعب ، حتى لا يوجد فى مجلس الشعب من ضرب أباه أو أمه ، أو أهمل فى إعالتهم أو تجهيز منزل لهم » . ويقول ديموثينس : « لى اعتبر الرجل الذى يهمل والديه غير مؤمن مكروه من الآلهة والناس معاً » وكتب أفلاطون عن وصية إكرام الوالدين فقال : « عندما يشيخ أبو قردان ويعجز عن الطيران ، يعتكف فى عشه ويغذيه صغاره ، التى تذهب فى متاعب لا تنهى لتوفر الغذاء » . وكان واضحاً لأفلاطون أنه طالما كان هناك اعتراف فى المملكة الحيوانية بالواجب نحو الوالدين الطاعنين فى السن فمن الأولى أن يصبح هذا الواجب مضاعفاً عند البشر ، ويقول أرسطو : « يجب أن نذكر أنه فى موضوع الطعام يحق أن نساعد والدينا قبل الآخرين ، لأننا ندين بغذائنا ونمونا لهم ، ومن الأكرم أن نساعد فى هذا السبيل أولئك الذين أنجبونا ، مقدمينهم حتى على نفوسنا » . وكان رأى أرسطو أن على الشخص أن يقاسى ألم الجوع قبل أن يسمح لنفسه برؤية والديه فى جوع . أما أفلاطون فقد عبر فى القوانين عن اقتناع مماثل بعظم الدين الذى يدين به الأولاد نحو والديهم . « وبعد هذا يأتى التكريم نحو الوالدين المحبين ، الذين يجب أن نوفى لهم أول وأعظم وأقدم الديون ، واضعين فى الاعتبار أن كل ما يملكه الإنسان إنما يرجع إلى أولئك الذين أعطوه الحياة واعتنوا بتربيته ، وأن عليه أن يفعل كل ما فى مقدوره لخدمتهم ، أولاً بما تملكه يده ، ثانياً بشخصه ، ثالثاً بروحه ، مسدداً لهم الديون المستحقة لهم نتيجة عنايتهم وتعبهم نحوه فى الأيام السالفة أيام طفولته ، والتى يستطيع أن يردّها لهم وهم فى وهن الشيخوخة وعجز الاحتياج » .

كذلك أكد العهد الجديد أن إعالة الوالدين جزء أساسي من الواجب المسيحي . إن هذا الأمر يجب أن نذكره دائماً . فنحن نعيش في زمن تحولت فيه أقدم الواجبات إلى مسئولية الدولة ، مما يجعلنا نتوقع قيام المال العام بالإحسان الواجب على بر الخاصة ، وتعتبر الرسائل الرعوية العون الذي يقدم للوالدين معبراً عن شيتين أولاً ، هو تكريم للمحسن إليه . هذه هي الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الابن أن يظهر روح التكريم والتبجيل التي يحفظها في قلبه . ثانياً ، هو اعتراف بواجب المحبة . المحبة تكرم دين المحبة . هو رد لمحبة أدخلت في وقت حاجة بمحبة تعطي في وقت حاجة ؛ وبالمحبة وحدها فقط يمكن تسديد دين المحبة .

لا زال هناك شيء واحد نذكره هنا ولا يمكن التغاضي عنه . هذا الجزء بالذات يضع صفات معينة يتحتم توفرها فيمن يستحقون عون الكنيسة . وما يصدق على الكنيسة يصدق على العائلة . إذا كان لا بد من إعالة شخص ما يجب أن يكون هذا الشخص مستحقاً للإعالة . إذا كان إيواء أحد الوالدين بمنزل الابن مثيراً للمتاعب نتيجة لتصرفات غبية ، غير حكيمة ، غير رقيقة من جانب الوالد ، يتغير الموقف تماماً . فهنا واجب ثنائي ؛ فواجب الابن أن يعول الوالدين ، كما أن واجب الوالدين أن يقابلا هذا التكريم نحوهما بالرضاء والقبول وإشاعة السلام في البيت الذي آواهم .

شيخوخة مكرمة نافعة

٩ لِتُكْتَسَبَ أَرْمَلَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ عُمرُهَا أَقَلَّ مِنْ سِتِّينَ
سَنَةً أَمْرَأَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ١٠ مَشْهُودًا لَهَا فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ
إِنْ تَكُنْ قَدْ رَبَّتِ الْأَوْلَادَ أَضَافَتِ الْغُرَبَاءَ غَسَلَتْ أَرْجُلَ
الْقَدِيسِينَ سَاعَدَتِ الْمُتَضَافِينَ اتَّبَعَتْ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ .

اتيموثاوس ٥ : ٩ - ١٠

يتضح من هذا الجزء أن الكنيسة كانت تحتفظ بسجل رسمي للأرامل ،
ويبدو أن كلمة أرملة استعملت في معنيين . النساء المسنات اللاتي مات
أزواجهن وكانت لهن حياة صالحة نافعة فأصبحت الكنيسة مسئولة عنهن ، ولكن
من المؤكد أنه كان في الكنيسة الأولى ، نظام رسمي للأرامل ، نظام للمسنات
المفرزات لتأدية واجبات معينة في نطاق عمل الكنيسة .

وقد جاء في التنظيمات التي تضمنها الدستور الرسولي والتي تصف لنا
ما كانت عليه حياة الرسول ومؤسسة الكنيسة في القرن الثالث ما يلي :

« تعين ثلاث أرامل ، اثنتان للمداومة على الصلاة لأجل أولئك الذين
في تجربة ، وللمشاركة في الرؤى إذا كان هذا ضرورياً ، وواحدة لمساعدة
المريضات ؛ يجب أن تكون مستعدة دائماً للخدمة ، حريصة دقيقة مخبرة
الشيخوخ بالضرورة من الأمور ، ليست طامعة بمال ، ولا مولعة بالخمر ،

حتى تكون يقظة قادرة على تأدية الخدمات الليلية وواجبات المحبة الأخرى ،
وضع على الأراامل واجبات الصلاة المستديمة ، وواجبات تقديم المحبة والعون
لمن هم في ضيقة .

هذه الطبقة من الأراامل لم يكن من حقها أن ترسم مثل الشيوخ والأساقفة
بل كن يفرزن بالصلاة للعمل الواجب تأديته . ولم يكن يفرزن لهذا العمل حتى
يجاوزن الستين من العمر . وقد اعتبر العالم القديم هذه السن خليقة بالتركيز
على الحياة الروحية . وقد أبرز أفلاطون ، في تصويره وتخطيطه للدولة المثالية ،
أن سن الستين هي السن المناسبة للرجال والنساء ليصبحوا كهنة وكاهنات
وتعتبر شعوب الشرق المتدينة سن الستين سناً مناسباً للانسحاب من نشاطات
العالم المختلفة والتفرغ لحياة التأمل .

والرسائل الرعوية عميقة في الاختبارات العملية ؛ ونجد هنا في هذا
الجزء سبعة صفات يحق توفرها في أراامل الكنيسة .

أن تكون زوجة رجل واحد . في عصر تلاشت فيه قيمة رباط الزوجية ،
واستهين به على نطاق عام ، كان على الأراامل أن يكن مثال الطهارة والإخلاص
أن يكن قد نلن الشهادة بأعمال صالحة . فكل حامل وظيفة في الكنيسة ،
ذكر أو أم أنثى ، لا يحتفظ فقط في يده بسمعته الشخصية واسمه الطيب ،
ولكن باسم الكنيسة أيضاً . وموظف الكنيسة السيئ السمعة يسئ إلى سمعة
الكنيسة . كما أن أفضل إعلان عن الكنيسة هو خادمتها الأمين الذي يطبق
مسيحيته على عمله ونشاطاته اليومية في حياة العالم .

أن يكن قد ربين الأطفال ، وربما المقصود هنا أكثر من معنى واحد
فربما كان يعنى هذا أن الأراامل قد قدمن البرهان على الرحمة المسيحية

بتنشئهن عائلتهن تنشئة مسيحية. ولكن ربها غنى هذا شيئاً أكبر. في عصر كهذا انحلت فيه روابط الزوجية ، وكان الرجال والنساء يتنازلون عن ارتباطاتهم في سرعة عجيبة ، اعتبر مجيء الأطفال حرج عثرة . كان الطفل آخر شيء يرغب فيه الناس . عندما يولد طفل ، يوثى به ويوضع أمام قدمي والده . إذا أنحنى الأب ورفع الطفل ، اعتبر هذا اعترافاً من الأب بالطفل واستعداده لتقبل مسئولية تربيته . أما إذا أدار الوالد ظهره وسار بعيداً ، كان هذا حكماً بنفذ الطفل ، كنوع من سقط المتاع . وغالباً يجمع هؤلاء الأطفال المنبوذين أناس بلا ضمير أو وازع ، يستغلونهم أبشع استغلال ، فالبنت إلى بيوت الدعارة والأولاد إلى سوق العبيد أو يدرّبونهم مصارعين في الألعاب العامة في مثل هذه الظروف كان واجباً مسيحياً إنقاذ هؤلاء الأطفال من الموت وما هو شر من الموت ، وتربيتهم في بيت مسيحي . ومعنى هذا أن أولئك الأرامل قد فتحن بيوتهم للأطفال اليتامى والمنبوذين . — أن يكن مضيفات للغرباء . اشتهرت فنادق العالم القديم بشدة قذارتها وارتفاع تكاليفها ، وسوء أخلاقها . لقد كان ما يفعله أولئك الذين يفتحون بيوتهم للمسافر المسيحي ، أو المسيحي الغريب في مكان غريب ، أو الطلبة الصغار الذين يدرسون بعيداً عن بيوتهم ، إنما يمثل خدمة جليلة ممتازة للمجتمع المسيحي . إن باب البيت المسيحي المفتوح شيء غال عظيم القيمة .

— أن يكن قد غسلن أرجل القديسين . ليس من الضروري أخذ هذه الجملة حرفياً ، وإن كان المعنى الحرفي يفيد أيضاً . كان غسل أرجل شخص ما من أخط الواجبات التي تترك عادة للعبيد . ومعنى هذا أي الأرامل المسيحيات كن مستعدات لتقبل أحقر الأمور في خدمة المسيح وشعب المسيح . — أن يكن قد ساعدن من في ضيقة أو في السجن . في أيام الاضطهاد لم يكن أمراً هيناً زيارة ومساعدة المسيحيين المضطهدين لأجل إيمانهم . من

يفعل هذا يكشف عن شخصيته ويعرض نفسه بالتالى إلى عقاب وسجن مماثل .
على المسيحى أن يساند من فى ضيقة بسبب إيمانهم ، حتى ، لو كان فى عملة
هذا ما يؤدى إلى جلب المتاعب على نفسه .

— أن يكن قد كرسن أنفسهن لكل عمل صالح . كل إنسان يركز
على عمل ما فى حياته ؛ والمسيحى يجعل هدف حياته إطاعة المسيح وعون
الناس .

عندما ندرس هذه الصفات المطلوبة فى الأرامل ، نرى أنها بالحقيقة
الصفات المرغوبة فى كل مسيحى يحب المسيح ويحب زملائه الناس .

مزية وأخطار الخدمة

كما سبق القول ، كان للأرامل نظام معمول به فى الكنيسة الأولى . وقد
تحدد نوع عملهن ومكانه فى الكنيسة بما جاء فى الأبواب الثمانية الأولى للكتاب
الثالث من الدستور الرسولى ، ومن المستحسن أثناء فحصنا لهذه الأبواب أن
نوضح المزايا والأخطار التى كان من المحتم على هذا النظام أن يمر بها .

١ — أحد الشروط فى النساء اللائى يخدمن فى الكنيسة أن يكن حريصات ،
وخاصة فى القول والكلام : « لتكن كل أرملة وديعة ، هادئة ، رقيقة ،
مخلصية ، لا يغلبها الغضب ، غير ثائرة أو صاحبة أو سريعة الكلام ،
لا تتحدث بالشر ، ولا تكون بوجهين أو تعتذر دائماً بكثرة المشغولية . إذا
أبصرت أو سمعت ما هو خطأ ، عليها أن تتصرف كما لم تكن قد رأت أو
استمعت » . على خادومات الكنيسة أن يكن شديدات الحرص عندما يتكهن
عن الإيمان ، ويناقشنه مع الغرباء : « لأنه عندما يستمع غير المؤمنين إلى
عقيدة المسيح ، مفسرة بطريقة خاطئة ، وخاصة ما يتعلق بتجسده وآلامه ،

لأن يكون تقبلهم لها بشكر الله بل بالسخرية والتكذيب . ليس هناك أخطر من خادم الكنيسة الذى يتفوه بأمور خاصة لا يجب أن يقال . . ولا يحق لموظف الكنيسة أو راعيها أن يذيع سرّاً مثله فى ذلك مثل الكاهن الذى يتلقى سرّاً فى الاعتراف . أن العامل فى الكنيسة يعد نفسه لتوصيل الإنجيل بصورة تقرب الحق المسيحى من أذهان الناس ولا تبعده عنهم .

٢ - على النساء الخاديات فى الكنيسة أن لا يكن فضوليات ثرثرات :
« لتعتبر الأرملة نفسها هيكلًا لله ، فتجلس فى بيتها ، ولا تدخل إلى بيوت غير المؤمنين مهما كانت الأعذار ولا تقبل منهم شيئاً ؛ لأن هيكل الله ثابت فى مكان واحد ولا يجرى هنا وهناك . لمتنع إذاً العذراء والأرملة عن اللف والدوران ، أو التردد على بيوت من لا يعرفون الإيمان . لأن مثل أولئك هن الفضوليات الغير حكيّات » . الفضولى الثرثر المقتاب لا يصلح لخدمة الكنيسة .

٣ - على الأرملة التى تأخذ إحساناً من الكنيسة أن تمتنع عن الطمع .
« هناك أرامل جعلن الربح عملهن ؛ يطلبن بدون خجل ، ويأخذن بدون اكتفاء ، مما يعثر الكثيرين عن العطاء . . . امرأة كهذه لا تفكر إلا أين تذهب لتأخذ ، ومن من معارفها قد نسيها لتذهب إليها فتذكرها . . .

تقول متبرمة للشماسة التى توزع الصدقات ، ألا ترين أننى فى شدة الضيقة والاحتياج لصدقتك ؟ لماذا تفضلينها على ؟ » . ما أقبح الحياة إن كانت حملاً على الكنيسة بدلاً من الحياة لأجل الكنيسة .

٤ - وقد ذكر أيضاً أن على أولئك النساء أن يفعلن كل ما فى استطاعتهن لمساعدة أنفسهن : « لتأخذ صوفاً وتساعد آخريّن بدلاً من الحاجة إليهم » .
إن صدقة الكنيسة ليس الغرض منها تشجيع الكسل والحمول للناس .

٥ - على أولئك النساء أن لا يكن حاسدات أو غيورات : « بلغنا أن بعض الأراامل غيورات ، حاسدات يضقن بسلام الأخريات . يليق بهن شكر الله إذا نالت زميلة أرملة ملابساً أو نقوداً أو طعاماً أو شراباً من أحد لأن في ذلك تخفيف لضيقها وترفيه عنها » .

اجتمعت هنا في صورة واحدة أنواع الأخطاء التي تعرفها كل كنيسة ، والفضائل التي يجب أن تتميز بها الحياة المسيحية الصادقة .

أخطار الفراغ والبطالة

١١ أما الأَرَامِلُ الْحَدَثَاتُ فَارْفُضُهُنَّ مَتَى بَطِرْنَ عَلَى
الْمَسِيحِ يُرَدْنَ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ. ١٢ وَلَهُنَّ دَيْنُونَةٌ لِأَنَّهُنَّ
رَفَضْنَ الْإِيمَانَ الْأَوَّلَ. ١٣ وَمَعَ ذَلِكَ أَيْضاً يَتَعَلَّمْنَ أَنْ يَكُنَّ
بَطَّالَاتٍ يَطْفُنَّ فِي الْبُيُوتِ وَلَسْنَ بَطَّالَاتٍ فَقَطْ بَلْ
مِهَذَارَاتٌ أَيْضاً وَفُضُولِيَّاتٌ يَتَكَلَّمْنَ بِمَا لَا يَجِبُ .
١٤ فَأَرِيدُ أَنْ الْحَدَثَاتِ يَتَزَوَّجْنَ وَيَلِدْنَ الْأَوْلَادَ وَيُدَبِّرْنَ
الْبُيُوتَ وَلَا يُعْطِينَ عِلَّةً لِلْمَقَاوِمِ مِنْ أَجْلِ الشُّنْمِ. ١٥
فَإِنَّ بَعْضَهُنَّ قَدْ أَنْحَرَفْنَ وَرَاءَ الشَّيْطَانِ. ١٦ إِنْ كَانَ لِمُؤْمِنٍ
أَوْ مُؤْمِنَةٍ أَرَامِلُ فَلْيُسَاعِدْهُنَّ وَلَا يُثْقِلَنَّ عَلَى الْكَنِيسَةِ لِكَيْ
تُسَاعِدَ هِيَ أَلِّلَوَاتِي هُنَّ بِالْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ .

اتيموثاوس ٥ : ١١ - ١٦

هذا الجزء يعكس الموقف في المجتمع الذي وجدت فيه الكنيسة الأولى .
لا دينونة على الأراميل الحدثات لزوجهن مرة ثانية لكن يحدث أن يدخل
الحزن والموت إلى بيت ، فيموت الزوج ، فتقرر أرملة تحت وطأة الألم
 والمرارة وبتأثير الدافع الديني اللحظي أن تظل أرملة ، مكرسة حياتها للمسيح
 وللكنيسة . فإذا فعلت ذلك كانت تعتبر عروس للمسيح فقد اختارت المسيح

عريساً لها . فإذا ، كسرت عهودها ورغبت في الزواج ثانية ، تعتبر ناقضة لعهد زواجها بالمسيح . وكان من الأفضل أن تتعهد هذا التعهد مطلقاً . فلن يقلل هذا من شأنها سواء داخل الكنيسة أو خارجها . ولكن متى تعهدت هذا العهد ، فواجبها الوفاء به وأن تحفظ حياتها مكرسة للمسيح .

والذي عقد هذا الموضوع كثيراً الوضع الاجتماعي في ذلك العصر . كان من قبيل المحال ، في العالم القديم ، أن تكسب امرأة وحيدة معيشتها عن طريق شريف . فلم يكن هناك شيء تستطيع أن تعمله ، ولا توجد أمامها أى فرصة للعمل . والنتيجة المحتمة ؛ إنسياقها رغماً عنها نحو الدعارة لكي تعيش . لهذا فإننا عندما نقرأ هذا الجزء علينا أن نقرأه وفي أذهاننا صورة واضحة للموقف ، حيث كان من المستحيل كلية على امرأة وحيدة أن تحافظ على استقلالها خلال عمل كريم . كان عليها أن تزوج ، أو تكرس حياتها كلية لخدمة الكنيسة ؛ ولم يكن هناك حل وسط بين هذين الحلين .

وعلى أى حال ، فإن أخطار البطالة هي نفسها في كل عصر وكل جيل . هناك خطورة عدم الاستقرار ؛ الخطورة الناتجة عن عدم وجود ما يشغل المرأة تماماً ، فيدفعها هذا إلى الطواف من بيت إلى بيت في حلقة اجتماعية مفرغة . ومن المحتم أن امرأة كهذه تصبح مصدراً للإشاعات ؛ فليس لديها أمر هام تتكلم عنه ، فتميل إلى الثرثرة عن الفضائح ، وإذ تعيد الإشاعة من بيت إلى بيت ، تضيف إليها بعضاً من التجميل وبعضاً من الشر في كل مرة . وأفضل طريقة لتجنب الثرثرة الفارغة هو حشد الحياة بالنشاطات وملء العقل بالمعرفة حتى يوجد دائماً ما يستحق التكلم فيه . امرأة كهذه تصبح فضولية نمامة . فحيث أنها لا تجد لديها ما يشغل اهتمامها ، تتجه إلى الاهتمام الزائد والتدخل في شئون الآخرين . صدق القول حينذاك ، كما يصدق الآن ، :

« يستخدم الشيطان الأيدي العاطلة في ارتكاب شرور أكثر » . الحياة الممتلئة بالمشاغل هي الحياة الأسلم ، أما الحياة الفارغة فهي دائماً في خطر .

إذاً فالنصيحة للأرامل الحداث أن يتزوجن ، وأن يشتغلن بأعظم المسئوليات على الإطلاق ، مسئولية تربية أسرة وتكوين بيت : نجد هنا مرة أخرى مثالا جديداً على أحد الأفكار الرئيسية في الرسائل الرعوية . فقد كان اهتمام الرسائل الرعوية منصباً على مظهر المسيحي أمام العالم الخارجي . هل يتيح الفرد المسيحي للعالم الخارجي فرصة لانتقاد الكنيسة ، أم للاعجاب بها ؟ فالعالم يسرع إلى استغلال أى فضيحة للتحقير من شأن الكنيسة . وما أصدق القول « أكبر عوائق صادقتها الكنيسة هي حياة أعضائها الغير لاثقة » . وكما أن أعظم دفاع وشاهد للمسيحية هو الحياة المسيحية الصادقة . فليس في العالم أجمع شهادة أقوى من تلك الحياة الجميلة والفرح الداخلى والشركة العميقة التى تسود بيتاً مسيحياً صادقاً .

قواعد الخدمة العملية

١٧ أما الشيوخ المدبرون حسناً فليُحسبوا أهلاً
لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة
والتعليم. ١٨ لأن الكتاب يقول لا تكلم ثوراً دارساً .
والفاعل مستحق أجرته .

١٩ لا تقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أو
ثلاثة شهود. ٢٠ الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع
لكي يكون عند الباقيين خوف. ٢١ أناشدك أمام الله
والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ
هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة. ٢٢ لا تضع يداً
على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين . احفظ
نفسك طاهراً .

اتيموثاوس ٥ : ١٧ - ٢٢

يشمل هذا الجزء مجموعة من أعظم القواعد العملية للحياة وإدارة
الكنيسة :

١ - يجب أن يكرم الشيوخ التكريم المناسب ، ويدفع لهم الأجر المناسب .
أثناء دراس القمح في الشرق ، كانت ترص السنابل على أرض الدراسة ، ثم تساق الثيران في أزواج خلالها ؛ أو تربط الثيران إلى عمود في الوسط وتحث على الدوران مراراً على القمح ، وأحياناً أخرى تجر الثيران آلة الدرس خلال الحبوب ؛ في جميع هذه الأحوال لا تكتم الثيران ، بل تترك حرة لتأكل من الحبوب بقدر ما ترغب . إنه نوع من المكافأة لإزاء العمل الذي يقومون به . والقانون الذي ينص على عدم تكيم الثور موجود في تثنية ٢٥ : ٤ والقول إن الفاعل مستحق أجرته هو بالفعل أحد أقوال المسيح (لوقا ١٠ : ٧) .
والاحتمال أنه مثل شائع اقتبسه يسوع . من يعمل يستحق أن يعال ، وكما ازدادت صعوبة عمله ، كلما ازداد ما يكسبه وما يستحقه . لم يكن للمسيحية في أى وقت علاقة بالدعوة العاطفية الناعمة التي تنادى بالمساواة للجميع .
مكافأة الشخص يجب أن تتناسب مع مجهوده . كما يجب ملاحظة أى طبقة من الشيوخ تستحق تكريماً ومكافأة خاصة .

هؤلاء هم الشيوخ المجاهدون في الوعظ والتعليم . فالشيخ الذي يكتفى بابداء المشورة والنصيحة ، والذي لا تزيد خدمته عن الكلام والمناقشات ، والذي يعتقد أنه يجلسه حول المائدة وحديثه قليلاً قد استنفد واجبات المشيخة لا مكان له في هذا الحديث . من يستحق تكريماً حقيقياً من الكنيسة هو من عمل لبناء وتقديس الكنيسة بما يعظه عن الحق للجمهور ، وبما يعلمه للأحداث ولحديثي الإيمان عن الحياة المسيحية .

٢ - كان القانون اليهودي لا يأخذ بشهادة فرد واحد ضد شخص ما :
« لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب ما أو خطية من جميع الخطايا التي ينطىء بها على فم شاهد أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر » (تثنية ١٩ : ١٥) .

وتصف المشناه ، (قانون معلمى اليهود) ، عملية المحاكمة هكذا : « وأحضه
الشاهد الثانى كالأول وامتنحن . إذا وجدت شهادة الاثنين مطابقة ، فتح باب
الدفاع » أى أنه إذا كانت التهمة قائمة على شهادة واحد فقط لم يكن هناك محل
لقضية على الإطلاق . وبعد ذلك ، اشترطت نظم الكنيسة أن يكون الشاهدان
مسيحيين ، لأنه كان من اليسير على أى وثنى شرير أن يخلق تهماً كاذبة ضد
شيخ مسيحي ليحقره ، وبالتالي يحقر الكنيسة فى أيام الكنيسة الأولى ، لم
يتردد مسئولو الكنيسة عن تطبيق العقاب التربوى . ويشير تيودور الموبسيستى
Theodore of Mopseuestia أحد آباء الكنيسة الأوائل ، بضرورة هذا
العقاب لأن الشيوخ كانوا دائماً عرضة للكرامية ولهجوم غادر « نتيجة لرغبة
الانتقام عند بعض الذين سبق للشيوخ توبيخهم » . فمن سبق وتعرض لتعنيف ،
يرغب فى استرداد كرامته بأن يخلق تهمة أو خطية ما ضد الشيخ . إن الحقيقة
التالية ستظل دائماً حقيقة ثابتة وهى : أن العالم كان يكون أكثر سعادة ، وأن
الكنيسة كانت تكون أكثر سعادة ، لو تعلم الناس أن نشر الأكاذيب واختلاق
الفرية ضد الآخرين خطية لا تغتفر . فالكلام المسمم ، الغير مسئول ،
المختلق ، الشرير يسبب ضرراً بالغاً ويحطم قلوباً بريئة ، ولن يمضى حديث
مثل هذا دون عقاب الله الحاسم .

قواعد الإدارة العملية

من يعيشون الخطية يجب توبيخهم علناً . هذا التوبيخ العلنى مضاعف
الفائدة . يعيد للخاطيء صوابه فى تقييم طريقه ، ويوقظ فيه إحساس بالخجل ؛
ثم يحذر الآخرين لئلا يسقطوا فى موقف مهين مماثل : إن التهديد بالعلنية جيد
طالما كان الغرض منه حفظ الشخص فى الطريق المستقيم ، حتى لو كان فى
هذا التهديد نوع من التخويف . والقائد الحكيم يعلم متى يجب المحافظة على

المهلوء ومتى يستوجب الأمر التوبيخ العلني . ولكن مهما حدث ، لا يجب أبداً أن تعطى الكنيسة العلم صورة المتساهل في الخطية .

٤ - بحث تيموثاوس على إدارة عمله دون تفضيل أو محاباة . كتب ب. س. إيستون B.S. Easton : « كيان المجتمع يرتكز إلى عدم تحيز العقاب » . ليس هناك ما يضر المجتمع أكثر من معاملة بعض الناس على أنهم لا يرتكبون الخطأ ، ومعاملة البعض الآخر على أنهم لا يفعلون أى صواب . العدالة فضيلة عالمية ، ويقتضى ذلك أن الكنيسة لا يجب أن تسقط إلى مستوى في العدالة أقل مما يطلبه العالم بحق .

٥ - يحذر تيموثاوس من الاستعجال « في وضع يده على أى شخص » . ويعنى هذا واحد من أمرين :

(أ) أن لا يكون متسرعاً في وضع يديه على أى إنسان لوظيفة في الكنيسة . في ميدان الأعمال ، أو في التدريس ، أو في الجيش ، أو في البحرية أو في قوات الطيران لا يحصل الإنسان على ترقية إلا إذا قدم البرهان على استحقاقه لها . أى أن واجب الشخص أن يثبت أنه يستحق مركز المسؤولية والقيادة . ويصبح هذا مضاعف الأهمية في الكنيسة ؛ لأن من يرفع إلى وظيفة عليا ثم يفشل فيها أو يعرض هذا المركز للمهانة لا يهين نفسه فقط بل والكنيسة أيضاً . في وسط عالم متربص منتقد لا يسع الكنيسة إلا أن تكون بالغة التدقيق فيمن تختارهم لقيادتها .

(ب) كان المتبع في الكنيسة الأولى وضع الأيدي على خاطيء نائب قدم البرهان على توبته وعاد لحظيرة الكنيسة : وقد جاء ما يلي :

عندما يتوب الخاطيء ، ويظهر ثمار توبته ، يضع الأيدي عليه .
بينما يصلى الجميع لأجله . : ويذكر ايسوبيوس Eusebius ،
مؤرخ الكنيسة ، أنه جرت العادة على استقبال عودة التائبين
بوضع الأيدي والصلاة . لو كان هذا هو المعنى المقصود هنا ،
ففيه تحذير لتيموثاوس أن لا يتسرع في استقبال الشخص العائد
الذى جلب العار على الكنيسة ، بل ينتظر حتى يثبت أن توبته
حقيقية صادقة ، وأنه اعزم بأمانة أن يعيد تشكيل حياته لتطابق
اعترافات توبته . وليس في هذا ما يعنى مطلقاً أن يمنع هذا الشخص
ويعامل بالشك وسوء الظن . مثل هذا الإنسان يجب أن يعامل
بكل عطف وعون وإرشاد في فترة اختباره ، والشركة المسيحية
تستوجب بذل كل مستطاع ، أثناء هذه الفترة ، ليفتدى هذا
الشخص ذاته ويبدأ من جديد . ولكن يجب أن يقال أيضاً ، إن
العضوية في الكنيسة لا يستهان بها ، وإن على الشخص أن يثبت
توبته عن الماضي وعزمه عن المستقبل ، لا قبل استقباله في شركة
الكنيسة ، بل قبل قبوله في عضوية الكنيسة . فشركة الكنيسة
موجودة لمساعدة مثل هؤلاء الناس أن يفتدوا أنفسهم ، ولكن
عضوية الكنيسة إنما لأولئك الذين تعهدوا بحق وأمانة أن يعطوا
حياتهم للمسيح .

نصيحة تيموثاوس

لَا تَكُنْ فِي مَا بَعْدُ شَرَابَ مَاءٍ بَلِ اسْتَعْمِلْ خَمْرًا
قَلِيلًا مِنْ أَجْلِ مَعِدَتِكَ وَأَسْقَامِكَ الْكَثِيرَةِ .

١ تيموثاوس ٥ : ٢٣

هنا نجد جملة تبين العلاقة الوثيقة التي تظهر في الرسائل الرعوية . في هذا
الخصم من أمور الكنيسة ومشاكل الإدارة يجد بولس فرصة ليحشر نصيحة
محبة إلى تيموثاوس عن صحته .

اشتمل الدين اليهودي دائماً على لمسة تقشف . عندما يأخذ رجل على
نفسه عهد النذير (عدد ٦ : ١ - ٢١) كان يرتبط بعدم لمس أو نتاج
الكرمة : « يعزل نفسه عن الخمر والشراب القوي ، أو مستقطر الخمر أو
تلوق الشراب القوي ، ولا يشرب عصيراً للعنب ، أو يأكل عنباً مرطباً
أو مجففاً . ويظل كل أيام انعزاله لا يأكل شيئاً صنع من شجرة الكرم ، من البكرة
إلى القشرة الخارجية » (عدد ٦ : ٣ و ٤) . . لذلك تعهد الركايون بالامتناع
عن الخمر . ويقص علينا سفر إرميا كيف ذهب إرميا ووضع أمام الركايين
خمراً وكثوساً : « فقالوا لا نشرب خمراً لأن يوناداب بن ركاب أبانا أوصانا
قائلاً لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد ؛ ولا تبنوا بيتاً ولا تزرعوا زرعاً
ولا تغرسوا كرمًا ولا تكن لكم » (إرميا ٣٥ : ٥ - ٧) . وبما أن تيموثاوس
كان نصف يهودي لأن أمه يهودية (أعمال ١٦ : ١) ، ربما ورث عنها تلك
النزعة التقشفية في حياته . ومن جانب والده كان تيموثاوس يونانياً . وقد

رأينا كيف أن الرسائل الرعوية كتبت لتدحض بدعة الغنوسية التي اعتبرت كل ما هو مادة (الجسد والأرضيات) شرير . ورأينا كيف أن تطبيق هذه البدعة ربما أدى إلى تقشف حاد يجوع فيه الجسد وتساء معاملته . وربما كان تيموثاوس أيضاً متأثراً — دون عمله — بهذا التقشف اليوناني .

نجد هنا حقيقة عظيمة ، يتناساها كثيراً المسيحي والعاملون مع المسيح فيتعرضون للضرر ، هذه الحقيقة هي ضرورة اهتمامنا بالجسد وعدم إهماله . لا يحق لأي إنسان أن ينشغل للدرجة إهمال صحته . وكثيراً ما يكتشف الشخص أن بلادته الروحية ، وسطحيته وجفافه إنما تأتي ببساطة نتيجة لتعبه الجسدي وإرهاقه . أي آلة تحتاج لعناية وصيانة حتى تستطيع مداومة الحركة جيداً ، كذلك الجسم الإنساني . نحن نرغب في تأدية عمل المسيح على خير ما نستطيع ؛ ونحن لا نستطيع عمله جيداً ما لم نكن لاثقين جسدياً لهذا العمل . لا توجد فضيلة — بل العكس هو الصحيح — في إهمال واحتقار الجسد ، فالعقل السليم في الجسم السليم « هذا المثل الروماني القديم هو أيضاً المثل المسيحي .

هذه الفقرة قد أزعجت كثيراً المدافعين عن الحرمان الكامل . يجب أولاً أن نذكر أن الآية لا تعطينا رخصة للاغراق في الخمر حتى الإدمان ؛ ولكنها ببساطة توافق على استعمال الخمر طالما كانت هناك فائدة طبية للخمر . وإذا كانت تضع مبدأ معيناً على الإطلاق ، يكون هو المبدأ الذي عبر عنه أ. ف. براون E.f. Brown جيداً : « ترينا الآية أنه بينما يمكن اعتبار التوصية بالامتناع الكامل مشورة حكيمة ، لا يجب مطلقاً فرضها كواجب ديني » وببساطة يقول بولس إنه لا يوجد فضل في الحرمان إذا كان الضرر الحادث للجسم نتيجة له أكثر من المنفعة .

استحالة الإخفاء التام

٢٤ خَطَايَا بَعْضِ النَّاسِ وَاضِحَةٌ تَتَقَدَّمُ إِلَى الْقَضَاءِ .
وَأَمَّا الْبَعْضُ فَتَتَّبِعُهُمْ ٢٥ . كَذَلِكَ أَيْضاً الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ
وَاضِحَةٌ وَالَّتِي هِيَ خِلَافُ ذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُخْفَى .

١ تيموثاوس ٥ : ٢٤ و ٢٥

هذا القول يَحْتَمِلُ أَنْ نَتْرِكَ الْأُمُورَ لِلَّهِ وَأَنْ نَكُونَ رَاضِينَ . هُنَاكَ خَطَاةُ
ظَاهِرُونَ ، وَوَاضِحٌ أَنَّ خَطَايَاهُمْ تَقُودُهُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَإِلَى عِقَابِهِمْ ؛ وَهُنَاكَ
خَطَاةُ فِي الْخَفَاءِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ حَيَاةَ الْقَبِيحِ وَالشَّرِّ خَلْفَ وَاجِهَةٍ رَاضَةٍ لَا عَيْبَ
فِيهَا . مَا لَا يَرَاهُ النَّاسُ ، يَرَاهُ اللَّهُ « يَرَى النَّاسُ الْعَمَلَ ، وَلَكِنْ اللَّهُ يَبْصُرُ
الْقَصْدَ » . وَلَيْسَ هُنَاكَ مَهْرَبٌ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ النَّهَائِيَةِ أَمَامَ اللَّهِ الَّذِي يَرَى وَيَعْرِفُ
كُلَّ شَيْءٍ .

وَهُنَاكَ الْبَعْضُ الَّذِينَ تَبْدُو أَعْمَالُهُمُ الصَّالِحَةَ أَمَامَ الْجَمِيعِ ، وَالَّذِينَ نَالُوا
الْحَمْدَ وَالثَنَاءَ وَالتَّكْرِيمَ وَتَهَانَى النَّاسِ . وَهُنَاكَ الْبَعْضُ لَمْ يَلَاظِ أَحَدَ أَعْمَالِهِمُ
الْحَسَنَةَ . لِهَذَا لَمْ يَقْدِرُوا ، أَوْ يَشْكُرُوا ، أَوْ يَثْنَى عَلَيْهِمْ ، أَوْ يَقِيمُوا بِمَا يَجِبُ
أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ . لَا يَحِقُّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ أَنْ يَشْعُرُوا بِخِيبةِ الْأَمَلِ . فَاللَّهُ يَعْرِفُ
الْعَمَلَ الصَّالِحَ ، وَاللَّهُ سَيَجَازِي لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مُدِيناً لِلنَّاسِ .

يَقَالُ لَنَا هُنَا إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَغْضِبَ بِهَرُوبِ الْبَعْضِ ظَاهِرِيّاً مِنْ
الْعِقَابِ ، وَلَا أَنْ نَتَأَلَّمَ لِحُجُودِ الْبَعْضِ ظَاهِرِيّاً ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نَرْضَى بِتَرْكِ كُلِّ
الْأُمُورِ إِلَى جِزَاءِ اللَّهِ الْآخِرِ .

الأصحاح السادس

كيف تكون عبداً ومسيحياً ؟

١ جَمِيعُ الَّذِينَ هُمْ عَبِيدُ تَحْتَ نِيرٍ فَلْيَخْسِبُوا
سَادَتَهُمْ مُسْتَحَقِّينَ كُلِّ إِكْرَامٍ لِئَلَّا يُفْتَرَى عَلَى اسْمِ اللَّهِ
وَتَعْلِيمِهِ . ٢ وَالَّذِينَ لَهُمْ سَادَةٌ مُؤْمِنُونَ لَا يَسْتَهِينُوا
بِهِمْ لِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَلْ لِيُخَدِّمُوهُمْ أَكْثَرَ لَأَنَّ الَّذِينَ يَتَشَارَكُونَ
فِي الْفَائِدَةِ هُمْ مُؤْمِنُونَ وَمُحِبُّونَ . عَلَّمْ وَعِظْ بِهَذَا .

١ تيموثاوس ٦ : ١ و ٢

يشتمل هذا الجزء على بعض المبادئ المسيحية البالغة الأهمية للحياة
اليومية والعمل اليومي .

كان العبد المسيحي في موقف شديد الصعوبة : فلو كان عبداً لسيد وثني
فإن الإغراء الواقع عليه كبير في أنه يرى سيده محكوم عليه بالضيق بينا هو
وريث الخلاص . وبهذه تقوده مسيحيته إلى إحساس بسمو جامد لا تسامح فيه .
فيخلق هذا جواً مستحيلاً . ومن الناحية الأخرى ، إذا كان سيده مسيحياً ،
يكون الإغراء الواقع على العبد هو استغلال هذه العلاقة الجديدة ربما وجد
في هذه العلاقة سبباً كافياً للإهمال في العمل ثم توقع النجاة من العقاب . وربما
ظن أنه لكونه هو وسيده مسيحيان فيجب أن يتمتع بكل أنواع الحقوق
والاعتبارات الخاصة . ربما استعمل حقيقة مسيحية هو وسيده ليصبح خادماً
كسولاً غير كفء ، معنى من التربية والعقاب . كانت هناك مشكلة واضحة .
لنلاحظ أمرين عامين .

١ - في تلك الأيام الأولى لم تظهر الكنيسة كالمعارض والداعية للإلغاء الرقيق بوسائل عنيفة فجائية . وكانت الكنيسة في هذا الموقف شديدة الحكمة . فقد كان هناك ما ينيف على ٦٠ مليون عبداً في الإمبراطورية الرومانية . وبسبب هذا العدد الضخم كان ينظر للعيد كأعداء . وإذا قامت ثورة للعبيد كانت تخمد بمنتهى القسوة ، لأنه لم تكن الإمبراطورية الرومانية تسمح للعبيد بالقيام ضدها . فاذا هرب عبد ثم قبض عليه إما أن يعدم أو يدمغ على جبينه بالحرف « ش » التي تعني شقي أى عبدهارب . وكان هناك قانوناً رومانياً ينص على أنه إذا مات سيد مقتولا يمكن استجواب كل عبده تحت التعذيب ، ويمكن وضعهم للموت جميعاً . ويكتب أ. ك. سمبسون E.K. Simpson « كان يمكن أن تتعرض معركة المسيحية الروحية إلى ضربة قاتلة إذا نفخت الكنيسة في الرماد المتقد للكرامية العنصرية فخلقت ناراً آكلة ، أو فتحت صدرها لإيواء الهاربين من العبيد» لو كانت الكنيسة قد شجعت العبيد على الثورة والقيام ضد ساداتهم لكانت النتيجة قاضية عليها . لأنها ببساطة كانت ستشعل نيران الحرب الأهلية ، القتل الجماعي ، وإهدار كرامة الكنيسة كلية . ماذا حدث إذا ؟ . ما حدث هو أنه عبر القرون ، تغلغلت المسيحية في المدنية للدرجة التي أدت إلى عتق العبيد في النهاية بالاختيار لا بالقوة . وهذا درس عظيم ، فيه البرهان على أنه لا الناس ولا العالم ولا المجتمع يمكن إصلاحها بالقوة وبالتشريعات . يجب أن يأتي الإصلاح نتيجة لنفاذ روح المسيح ببطء إلى الوضع البشري . يجب أن تحدث الأمور حسب مواقيت الله ، لا حسب مواقيتنا نحن . وفي النهاية الطريق البطيء هو الطريق المؤكد ، وطريق العنف يحمل في ثناياه بلور فشله .

٢ - هنا أيضاً نصادف الحقيقة التالية « المساواة الروحية لا تمنحى الفوارق المدنية » . أحد الأخطار الدائمة في المسيحية هي أن يعتبرها الشخص لاشعورياً

عنداً للتراخي والإهمال في العمل . بما أنه مسيحي وسيله مسيحي فمن حقه أن يتوقع تساهلاً خاصاً واعتباراً خاصاً له . ولكن كون السيد والخدام مسيحيين لن يعنى العامل مطلقاً من تأدية عمل يوم جيد لكسب أجرته . فهذه العلاقة لا تتيح له أى مركز متميز . فالمسيحي واقع تحت نفس الضرورة في إطاعة الأنظمة ، أن يعمل لكسب معيشته وأن يؤدي عملاً جيداً مثل أى إنسان آخر .

٣ - ما هو إذاً واجب العبد المسيحي كما تراه الرعويات ؟ واجبه أن يكون عبداً صالحاً . أما إذا كان مترخياً أو مهملاً ، أو عاصياً أو سيئاً ، فهو يزود العالم بالوقود لانتقاد الكنيسة . والعامل المسيحي إذ يأتى بعمل خيراً من الآخرين إنما يوصى بمسيحيته للآخرين . وعلى الخصوص عندما يتم عمله بروح جديد . فلن يظل على الاعتقاد أنه يعمل دون رغبته ، مرغماً عليه ؛ بل سيفكر في نفسه أنه يؤدي خدمة لسيد ، لإلهه ولزملائه من الناس . ويصبح هدفه لا رؤية القليل الذي يغتصب منه ، بل الكثير الذي يستطيع أن يقدمه عن رغبة وقصد . لا يوجد أفضل من التوصية بالمسيحية عن العامل المسيحي المجد .

المعلمون الكذبة والتعليم الزائف

٣ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُعَلِّمُ تَعْلِيمًا آخَرَ وَلَا يُوَافِقُ
كَلِمَاتِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الصَّحِيحَةَ وَالتَّعْلِيمَ الَّذِي
هُوَ حَسَبَ التَّقْوَى ٤ فَقَدْ تَصَلَّفَ وَهُوَ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا بَلْ
هُوَ مُتَغَلِّلٌ بِمُبَاحَثَاتٍ وَمُمَاحَكَاتٍ الْكَلَامِ الَّتِي مِنْهَا يَحْصُلُ
الْحَسَدُ وَالْخِصَامُ وَالْإِفْتِرَاءُ وَالظُّنُونُ الرَّدِيَّةُ ٥ وَمُنَازَعَاتُ
أُنَاسٍ فَاسِدِي الذَّهْنِ وَعَادِمِي الْحَقِّ يَظُنُّونَ أَنَّ التَّقْوَى
تِجَارَةٌ . تَجَنَّبْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ .

١ تيموثاوس ٦ : ٣ - ٥

أتاحت ظروف الحياة في العالم القديم للمعلم الكاذب فرصاً قلما تأخر عن
انتهازها .

في الجانب المسيحي ، كانت الكنيسة تموج بالأنبياء المتجولين ، ممن
اكتسبوا بعض الهيبة بالنسبة لنوع الحياة التي اتبعوها . كما أن الخدمة المسيحية
لم تكن بعد قد اكتسبت الرسميات التي تطبقها اليوم . كل من شعر أن لديه
رسالة كان حراً في إعطائها ؛ لهذا كان الباب مفتوحاً أمام كل من أراد
نشر رسالة خاطئة زائفة مبللة للأفكار . وفي الجانب الوثني ، كان الفيلسوف
المتجول الباحث عن الربيع أحد معالم العالم القديم المعروفة . دعى هؤلاء

الفلاسفة المتجولين بالسوفسطائيين التي تعنى رجالاً حكماء . وكانت تجارتهم الفلسفة . اتبعوا طريقين . الأول تعليم الناس كيف يتكلمون جيداً ويتناقشون بذكاء نظير أجر يتقاضونه . . وكان لهم في ألفاظهم المعسولة ومنطق تفكيرهم ما يجعل السوء يبدو حسناً . بهذا استغلوا الفلسفة كوسيلة للربح السريع . أما الطريق الثاني فهو إعطاء محاضرات عامة . أولع اليوناني بالكلمة المنطوقة ، وكان يعجب بالخطيب المفوه . لهذا كان الطريق ممهداً لهؤلاء السوفسطائيين أن ينتقلوا من بلد إلى آخر ، متبارين في تقديم خطبهم وبلاغتهم اللغوية . وقد بلغوا شأواً بعيداً في الإعلان عن أنفسهم ، للدرجة توزيع دعوات شخصية لحضور مهرجاناتهم . وقد استطاع مشاهيرهم أن يجتذبوا آلافاً من الناس للاستماع إلى محاضراتهم ؛ بلغوا في أيامهم المستوى الذي يحتله اليوم نجم السينما الشهير . ويقص علينا فيلوستراتس Philostratus أن أدريان Adrian أحد أعظم الخطباء ، كان يستحوذ على نفوذ جبار بين الناس ، للدرجة أنه عندما يعلن رسوله أن أدريان سيخطب اليوم تفرغ الملاعب ومجلس الشيوخ من أعضائها ويحج الشعب كله إلى مدرج الأثينيم Athenaeum ليستمع له . وكان من الطبيعي أن مثل هذه المهرجانات تأتي بالكثير من المال . ولكن هناك ثلاثة أخطاء جسيمة في هؤلاء الفلاسفة .

كانت أحاديثهم بعيدة تماماً عن الحقائق . يعرضون التحدث في أى موضوع ، مهما كانت غرابته أو بعده عن الواقع ، إذا اقترحه أحد الحاضرين مستعدون للمناقشة في أى مشكلة . وهذا مثال واقعي عن نوع المشاكل التي يحلو لهم مناقشتها : يذهب رجل إلى حصن المدينة ليقتل الطاغية الذي يذل الشعب ؛ ولما لم يجد قتل ابنه عوضاً عنه ؛ وإذا عاد الطاغية ورأى جسد ابنه والسيف يخترقه ، غلبه الحزن فقتل نفسه ؛ عندئذ طالب الرجل بمكافأة نظير قتله الطاغية واستعادة الحرية لشعبه ؛ هل تحقق له المكافأة ؟ الحق يقال ، كانوا

مرضى بادماني المباحثات الغامضة والتصورات التي لا جدوى منها ، كما كانوا
فوى باع طويل في الحروب الكلامية .

أما شهوتهم فكانت للمديح والتهليل . وبلغت المنافسة بينهم حداً مريباً .
ويحكى بلوتارك عن صوفي رحالة يدعى نيجر Niger جاء إلى مدينة في
غلاطية حيث يقطن خطيب شهير . وللحال دبرت بين الاثنين منافسة لغوية .
وكان على نيجر أن يقبل التحدى أو يفقد سمعته ، ورغم أنه كان يعاني من
وجود شوكة سمكة في حلقه تمنعه من الكلام إلا بصعوبة لكنه قبل حرصاً على
مركزه . وأثناء الحديث التهب حنجرتة ومات بعد ذلك بقليل . ويرسم لنا
ديوكريزوستم Dio Chrysostom صورة حية عن مكان عام في كورنثوس
حيث يتبارى جميع أنواع الخطباء بكل قواهم : « تستمع إلى كثير من هؤلاء
السوفسطائيين الأشقياء يصرخون ويسبون بعضهم البعض ، بينما تلاميذهم
يحاولون أن يدعواهم ، يتشاجرون . تصادف كثير من الكتاب يقرأون من
كتبهم مواضيعهم الغبية ، وكثير من الشعراء يتغنون بأشعارهم ، والخواة
يعرضون أعاجيبهم ، وقراء الطالع يفسرون العلامات ، وآلاف البلغاء
يقلبون أوضاع القضايا ، وعدد وفير من الباعة يعرضون بضاعتهم المختلفة » .
هناك تصادف فقط تبادل السباب ، الحسد والحصام والحقد الدفين ، منازعات
كلامية مستمرة بين رجال فسدت أذهانهم هؤلاء هم الذين برئى لهم كاتب
الرعويات . يقول ديوكريزوستم « كلهم في لفقة لدملة الجماهير . . .
كأناس يسرون في الظلام يتحركون دائماً في اتجاه التصفيق والصخب .
كان العالم القديم يعرف جيداً نوع المعلم الزائف الذى أخذ يحتاج الكنيسة .

عطشهم للحمد والثناء ، ومقياسهم الأعداد التي تتردد لسماعهم . وقد
رسم أيبكتيتس Epictetus صورة نابضة للسوفسطائي متحدثاً مع
تلاميذه بعد انتهاء تمثيليته . « حسناً ، كيف وجدتنى اليوم ؟ . قسنا بحياتي ،

يا سيدى ، لقد كنت رائعاً . . ماذا ظننت بأحسن جزء قلعه ؟ . . أى جزء هذا ؟ ! ذلك الذى وصفت فيه بان والحوريات ! أوه ، لقد أبدعت فى ذلك ! « ثم يضيف السوفسطائى » . أعتقد أن جمهور اليوم كان أكبر من السابق . . ويجب التلميذ « نعم ، أكثر بكثير ، خمسمائة ، على ما أظن ، لا ، هذا كلام فارغ ! لا أقل من ألف ؟ ألف ، كيف هذا أكثر من أى عبد استمع لديو . إنى أعجب لماذا ؟ وقد لاحظت تقديرهم لما قلته أيضاً ! الجمال ، يا سيدى ، يستطيع أن يحرك الجهاد » . هؤلاء السوفسطائيون الممثلين كانوا موضع إعجاب المجتمع » . صار منهم أعضاء فى مجلس الشيوخ ، وحكام للأقاليم ، وسفراء . وعند وفاتهم أقيمت لهم الأنصاب .

كان اليونانيون مخمورين ببلاغة اللفظ . لهذا من استطاع الكلام فى اليونان ضمن مستقبله . هذا هو الوسط والمفهوم الذى نمت الكنيسة فيه ، مما لا يثير دهشة كبيرة أن نرى مثل هذا التعليم يغزو الكنيسة . أتاحت الكنيسة للمعلمى هذا الزمان مجالا جديداً يباشرون فيه مواهبهم التمثيلية ويحظون فيه ببعض التقدير المظهرى واتباعاً يسبغون عليهم ربحاً . باختصار ، فى وسط المجتمع اليونانى كان لا بد لمثل هؤلاء المعلمين الزائفين أن يدخلوا إلى الكنيسة .

صفات المعلم الزائف

تحدد فى هذا الجزء صفات المعلم الزائف ؛ وهى صفات غير غريبة عن الصوفية الذين عاصروا الكنيسة الأولى ؛ لأنها صفات لازمة بنوع معين من المعلمين .

١ - أول صفاته الغش والخداع . فهدفه الأول استعراض ذاته . ورغبته الأساسية أن يعرض نفسه لا أن يقدم المسيح . ما زال هناك وعاظ ومعلمون

يضعون جل اهتمامهم كسب أتباع لأنفسهم لا للمسيح . يفسرون آراءهم الخاصة على الناس بدلا من عرض كلمة الله عليهم . ولكن عندما يجتمع الناس للعبادة لا يهتمهم الاستماع إلى ما يفكر فيه أى إنسان ، بل هم شغوفون بالاستماع إلى ما يقوله الله لهم . والواعظ القدير والمعلم الذكى ليس من يمد الناس بأفكاره الخاصة ، بل هو صدى لصوت الله . قال و. م. ماكريجور W.M. Macgregor في محاضرة عن معلمه القديم أ.ب. بروس A.B. Bruce ما يأتى : « ذكر لنا أحد الخدام حيرته كلما رأى بروس مرة بعد أخرى يخرج قصاصة من الورق ثم يتطلع فيها ثم يستمر في الخدمة . وفي يوم ما اختلس النظر إلى هذه الورقة واكتشف فيها هذه الكلمات : « يا إلهى أرسل نورك وحقلك » وبهذا علم التلميذ أن أستاذه إذ يحضر إلى الفصل إنما يأتى معه بجلال ورجاء العبادة . والمعلم القدير لا يهب الناس نور شمعته الباهت ، بل يقدم لهم النور والحق اللذين ببسوع قد جاءا .

٢ - اهتمامه منصب على ما غمض من التصورات . هناك نوع من المسيحية يهتم بالجدال أكثر من الحياة . أن تكون مشتركا في حلقة بحث أو جمعية لدراسة الكتاب المقدس وتمضى ساعات ممتعة في مناقشة العقائد لن يقتضى بالضرورة أن تكون مسيحياً . وقد ذكر ج. س. هويل J.S. Whale في كتابه العقيدة المسيحية بعض أمور لا ذعة عن هذه الثقافة اللينة : « لدينا الوصف الذى خلعه فالتين على ثيوريو ، كنز من الكلمات الجوفاء التى لا تعنى شيئا » . بدلا من خلع أحذيتنا لأن المكان الذى نقف فيه أرض مقدسة ، نلتقط صوراً تذكارية للعليقة المحترقة من زوايا مختلفة : نثرثر عن نظريات الغذاء ، وأقدامنا مسترخية أمام المدفئة ، بدلا من الركوع فى خشوع أمام جروح المسيح » .

أو كما أوجز لوثر بقوله : « من يدرس فقط وصايا الله لن يتأثر كثيراً .. ولكن من يستمع إلى الله آمراً ، كيف يفشل في مخافة جلال هذا مقداره ؟ » .. كذلك ما قاله ميلانكثون Melanchthon « لكي تعرف المسيح ، لا يهم ما تتصوره عن كيفية تجسده ، بل ما تأخذه من قوة خلاصه » رسم جريجورى Gregory صورة معبرة للقسطنطينية في أيامه : « القسطنطينية مليئة بالميكانيكيين والعبيد ، وجميعهم لاهوتيون ضليعون ، يعطون في الدكاكين والشوارع . إذا أردت أن تستبدل عملة فضية ، يخبرك الصراف أين أوجه الخلاف بين الابن والآب ، إذا سألت عن سعر رغيف من الخبز ، يكون الرد أن الابن أقل من الآب ، أما إذا استفهمت عما إذا كان الحمام معداً أم لا فالجواب هو أن الابن جاء من لا شيء » . المناقشات البراقة ، والتصريحات اللاهوتية الخطيرة لن تجعل الإنسان مسيحياً . مثل هذه الدراسات والمناقشات والتصورات لا تخرج عن كونها نوعاً من الهرب من تحديات الحياة المسيحية .

٣ - المعلم الزائف مقلق للسلام . فهو بالغريزة منافس ، وهو شكاك في كل من يختلف عنه ؛ عندما لا يفوز في الجدل يلجأ إلى رجم خصمه بالسباب مشككاً في مركزه اللاهوتي وصفاته الشخصية . . في كل مناقشة يغلب على صوته رنة الحقد لا الحب ، وكل نقاش ينتهي دائماً إلى مهاترة وخصام . والمعلم الزائف لم يتعلم أبداً الضرورة والسرف في التحدث عن الحق بالحب . مصدر حقه تمجيد الذات . يميل المعلم الزائف إلى اعتبار كل اختلاف أو انتقاد لآرائه بمثابة تحقير شخصي له . عندما يتخذ معلماً ما موقف العداء والحقد ، ثق أن زيفه واضح مهما كانت آراءه .

٤ - المعلم الزائف يتاجر بالدين : فهو منطلق للربح . فهو لا يعتبر تعليمه ووعظه دعوة ينشغل بها ، بل سباقاً إلى مركز أعلى . هو في ميدان العمل ،

لا لخدمة الآخرين ، بل ليخدم نفسه . هناك شيء واحد مؤكد وهو أنه لا يوجد مكان للمتسابقين على المراكز في رسالة الكنيسة . والرعويات واضحة تماماً صريحة تماماً في أن الفاعل مستحق أجرته ؛ وأن الدافع خلف عمله كله هو الخدمة العامة لا الربح الخاص . وكل شعوره وعواطفه أن لا يأخذ ، بل يعطي ويبذل حتى يبذل هو في خدمة المسيح وخدمة الناس .

تاج القناعة

٦ وَأَمَّا التَّقْوَىٰ مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ . ٧
لَأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ . ٨ فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوَّةٌ وَكِسْوَةٌ فَلْنَكْتَفِ
بِهِمَا .

١ تيموثاوس ٦ : ٦ - ٨

الكلمة المستعملة هنا عن القناعة وهي إحدى الكلمات العظيمة الاستعمال
بين الفلاسفة الرواقيين . ويقصدون بها اكتفاء ذكياً كاملاً كلياً . ويعنى هذا
حالة كون العقل كامل الاستقلال عن كل المؤثرات الخارجية ، وهي حالة
تحمل في ثناياها سر السعادة . لا يمكن أن يأتي الاكتفاء من امتلاك الأشياء .
أو كما كتب جورج هيربرت .

« من يحتاج إلى خمسة آلاف جنيه لمعيشته

فقير تماماً كمن يحتاج لخمسة فقط »

القناعة تأتي عن مسلك داخلي تجاه الحياة . في الجزء الثالث من مسرحية
هنري الثالث ، يرسم شكسبير صورة للملك يتجول غير معروف في انحاء البلد .
يقابل اثنين من ملاحظي الألعاب فيخبرهما أنه ملك ، فيسأل واحد منهم .

« ولكن ، لو كنت ملكاً ، أين تاجك ؟ » فيعطى الملك هذه الإجابة

العظيمة :

« تاجي داخسل قلبي ، لا على رأسي ؛
لا ترصعه الماسات أو أحجار الهند ،

لا يرى ، لأن تاجي يدعى قناعة -
هو تاج لا يرضى الملوك إلا نادراً

وقديماً توصل فلاسفة اليونان إلى لب الأمر كله . ذكر أبيقور عن نفسه
« من لا يكتف بالقليل لا شيء يكفيه . أعطني كعكة شعير وكوباً من الماء
وأنا كفيل بمنافسة زيوس نفسه على السعادة » . وعندما سأله أحدهم عن سر
السعادة والقناعة أجاب : « لا تضيف إلى ممتلكات الشخص بل خذ عنه بعضاً
من رغباته » .

وأعظم الرجال اكتفوا دائماً بالقليل . أحد أقوال معلمى اليهود :

« من هو الغنى ؟ هو من اكتفى بنصيبه » . ويصف لنا والتر لوك
Walter Lock نوع من المران الذى يمارسه معلم يهودى وطريقة الحياة
التي يعيشها : « هذا هو طريق الناموس . لقمة بالملح تأكل ، دماء بمقدار
يشرب ، على الأرض تبیت ، وحياة الشقاء تعيش بينما يعرق جبينك في عمل
الناموس . لو فعلت ذلك ، تكون سعيداً في الأرض وفي العالم الآخر » .
كان على معلم الناموس أن يقنع بما هو كاف . ويقتبس أ. ف. براون فقرة
عن الواعظ الكبير لاكوردير Lacordaire : « حجر العثرة في أيامنا
الحالية هو عدم وجود من يعرف العيش على القليل » . كان عظماء الرجال
في الماضي عادة فقراء . . . يبدو لي دائماً أن اختصار الصرف على الأمور
التي لا طائل من ورائها ، والتخلي عما يمكن أن ندعوه هام نسبياً ، هو الطريق
إلى خلاص القلب المسيحي من مشغوليّاته ، تماماً كما كان الأمر بالنسبة لهؤلاء

القلماء الشجعان . إن العقل الذى تمرن على تقدير ما فى الحياة من جمال الخلق ، بالنسبة لله والإنسان ، من النادر أن يهتز كثيراً بانقلاب مفاجئ لحظه ومستقبله ؛ وما يحتاجه جيلنا أكثر من أى شئ آخر هو منظر إنسان ، فى إمكانه أن يملك كل شئ ، ولكنه وبمطلق إرادته يكتفى بالقليل . من جهتي ، شخصياً ، ومن الوجهة الإنسانية ، لا أريد شيئاً . النفس الكبيرة فى البيت الصغير هى المثال الذى لمسنى وأثر فى أكثر من أى شئ آخر .

لا يعنى هذا أن المسيحية تنادى بالفقر . فليس هناك فضيلة خاصة فى الفقر ، كما لا توجد سعادة فى حياة صراع مستمر للتوفيق بين الإمكانيات والمطالب . ولكن المسيحية تنادى بأمرين .

١ - تنادى بالاعتناع أنه ليس فى إمكان الأشياء أن تحقق السعادة . يقول أ. ك. سمبسون : « كثير من أصحاب الملايين ، بعد أن اختنق بتراب الذهب مات تغيساً مجنوناً » . السعادة تأتى دائماً من العلاقات الشخصية . كل ما فى العالم لن يجعل إنسان سعيداً إذا لم يكن يعرف الصداقة أو الحب . وكل ما فى العالم لن يذهب بالوحدة بعيداً . لهذا يعلم المسيحى أن سر السعادة يكمن ، لا فى الأشياء ، بل فى الناس .

٢ - وهى تنادى بالتركيز على الباقيات ، تلك الأمور التى يأخذها الإنسان معه عندما يموت . لم نأت بشئ إلى العالم ، وواضح أنه لا يمكن أن نخرج منه بشئ أيضاً . وقد عرف هذه الحقيقة حكماء الرجال فى كل جيل ومن كل دين . قال سنيكا : « لن تقدر أن تأخذ من العالم أكثر مما أحضرته فيه » . وجاء فى شعر اليونان : « عرياناً أتيت إلى الأرض ، وعرياناً سأذهب إلى باطنها » . وكما يقول المثل الأسباني : « لا توجد جيوب فى الكفن » . ويعلق أ. ك. سمبسون : « ما يجمعه الإنسان فى طريق الحياة إنما بطبيعته

عفش ، ليست له علاقة بشخصيته الحقيقية ، ولكنه شيء يتركه خلفه عند
أعتاب الموت . شيطان فقط يستطيع الإنسان أن يأخذها إلى الله .

(أ) نفسه ؛ فرسالة الحياة الكبرى بنيان ذات وشخصية وقلب ونفس
يستطيع أن يقدمها الإنسان إلى الله بلا خجل .

(ب) علاقته مع الله التي عاش بها في أيام حياته . وقد رأينا أن سر
السعادة يكمن في العلاقات الشخصية ، وأعظمها هي العلاقة مع الله . أما أعظم
الأمور التي يستطيع أن يأخذها معه إلى الله فهو الثقة المطلقة والافتناع الكامل
أنه إنما يذهب إلى الواحد الصديق المحب لنفسه .

تأتي القناعة عندما نهرب من عبودية الأشياء ، عندما نجد ثراءنا في محبة
وصداقة وشركة الناس ، وعندما نتعلم أن أعظم وأغلى ممتلكاتنا هو صداقتنا
بالله ، التي مكنها لنا يسوع المسيح .

خطورة محبة المال

٩ وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فَيَسْقُطُونَ
فِي تَجَرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ تُغْرِقُ النَّاسَ
فِي الْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ ١٠. لِأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ
الشَّرِّ الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ وَطَعَنُوا
أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ.

١ تيموثاوس ٦ : ٩ و ١٠

هنا أحد الأقوال الشائعة الاستعمال والتي أسىء استعمالها مراراً عديدة .
لا يقول الكتاب إن المال أصل لكل الشرور ؛ بل محبة المال هي أصل لكل
الشرور . وهذا قول حق عرفه كبار مفكرى العالم كما عرفه معلمو المسيحية .

قال ديموقريتس Democritus : « محبة المال جامعة لكل الشرور »
ويتكلم سنيكا عن ، « الرغبة في الحصول على ما ليس لنا ، أساس لكل
ما يجول بالعقل من شر » .

وقال فوسيليدس Phocylides : « محبة المال أم لكل الشرور » .

وقال أفلاطون : « محبة المال هي بداية أكبر التعديلات على القانون .

ويقتبس أثيناوس Athenaeus هذا القول : « متعة المعدة بداية
وأصل لكل الشرور » . والمال في حد ذاته ليس جيداً أو رديئاً ؛ ولكن فيه

خطورة لأن محبته يمكن أن تصير رديئة . بالمال يستطيع إنسان أن يعمل آخر
كثيراً ؛ وبالمال يستطيع أن يعمل شراً كثيراً . بالمال يستطيع إنسان أن يخدم
بأنانية رغباته الخاصة ؛ وبالمال يستطيع أن يستجيب بكرم إلى صرخة جاره
المحتاج . بالمال يستطيع إنسان أن يشتري طريقه إلى الممنوعات ويمهد طريق
الخطأ ؛ وبالمال يستطيع أن يهون على إنسان آخر ضيقته ليعيش كما أراد
الله له أن يعيش .

المال ليس شراً ولكنه مسئولية عظيمة . المال يأتي بالقوة ، والقوة سلاح
ذو حدين ، لأنها قوة في الخير وقوة في الشر أيضاً . ما هي إذاً الأخطار
الخاصة الكامنة في محبة المال ؟

١ - الرغبة في المال تتجه أن تصبح عطشاً لا سبيل لإروائه . هناك مثل
روماني يقول إن الثروة كماء البحر ، تطفىء ظمأ الإنسان ، بل كلما ازداد
منها شرباً كلما ازداد إليها عطشاً . والغريب في أمر الثروة أنه لا يمكن أن يأتي
عليها وقت يستطيع أن يقول فيه الإنسان : « كفى ! » . فهو دائماً مدفوع
برغبة إلى ما هو أكثر قليلاً .

٢ - الرغبة في الثراء مؤسسة على خداع . تبني الرغبة في الثراء أساساً
على أمرين . أولهما الرغبة في تأمين الحياة ؛ وثانيهما ، عندما يشعر الإنسان أنه
قد حقق حداً أدنى لتأمين الحياة ، فإن الرغبة في مزيد من الثراء تهدف لمزيد
من الرفاهية وحياة الراحة . ولكن الثروة لا تستطيع شراء تأمين الحياة . فهي
لا تقدر أن تشتري أعظم الأشياء . لا تستطيع أن تشتري الصحة ، لا تستطيع
أن تشتري الحب الحقيقي . لا تستطيع أن تحفظ من الحزن أو من الموت .
والتأمين المؤسس على الماديات محكوم عليه بالفشل والسقوط . لأنه تأمين
مبنى على الرمال .

٣ - الرغبة في المال تتجه بالشخص إلى عبة الذات . فهي تربي روح المنافسة . لو انساق شخص خلف رغبته في الثراء لما أضراره في شيء إذا ظل إنسان آخر في الفقر نتيجة لجمعه هو مالا أكثر ، أو إذا خسر أحدهم لكي يربح هو . الرغبة في الثراء تثبت أفكار الرجل على ذاته ، ويتحول الآخرون بالنسبة له إما إلى أدوات أو عوائق في الطريق نحو ثرائه هو . وليس هذا بالضروري ما يحدث ؛ ولكنه من الحق القول إن هذا ما يحدث فعلا .

٣ - الشيء الغريب أن الرغبة في الثراء تبدأ بالرغبة في تأمين الحياة ، ولكنها تنتهي بالحزن والقلق . فكلما زاد ما يكتنزه الإنسان كلما زاد ما يمكن أن يفقده . وإذا كانت لديه ممتلكات كثيرة ، فالاتجاه الغالب أن يطارده بالحاح كابوس فقدان هذه الممتلكات . هناك أسطورة قديمة عن فلاح أدى خدمة عظيمة لملك . فكافأه الملك بهدية كبيرة من المال . وظل الرجل لفترة نهياً لمشاعر كثيرة ، ولكن جاء اليوم الذي ذهب فيه إلى الملك ورجاه أن يسترد هديته ، لأن قلقاً خفياً لم يعرفه من قبل دخل حياته ، قلق الخوف على أنه يفقد ما لديه . وكم كان جون بنيان صادقاً إذ قال :

« من كان في أسفل لا يخشى سقوطاً
ومن كان وضيقاً لا يخشى كبرياء
من كان متضعاً سيكون الله له دائماً
قائداً ومرشداً .

إني مكتف بما لدى
قليلاً كان هذا أم كثيراً ؛
ولكن يارب ما زلت للقناعة مشتاقاً
لأنك تخلص أمثال ذلك .

من له القليل ، فان ما يَحْسرُه قليل ومن له الكثير ، فسيطارده خوف
فقدانه .

هـ - كثيراً ما تقود محبة المال إنساناً إلى طرق خاطئة للحصول على المال ،
وفي النهاية تقوده إلى الألم والأسف والندم . ويصدق هذا حتى على جسده .
ففي شدة شغفه للاستحواذ ، ربما حمل جسده ما ينوء به ويدمر صحته ويجعل
بقية أيامه حملاً وتعباً بدلاً من الراحة المرجاة . وربما اكتشف متأخراً الأضرار
التي جلبتها شهواته على الآخرين ، فيعذبه ندم لأمر لا يمكن أن تتغير وبالتالي
لا يمكن عكسها .

أن يسعى الإنسان ليكون مستقلاً ، وأن يكون قادراً على الوفاء بديونه ،
وتهيئة منزل وبيت ، مقتصداً بحكمة للمستقبل ، إنما هذا واجب مسيحي ؛
ولكن أن تقيم كل الأشياء بالمال ، وأن تصبح محبة المال القوة الدافعة للحياة ؛
لا يمكن أن تصبح شيئاً بخلاف واحدة من أخطر الشرور والخطايا .

تحد لتيموثاوس

١١ وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ اللَّهِ فَأَهْرُبْ مِنْ هَذَا وَاتَّبِعِ
الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالْإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالصَّبْرَ وَالْوَدَاعَةَ . ١٢
جَاهِدْ جِهَادَ الْإِيمَانِ الْحَسَنَ وَأَمْسِكْ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي
إِلَيْهَا دُعِيتَ أَيْضًا وَاعْتَرَفْتَ بِالْاعْتِرَافِ الْحَسَنِ أَمَامَ
شُهُودِ كَثِيرِينَ . ١٣ أَوْصِيكَ أَمَامَ اللَّهِ الَّذِي يُخَيِّى الْكُلَّ
وَالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي شَهِدَ لَدَى بِيلاطُسَ الْبُنْطِيِّ
بِالْاعْتِرَافِ الْحَسَنِ ١٤ أَنْ تَحْفَظَ الْوَصِيَّةَ بِلاَ دَنَسٍ وَلَا لَوْمٍ
إِلَى ظُهُورِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ١٥ الَّذِي سَيَبِينُهُ فِي أَوْقَاتِهِ
الْمُبَارَكَةِ الْعَزِيزَةِ الْوَحِيدِ مَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ ١٦
الَّذِي وَخَدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ سَاكِناً فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ
الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ الَّذِي لَهُ
الْكِرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةُ . آمِينَ .

١ تيموثاوس ٦ : ١١ - ١٦

وهكذا تأتي الرسالة إلى نهايتها بتحد خطير لتيموثاوس ، تحد يزيد في
عظمته وعمق ما اشتملت عليه الكلمات التي صيغ فيها من نبل .

يظهر التحدى لقوة إيمان تيموثاوس في البداية فهو يخاطبه قائلاً يا إنسان
الله . أحد ألقاب العهد القديم العظيمة . فقد سبق لإطلاقه على موسى ، كما

جاء في تثنية ٣٣ : ١ « موسى رجل الله » ، وعنوان المزمور نمرة ٩٠ هو « صلاة لموسى ، رجل الله » لقب أطلق على أنبياء ورسول الله . رسول الله إلى عالي هو رجل الله (١ صموئيل ٢ : ٢٧) . ويوصف صموئيل بأنه رجل الله (١ صموئيل ٩ : ٦) . وكان شمعيا ، رسول الله إلى رحبعام ، رجل الله (ملوك أول ١٢ : ٢٢) . ويطلق جون بنيان في « سياحة المسيحى » على النعمة — الكبرى « بطل الله » . هنا إذا لقب للتكريم . عندما أسندت المسئولية إلى تيموثاوس ، لم يذكر أمامه ضعفه أو عجزه أو عدم كفايته أو خطيئته ؛ فربما دفعه هذا إلى اليأس والتشاؤم ؛ ولكن تستثار حميته بلقب التكريم الذى يخصه الشرف بأنه رجل الله . وهذه هى الطريقة المسيحية ، لا تحط من شأن الشخص وتحزنه بتذكيره أنه إنسان ضائع وخاطئ أثيم ، ولكنها تحرص على الإعلاء من شخصيته بتذكيره بالإمكانات التى فيه . طريق المسيحية لا يضع أمام الشخص ماضيه الحقيقى . ولكنه يرسم أمامه روعة المجد الذى ينتظره فى المستقبل . مجرد مخاطبة تيموثاوس بأنه « إنسان الله » سيشد من أزره ويرفع جبينه ورأسه مثله فى ذلك مثل من تلقى توكيلا مباشراً من الملك .

لم تلق صفات الفضيلة والنبيل جزافاً أمام تيموثاوس بل اتبعت نظاماً معيناً . أولاً ، يأتى البر . يعرف البر ، بأنه « إعطاء الله والناس حقوقهم » . والبر أكثر الفضائل شمولاً وعمقاً . والإنسان البار من أدى واجبه نحو الله ونحو رفقاءه من الناس . ثانياً ، تأتى مجموعة من ثلاث فضائل تدور حول الله . التقوى هى وقار الرجل الذى يعيش حياته كلها وهو مدرك أنه يقضيها فى حضرة الله . الإيمان ، وتعنى هنا الولاء ، وهى فضيلة الإنسان الذى يبقى على ولائه لله خلال كل الظروف والتغيرات التى تعترض الحياة حتى يصل إلى أعتاب الموت . المحبة ، هى فضيلة الإنسان الذى لا يمكنه ، حتى إذا حاول ، أن ينسى ما فعله الله نحوه ولا يمكنه أن يغفل المحبة التى فى قلب الله

فهو الناس . ثالثاً ، تأتي الفضيلة التي تنظر إلى السلوك في الحياة . هي الصبر وهي لا تعني الروح الصابرة التي تقبع في مكانها بيدين مقيدتين تاركة تجارب الحياة تمر كمد البحر فوقها . لكنها تعني الاحتمال المنتصر ، الرجولة المستمرة أمام التجارب . « الثبات الذي لا يتزعزع في الإيمان والرحمة رغم الظروف المعادية والآلام » . الصبر هو الفضيلة التي لا تقبل تجارب الحياة بل تنتصر عليها ، وهو الفضيلة التي تغلب العالم رغم كل الأشياء . رابعاً ، تأتي الفضيلة التي تنظر إلى الناس . الوداعة ، إحدى الكلمات التي لا توجد لها ترجمة صادقة حرفية ، فهي تصف الروح التي لا تنفجر قط في غضب لأجل ما حاقها من خطأ ، ولكنها تصير عاصفة الغضب ضد الظلم الذي يحيق بالآخرين . الروح التي تعرف كيف تصفح وتعرف أيضاً كيف تخوض معركة البر . الروح التي تسير في تواضع وخشوع وإن كان أيضاً بفخر لدعوة الله العليا . فضيلة الإنسان الذي يذكر في نفس الوقت عار خطيته ومجد بنوته لله . إنها الفضيلة التي تتيح للإنسان أن يتعامل بالحق مع غيره ومع نفسه .

ذكريات ملهمة

بينما تشعل حمية تيموثاوس للعمل والمهمة الملقاة عليه ، يلهم بذكريات الماضي .

١ - عليه أن يذكر معموديته وعهوده التي أخذها إزائها . علينا أن نتذكر أن المعمودية في الكنيسة الأولى كانت بطبيعة الحال وبالضرورة معمودية البالغين ، لأن الناس كانوا يأتون مباشرة من الوثنية إلى المسيح . كانت المعمودية إذاً اعترافاً بالإيمان وشهادة أمام الجميع أن هذا الإنسان قد قبل يسوع المسيح مخلصاً وسيداً ورباً . كانت أولى الاعترافات المسيحية

العقيدة البسيطة : « الرب يسوع المسيح » (رومية ١٠ : ٩ ، فيلبي ٢ : ١١)
وهناك احتمال بأن اعتراف الإيمان المقصود بهذه الكلمات الموجهة لتيموثاوس
هو : « أوؤمن بالله القدير ، خالق السموات والأرض ، وبالمسيح يسوع الذى
تألم على يد بيلاطس البنطى والذى سيعود لدينونة العالم ؛ أوؤمن بالقيامة من
الأموات وبالحياة الأبدية » . محتمل جداً أن تيموثاوس قد ارتبط بعقيدة
كهنده . إذاً يصبح أول واجب تذكر تيموثاوس بالعهد الذى أخذه على
نفسه . المسيحى أولاً وقبل كل شئ ، إنسان تعهد بنفسه ليسوع المسيح .

٢ - وكان على تيموثاوس أن يذكر أنه أعطى اعتراف الإيمان كما فعل
يسوع . عندما وقف يسوع أمام بيلاطس ، سأله بيلاطس : « هل أنت ملك
اليهود ؟ » فأجاب يسوع : « أنت تقول » (لوقا ٢٣ : ٣) . شهد يسوع أنه
ملك ، وشهد تيموثاوس دائماً بأن المسيح هو رب . عندما يعترف المسيحى
بإيمانه ، إنما يفعل ما فعله سيده من قبل ؛ وعندما يتألم المسيحى لأجل إيمانه
إنما يمر بما سبق لسيده أن يمر به . وعندما ننشغل بمهمة عظيمة نستطيع أن
نقول : « أيها الاخوة ، نحن نخطو حيث سار القديسون من قبانا » ، ولكن
إذا نعلن إيماننا أمام الناس نستطيع أن نقول شيئاً أعظم ، نستطيع أن نقول :
« إننى أقف مع المسيح » ؛ هذه ذكرى تستطيع بالتأكيد أن ترفع قلوبنا
وتلهم حياتنا .

٣ - على تيموثاوس أن يذكر أن المسيح سيعود ثانياً . وإذا فواجه أن
يجعل من حياته وعمله شيئاً جديراً بملاقاة المسيح . المسيحى لا يعمل لإرضاء
الناس ، بل يبتغى فقط مرضاة المسيح . وعلى المسيحى أن يقدم كل عمل
يقوم به للمسيح لا للناس . والسؤال الذى يجب أن يحظر على بال المسيحى

دائماً ليس هو : « أهذا جيد ليحوز رضا الناس ؟ » بل هو : « أهذا حسن
كفاية ليحوز رضا يسوع المسيح ؟ » .

٤ - وفوق كل الأشياء على تيموثاوس أن يذكر الله . وما أعظم ذكرى
كهذه ! عليه أن يذكر ملك كل الملوك ورب كل الأرباب ؛ الذى بيده
مفتاح الحياة الأبدية يهبه للناس ، من له قداسة وجلال لا يجسر أن يتطلع
إليهما إنسان . على المسيحى أن يذكر دائماً الله ، ثم يتساءل بعد ذلك : « إن
كان الله معنا ، فمن علينا ؟ » .

نصيحة للأغنياء

١٧ أَوْصِ الْأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ أَنْ لَا يَسْتَكْبِرُوا
وَلَا يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةٍ الْغِنَى بَلْ عَلَى اللَّهِ الْحَيُّ
الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنَى لِلتَّمَتُّعِ. ١٨ وَأَنْ يَصْنَعُوا
صَالِحاً وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ وَأَنْ يَكُونُوا
أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ ١٩ مُدْخِرِينَ لِنَفْسِهِمْ
أَسَاساً حَسَناً لِلْمُسْتَقْبَلِ لِكَيْ يَمْسِكُوا بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ .

١ تيموثاوس ٦ : ١٧ - ١٩

يحلو لنا الظن أحياناً أن الكنيسة الأولى لم تتكون إلا من الفقراء والعبيد .
ولكننا نرى هنا أنه حتى في أيامها الأولى كان للكنيسة أعضاؤها الأغنياء .
ولم يطلب منهم التنازل عن ثرواتهم . ولكن ما يقال لهم هو ما يجب أن يمتنعوا
عنه وما يجب أن يفعلوه بأموالهم .

لا يجب أن يدفعهم الغنى للتكبر . فليس في كثرة أموالهم عن الآخرين
ما يدفعهم للاعتقاد أنهم أفضل منهم . لا يوجد شيء في هذا العالم يعطى
لأى إنسان الحق في احتقار أى إنسان آخر وأقل هذه الأشياء جميعاً امتلاك
الثراء . يجب أن لا يضعوا رجاءهم على الثروة . في فرص الحياة وتقلباتها
المختلفة يمكن لإنسان أن يفتنى اليوم ويصبح شحاذاً في الغد . ومن الغباء وقصر
النظر أن يؤسس الإنسان أمله على ما ليس فيه دوام الثبات .

يقال لهم أن يستعملوا ثروتهم في عمل الخير ، وأن يكونوا دائماً على استعداد للمشاركة ، وأن يتذكروا أن المسيح بالضرورة عضو في شركة روحية في المسيح . ثم يقال لهم إن مثل هذا الاستعمال الحكيم للمال سيبنى لهم أساساً صالحاً في العالم الآتى . أو كما قال أحدهم : « ما احتفظت به خسرت ، وما وهبته صار لى » .

هناك قصة عبرية شهيرة . رجل يدعى مونوباز Monobaz وورث ميراثاً ضخماً ، ولكنه كان رجلاً خيراً ، كريماً . في وقت مجاعة باع كل أملاكه ليعين الفقراء . فجاء إليه إخوته يسألونه : « أبائك تكونوا هذه الثروة ، وأضافوا إلى الميراث الذى انتقل إليهم عن آبائهم ، وأنت تريد إضاعتها جميعاً ؟ » فأجابهم : « آبائى اكتنزوا الأرضيات ، ولكننى أكتنز فى السموات . آبائى اكتنزوا الأموال ولكننى اكتنزت النفوس . آبائى صنعوا ثروتهم لهذا العالم ، ولكننى صنعت لى ثروة فى العالم الآتى » .

فى كل مرة يناح لنا فيها أن نعطي شيئاً ولا نفعل ، يقل الميراث المحفوظ لنا فى العالم الآتى : وفى كل مرة نعطي فيها مما لدينا يزداد الغنى المودع لنا عند نهاية هذه الحياة .

التعليم المسيحى الأخلاقى كله لا يدين الثراء بأنه خطية ، ولكنه يراه مسئولية خطيرة . لو كانت ثروة الشخص لا تخدم إلا كبريائه ولا تغنى إلا ذاته ، تصبح ثروته مدمرة لأنها تفقر نفسه . ولكن إذا استخدم إنسان ماله ليعين غيره ويخفف أتعابه ، فإنه إذ يفتقر إنما يزداد غنى . فى الزمان الحاضر وفى الأبدية ليس هناك أصدق من « العطاء أفضل من الأخذ » :

إيمان للحفظ عليه

٢٠ يَا تِيمُوثَاوُسُ أَحْفَظِ الْوَدِيعَةَ مُعْرِضاً عَنِ الْكَلَامِ .
الْبَاطِلِ الدَّنِيسِ وَمُخَالَفَاتِ الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الْأَسْمِ ٢١ الَّذِي
إِذْ تَظَاهَرَ بِهِ قَوْمٌ زَاغُوا مِنْ جِهَةِ الْإِيمَانِ . ٢٢ النُّعْمَةُ
مَعَكَ . آمِينَ .

١ تيموثاوس ٦ : ٢٠ ، ٢٢

يبدو أن اسم تيموثاوس هنا يستعمل في كامل معناه . يتكون الاسم من كلمتين ، timan وتعني يكرم ، theos وتعني الله . أى أن اسم تيموثاوس يعني من يكرم الله والواضح أن هذه الفقرة الختامية تبدأ بتذكير تيموثاوس باسمه ، وبحته أن يكون أميناً عليه صادقاً لمعناه .

تذكر الآية الوديعه التي أوكلت إليه . الوديعه في اليونانية تعني ما لا مودعاً في بنك أو لدى صديق . وكان واجباً مقدساً رد هذه الوديعه كامله غير منقوصه عندما تسترد . يطلق أحياناً على الأطفال في اليونان وديعه مقدسه ، أمانة مقدسه . عندما تهب الآلهه طفلاً لرجل ، يكون واجب هذا الرجل أن يقدم ذلك الطفل بعد تمرينه وتربيته وإعداده إلى الآلهه . والإيمان المسيحي يشبه هذا . فهو ميراث أخذناه عن آبائنا وعلينا أن نسلّمه كاملاً لأولادنا . يقتبس أ.ف. براون هذه الفقرة الشهيرة عن القديس فنسنت St. Vincent of Lerins « ماذا تعني الوديعه ؟ . هي هذه التي أوكلت إليك ، لا تلك التي

اخترعتها أنت ؛ هي تلك التي أخذتها ، لا تلك التي صممها أنت ؛ ليست الوديعة شيئاً من عندياتك ، بل ما اكتسبته من تعليمك ؛ ليست افتراضاً خاصاً ولكنها تقليد عام ؛ هي شيء استحضرك ولكنه لم يخرج منك ؛ لهذا لا يحق لك أن تكون مالكاً ، بل وكيلاً ؛ ولا أن تكون قائداً بل تابعاً . احفظ الوديعة . احتفظ بوزنة الإيمان سالمة غير منقوصة ؛ دع كل شيء أوكل إليك باقياً معك حتى تسلمه . لقد استلمت ذهباً ، رده ذهباً . . ويحسن بالإنسان أن يذكر أن واجبه ليس نحو ذاته فقط ، بل يمتد أيضاً إلى أولاده وأولاد أولاده . إذا ضعفت الكنيسة وتخاذلت في أيامنا هذه ، وإذا انحدرت الأخلاق المسيحية ففرقت في العالم في هذه الأيام ؛ وإذا تشوهت معاني الإيمان المسيحي واختلطت ، فلسنا نحن وحدنا فقط الخاسرون ؛ بل ستحرم كل الأجيال القادمة من شيء نفيس غال لا يقدر بثمن .

فنحن لسنا فقط الملاك بل الحفاظ على الإيمان أيضاً . هذا الذي استلمناه علينا أن نسلمه كاملاً دون نقص أو تشويه .

وأخيراً تدين الرسائل الرعوية هؤلاء الذين تمسكوا بمخالفات العلم الكاذب ولا ، يلاحظ أن كلمة علم هنا يقصد بها معناها الأصلي أى ببساطة المعرفة ، وليس لها علاقة بالمعرفة العلمية التي نعرفها اليوم . ما يدان هو ثقافة كاذبة ، وتأکید كاذب بالمعرفة البشرية . ولكن ما هو المقصود بالمخالفات ؟ الكلمة اليونانية هي Antithesis . حدث في وقت بعد هذا بكثير أن نشر أحد المهرطقين ويدعى مارسيون كتاباً عنوانه The Antithesis اقتبس فيه آيات من العهد القديم ووضع نظيرها آيات تناقضها من العهد الجديد . ويعني هذا الجزء إذاً : « لا تضيع وقتك باحثاً عن المتناقضات في الكتاب . عش بما جاء في الكتاب بدلاً من أن تجادل فيه » ولكن هناك معنيين أكثر احتمالاً من ذلك .

١- ربما تعنى كلمة *antithesis* اختلاف فى الرأى ، فيكون المقصود هو : « تحاشى المخالفات ، لا تسمح لنفسك بالاندماج فى مهارات تافهة ومنازعات مريبة » . هذه نصيحة مناسبة لمنطقة على شعب يونانى فى أفسس مولع باستشارة القانون . وكان يجد إحدى متعه الرئيسية فى ساحات المحاكم . وربما وصل الحال باليونانى أن يذهب للقاضى ضد أخيه ، لا لشيء إلا لجرد المتعة فى استطلاع وجهة نظر القانون . كان اليونانى محامياً بالسليقة . ويكون المعنى المقصود إذاً « لا تجعل من الكنيسة ساحة للمجادلات اللاهوتية والمناقشات . المسيحية ليست شيئاً نتجادل بسببه بل نحيا به . » .

٢- ويمكن أن تعنى كلمة *Antithesis* نظرية مضادة . وهذا أكثر المعانى احتمالاً ، لأنها تناسب الفكر اليهودى والأمنى معاً . فقد كان المثقفون يتجادلون حول مشاكل كهذه : « ما عدد الملائكة الذين يمكنهم الوقوف على طرف إبرة ؟ » . كان معلمو اليهود يتجادلون حول نقاط متقاربة فى التاموس لساعات وأيام وربما لسنين . ثم يوازنون بين نظرية أو وجهة نظر أو تفسير وبين رأى آخر . وكان اليونانيون بنفس الطريقة ، وإن اذدادوا جدية عن اليهود . فقد كانت هناك مدرسة لفلاسفة اليونان بالغة النفوذ ، تسمى الأكاديمية . لها رأى تتمسك به هو أنه فى محيط الفكر البشرى ، يمكن بالجدل المنطقي الوصول إلى نتيجتين عكسيتين تماماً . لهذا تمسكوا بالرأى أنه لا يوجد فى هذا العالم ما يمكن أن يكون حقيقة مطلقة لازمة ، وأن كل ما يمكن قوله هو وجود افتراضين لهما نفس الوزن وقوة الحجة . ومن هنا وصلوا إلى أنه لا يمكن للإنسان الحكيم أن يتخذ قراراً فى أى موضوع ، ولكنه سيتمسك دائماً بموقف معلق . وكانت النتيجة الحتمية لذلك شل كل نشاط واستصغار كل تفكير لأنه لا توجد حقيقة فى أى شيء . لهذا يقال

لتيموثاوس : « لا تضيع وقتك في مجادلات ماهرة ؛ ولا تضيع وقتك في معارك لغوية أو كلامية . لا تحاول أن تكون شديد الذكاء لتصبح حكيمًا . بل اصنع بالأحرى إلى صوت وصايا الله التي لا رجعة فيها بدلا من المناقشات البارعة لعقول فائقة الذكاء » .

وهكذا تدنو الرسالة من خاتمتها بتحذير يحتاجه جيلنا أيضاً . النقاش الذكي لا يمكن أن يكون عوضاً عن العمل المسيحي . وواجب المسيحي أن لا يدرس في عزلة ليزن قيمة كل نقاش ، بل واجبه أن يعيش الحياة المسيحية في دوامة هذا العالم ، فوق ترابه ووسط لهيبه . ففي النهاية لن تكون للثقافة الذكية أى قيمة ، بل ما يعد ويحتسب هو السلوك والأخلاق .

وهكذا نأتى إلى البركة الختامية — « النعمة معك » وهكذا نختم الرسالة .
بجمال نعمة الله .

رسالة بولس الرسول الثانية
إلى تيموثاوس

الأصحاح الأول

محبة الرسول وامتياز الرسول

١ بُولُسُ رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ لِأَجْلِ
وَعْدِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ ٢ إِلَى تِيمُوثَاوُسَ
الْأَبْنِ الْحَبِيبِ . نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَالْمَسِيحِ
يَسُوعَ رَبِّنَا .

٣ إِنِّي أَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي أَعْبَدُهُ مِنْ أَجْدَادِي بِضَمِيرٍ
طَاهِرٍ كَمَا أَذْكُرُكَ بِلاَ انْقِطَاعٍ فِي طَلِبَاتِي لَيْلاً وَنَهَاراً
٤ مُشْتاقاً أَنْ أَرَاكَ ذَا كِرَاءٍ دُمُوعَكَ لِكَيْ أُمْتَلِيَّ فَرَحاً ه إِذْ
أَتَذَكَّرُ الْإِيمَانَ الْعَدِيمَ الرِّيَاءِ الَّذِي فِيكَ الَّذِي سَكَنْتَ أَوَّلاً
فِي جَدَّتِكَ لَوْنِيَسَ وَأُمِّكَ أَفْنِيكِي وَلَكِنِّي مُوقِنٌ أَنَّهُ فِيكَ
أَيْضاً . ٦ فَلِهَذَا السَّبَبِ أَذْكُرُكَ أَنْ تُضَرِمَ أَيْضاً مَوْهَبَةَ
اللَّهِ الَّتِي فِيكَ بِوَضْعِ يَدَيَّ . ٧ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ
الْفَشْلِ بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ .

٢ تيموثاوس ١ : ١ - ٧

عندما يتكلم بولس عن دعوته ، تعزى صوته نبرات معينة لا يمكن
إغفالها . الدعوة بالنسبة لبولس كانت دائماً ترمز لعدة أشياء .

(أ) فهي تشریف . اختير لها بمشيئة الله . وعلى كل مسيحي أن يعتبر نفسه مختاراً بمشيئة الله .

(ب) وهي مسئولية اختاره الله لها لأن الله أراد أنه ينفذ به عملاً . أراد الله أن يجعل منه الوكيل والأداة لتوصيل أخبار الحياة الجديدة للناس . ولا يوجد شخص يختبر التجديد لأجل ذاته فقط ، بل لأجل ما يستطيع أن يؤديه نحو الآخرين . المسيحي هو ذلك الإنسان الذي غلبه الشعور بالدهشة ، والمحبة والشكر إزاء ما فعله الله لأجله ، فاشتعل إحساسه لينبئ الآخرين بمقدار ما يستطيع الله أن يفعله لأجلهم .

(ج) وهي امتياز . يهمننا أن نعرف كيف رأى بولس هذا الواجب الذي كلف بأدائه نحو الآخرين . كان بولس كامل الاقتناع أن واجبه هو نشر وعد الله لا وعيد الله . فلم تكن المسيحية ، في عرف بولس ، تهديداً بالهلاك الأبدي ، بل كانت أخباراً سارة عن الخلاص . يجدر بنا أن نتذكر دائماً أن أعظم مبشر ورسول عرفه العالم انطلق ، لا ليثير رعب الناس ويرجفهم بنيران الجحيم ، بل ليحركهم نحو تسليم كامل لمحبة الله .

كانت المحبة — لا الخوف — هي المحرك الأول في إنجيل بولس .

وكعادته دائماً ، كان صوت بولس يتهدج بدفء المودة والحب عندما يأتي ذكر تيموثاوس . إنه يدعو « ابني الحبيب » . تيموثاوس ابن بولس في الإيمان . إن كان تيموثاوس يدين لأبويه الأرضيين بالحياة الجسدية ؛ فهو يدين لبولس بحياته الأبدية . هناك فرح في الأبوة الطبيعية ؛ كذلك هناك فرح في الأبوة الروحية . هناك كثير من المعلمين والقديسين ، ممن لم ينعم

الله عليهم بأبناء طبيعيين ، ولكنهم وجدوا التعزية والفرح في ذلك الامتياز العظيم ، امتياز التبتى روحيا . فليس هناك في العالم كله ما يعادل مهجة كتب نفس للمسيح .

إلهام تيموثاوس

كان غرض بولس من الكتابة تشجيع تيموثاوس إزاء مهمته في أفسس . كان تيموثاوس صغيراً ، وكانت مهمة شاقة في محاربة البدع والعلوى التي نفشت وأوشكت أن تهدد سلام الكنيسة . لهذا ، أراد بولس أن يذكر تيموثاوس ببعض أمور معينة تحفظ له شجاعته ومجهوده كاملين .

١ — يذكر تيموثاوس بإيمانه به وثقته فيه . لا يوجد إلهام أعظم من الإحساس بثقة البعض فينا . إن استثارة الكرامة أبعد تأثيراً من التهديد بالعقاب . إن الخوف أن نخيب الرجاء الذى وضعه فينا من أحبونا هو خوف مطهر .

٢ — يذكر تيموثاوس بتقاليد عائلته . فتيموثاوس كان يقتنى سيرة صالحة ، فاذا فشل ، فانه لن يلطخ اسمه وحده فقط ، بل سيشتين الشرف الذى يحوط باسم عائلته أيضاً . إن الأبوة الصالحة واحدة من أعظم الهبات التي يمكن لإنسان أن ينالها . ويشكر الله عليها دائماً ، ويحرص على أن لا يندس اسمها إطلاقاً .

٣ — يذكر تيموثاوس بفرزه لهذا العمل ، وبالعطية التي أسبغت عليه . متى ما التحق إنسان بخدمة أى مجتمع أو منظمة ذات تقاليد وتاريخ ، فان أى شيء يعمل به لن يؤثر عليه وحده فقط ؛ وكل مهمة يقوم بها تم باسم المنظمة كلها وبكامل قوتها تسند . فهو إذ يعمل إنما يعمل مستنداً إلى اسم

كريم ، مغترفاً من شرف محتده ، محافظاً على أصالة تقاليده . وينطبق هذا الموقف على الخصوص على الكنيسة ، فمن يدخل في خدمة الكنيسة ، يمسك بشرف الكنيسة بين يديه من يخدم الكنيسة ، يستمد القوة ويحفظه شعور الشركة مع جميع القديسين .

٤ - يذكر تيموثاوس بالصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم المسيحي . وقد رأى بولس في ذلك الحين أربع صفات .

(أ) هناك الشجاعة . فالخدمة المسيحية تأتي بالشجاعة ، لا الجبن والخوف ، للإنسان . يتطلب الأمر دائماً شجاعة لكي تكون مسيحياً ، هذه الشجاعة تنبع من إحساس دافق بوجود المسيح .

(ب) وهناك القوة . في المسيحي الصادق توجد القوة لمواجهة الظروف ، والقوة لتحمل المهمة التي تكسر الظهر ، والقوة للوقوف صامداً في وجه الملأ ، والقوة للاحتفاظ بالإيمان إزاء الأحرار التي تعصر النفس ، وخيبة الأمل التي تجرح القلب . المسيحي هو من اجتاز حد الانهيار دون أن يتحطم .

(ج) هناك المحبة . في حالة تيموثاوس هذه هي محبة الأخوة ، ومحبة مجتمع المسيح الذي أرسل لقيادته . هذه هي بالضبط المحبة التي تضفي على الراعي المسيحي صفاته الأخرى . على الراعي المسيحي أن يحب شعبه بالدرجة التي لا يستثقل فيها أداء أي عمل أو خدمة من أجلهم . يجب أن يحبهم بالدرجة التي لا يرهبه فيها أي موقف خطير . لا داعي لأن يلتحق أي إنسان بخدمة كنيسة المسيح إذا لم يكن في قلبه حب لشعب المسيح .

(د) هناك تربية النفس . والكلمة هي Sōphronismos ، إحدى الكلمات اليونانية التي لا ترجمة لها . عرفها البعض بأنها « حكمة القداسة » ، وفسرها Falconer بأنها « ضبط للنفس في وجه الذعر أو في وجه الألم » . والمسيح وحده هو القادر أن يعطينا هذا الانتصار على الذات ، هذه التربية النفسية ، ضبط النفس الذي نحفظنا من أن يجرفنا التيار أو تغلبنا الرغبة في الهروب . لن نستطيع أحد أن يحكم آخرين قبل أن يحكم نفسه . Sophronismos هي تلك العطية الإلهية للانتصار على الذات والتي تخلق من إنسان حاكماً عظيماً على آخرين لأنه أولاً وقبل كل شيء خادم للمسيح وسيد نفسه .

إنجيل مستحق التضحية والتألم لأجله

٨ فَلَا تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا وَلَا بِي أَنَا أَسِيرُهُ بَلِ
أَشْتَرِكُ فِي أَحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ بِحَسَبِ
قُوَّةِ اللَّهِ ٩ الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً لَا بِمُقْتَضَى
أَعْمَالِنَا بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنَّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيتْ لَنَا فِي
الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الْأَزْمِنَةِ الْأَزَلِيَّةِ ١٠ وَإِنَّمَا أُظْهِرْتَ
الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ
وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الْإِنْجِيلِ ١١ الَّذِي جُعِلْتُ
أَنَا لَهُ كَارِزًا وَرَسُولًا وَمُعَلِّمًا لِلْأُمَمِ .

٢ تيموثاوس ١ : ٨ - ١١

الإخلاص للإنجيل لا بد أن يأتي بالمتاعب . بالنسبة لتيموثاوس ،
كان الإخلاص للإنجيل ولبولس يعنى الإخلاص لرجل يعتبر مجرمًا لأن
بولس كتب هذه الرسالة أثناء وجوده في السجن بروما . ولكن بولس
هنا يبرز الإنجيل في كل مجده . إنجيل يستحق التضحية والتألم لأجله .
ويستعمل بولس التصريحات المباشرة وغير المباشرة في إبراز عناصر الإنجيل
المحيية . ولا يشتمل العهد الجديد إلا على القليل من مثل هذه الكتابات
التي تمتلأ وتفيض بهذا الإحساس العميق نحو مجد وعظمة إنجيل يسوع
المسيح .

١ - هو إنجيل القوة . كل عذاب في سبيل الإنجيل محتمل بقوة الله .
كان الإنجيل للعالم القديم قوة للحياة ، فقد تميز العصر الذي كتب فيه بولس بأنه عصر الانتحار . كان الرواقيون أعلى طبقة بين مفكرى القدماء . وكانوا يدينون بأرقى المبادئ ؛ ولكن كانت لهم أيضاً طريقتهم الخاصة في الهروب عندما تصبح الحياة غير محتملة . من أقوالهم : « وهب الله الحياة للإنسان ، ولكنه أعطاه أيضاً هبة أعظم هي القدرة على أخذ حياته بيده » . أما الإنجيل فقد كان ، وما زال ، قوة للانتصار على الذات ، قوة لإخضاع الظروف ، قوة للاستمرار في الحياة عندما يضيق العيش بالحياة ، قوة لتكون مسيحياً عندما تصبح المسيحية والاستحالة صنوان .

٢ - وهو إنجيل الخلاص . الله هو الإله الذي خلصنا . والإنجيل إنقاذ من الخطية . وهو الذي يحرر الإنسان من الأمور التي تسيطر عليه : قوة لفصم الروابط التي لا تنقطع . قوة لهزم الخطايا التي صارت نسيجاً في تلافيف الحياة نفسها . الإنجيل في مضمونه قوة لإنقاذ ما قد هلك وجعل الشرير باراً .

٣ - والإنجيل دعوة للتقديس . ليس الإنجيل مجرد منقذ من نتائج وعقاب الخطايا الماضية . بل هو أيضاً دعوة للمسير في طريق القداسة . وقوة الإنجيل في إحداث تغيير ، حقيقة مجردة تتحدى كل المناقشات . في كتاب « الإنجيل وتبشير العالم » يذكر A. M. Chirgwin حادثتين عجيبتين عن قوة المسيح الإعجازية في التغيير . أحد رجال عصابات نيويورك ، سجن لارتكابه حوادث سرقة بالإكراه يعزم اللحاق بعصابته القديمة للاشتراك في سرقة أخرى بالإكراه ، وفي طريقه ينشل رجلاً في الشارع الخامس . ثم يذهب إلى الحديقة العامة ليعاين ما نشله ، ولشد ما كان

اشتمزازه إذ وجد أن ما نشله هو العهد الجديد . وبالنسبة لأن ميعاد مقابلته مع أعضاء العصابة لم يكن قد حان بعد ، فقد أخذ يقلب الصفحات ببلادة ثم يقرأ . وسرعان ما ملك عليه الكتاب أحاسيسه ، فقرأ وقرأ للدرجة أنه ذهب بعد عدة ساعات لزملائه القدامى وأخبرهم بصراحة كاملة عما كان يفعله ثم قطع صلته بهم نهائياً . كان الإنجيل بالنسبة لهذا السجين السابق ، رجل العصابات الشرير ، دعوة للقداسة .

أما الحادثة الثانية فهي عن شاب عربي من حلب عزم على أن يقتل صديقاً سابقاً له بعد مشاجرة عنيفة بينهما . ولكنه صرح لمبشر مسيحي قائلاً : « قررت أن أقتله . حققت عليه للدرجة أنني دبرت طريقة لقتله . ولكن ؛ تصادف أن قابلتك يوماً ما وأقنعتني أن أشتري نسخة من الإنجيل متى . واشتريتها لإرضاء لك فقط ، ولم يدر بخلدى أن أقرأه إطلاقاً » ولكن بينما كنت أستعد للنوم تلك الليلة سقط الكتاب من جيبي فالتقطته وبدأت أقرأ . وعندما وصلت المكان الذي يقول فيه : « سمعتم أنه قيل للقديس لا تقتل ولكني أقول لكم إن من غضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » ، تذكرت الكراهية التي كنت أكنها وأتمنيها ضد عدوى . وتابعت القراءة ، وشعوري بالضييق يتزايد حتى وصلت لكلمات . « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم . إحملوا نيري عليكم ، وتعلموا مني ، لأنني وديع ومتواضع القلب ؛ فتجدوا راحة لنفوسكم » وهنا فاض بي الكيل فصرخت « يا إلهي ارحمني أنا الخاطي » . ملأ الفرح والسلام قلبي واختفت الكراهية . ومنذ تلك اللحظة صرت إنساناً جديداً ، وأصبحت متعني الرئيسية قراءة كلمة الرب » . هذا هو الإنجيل الذي حول سجين نيويورك السابق ، ومعتزم القتل في حلب إلى طريق القداسة . أمام هذا المقياس تقصر مسيحتنا ، فالمسيحية التي لا تحدث تغييراً ليست مسيحية . من اختبر قوة الإنجيل المخلصة لإنسان مجدد ، في عمله ،

في مسراته ، في بيته ، في طبيعه ، في أخلاقه . لا بد من وجود فرق حيوى بين المسيحى وغير المسيحى ، لأن المسيحى قد استجاب للدعوة وبدأ مسيرته نحو القداسة .

إنجيل مستحق التوضيح والتألم لأجله

٤ — الإنجيل إنجيل النعمة . فهو لا يعتمد على أعمالنا بل على أغراض الله ، ليس شيئاً استحققناه ، ولكنه شئء قبلناه . لم يدعنا الله لأننا قديسون ولكنه دعانا ليقدرنا . لو كان علينا أن نعمل لنفوز ونستحق الإنجيل ومحبة الله ، لكان موقفنا ميئوساً منه . الإنجيل هو عطية الله المجانية . لا يحبنا الله لاستحقاقنا حبه ، ولكنه يحبنا من فيض كرم قلبه .

٥ — الإنجيل هو إنجيل مقاصد الله الأبدية . كان مخططاً ومصمماً قبل تأسيس العالم وقبل بدء الزمان . لا يجدر أن يخطر بأفكارنا مطلقاً أنه في وقت ما كان الله جامداً صارماً ثم بعد حياة وموت يسوع صار الله محبة غافرة ، بل منذ بدء الزمان كانت محبة الله دائبة السعى في البحث عن الناس ، كما أن نعمته وغفرانه ملك مجاني لكل من أراد . المحبة هي من صميم كيان الله وطبيعته الأزلية .

٦ — الإنجيل هو إنجيل الحياة والخلود . كان بولس يؤمن أن الحياة والخلود قد جاءا بيسوع المسيح . كان العالم القديم يخاف الموت ؛ واعتبره ليلاً أبدياً . كان على كل إنسان أن يرقد رقاد الموت والفناء ؛ وأفضل ما جادت به فلسفات العالم القديم أن الموت اندماج في كيان الله . ولكن رسالة المسيح هي أن الموت طريق إلى الحياة ، وبدلاً من أن يكون الموت فاصلاً بين الناس والله ، صار الوسيلة التي يقترب بها الناس من وجود الله .

٧- الإنجيل هو إنجيل الخدمة . هذا هو الإنجيل الذى جعل من بولس كارزاً ، ورسولاً ومعلماً للإيمان . كم يكن إنجيلاً يطيب خاطر بولس حيث أنه الآن قد نال خلاص نفسه ولا حاجة به أن ينشغل أو يقلق بعد ذلك . بل كان إنجيلاً ألقى على عاتقه مأمورية لا فكاك منها ، أن يفنى نفسه فى خدمة الله والإنسان . وضع الإنجيل ثلاث ضرورات على بولس .

(أ) جعله كارزاً وهى كلمة تحمل ثلاثة معان رئيسية ، وكل منها له دلالة بالنسبة لواجباتنا المسيحية . فالكارز هو المنبئ الذى يحمل إعلاناً من الملك . والكارز هو الرسول بين جيشين يواجهان بعضهما ينقل بينهما شروط الهدنة والسلام . والكارز هو المنادى الذى يؤجره صاحب مزاد أو تاجر ليعلن عن بضاعة ويدعو الناس للحضور والشراء . إذاً المسيحى هو من يأتى بالرسالة لزملائه من الناس ، وهو من يدعو الناس للصالح والسلام مع الله ، وهو من ينادى عليهم أن يقبلوا غنى عطية الله التى يقدمها لهم .

(ب) جعله رسولاً . وهذه الكلمة تعنى من يرسل إلى الخارج ، أى مبعوث أو سفير ولا يتكلم الرسول عن نفسه ، بل عن أرسله . وهو لا يمثل سلطته الشخصية بل يمارس سلطة من أرسله . والمسيحى هو ذلك المبعوث ، سفير المسيح ، أتى ليتكلم عن المسيح ويمثل المسيح أمام الناس .

(ج) جعله معلماً . التعليم مهمة أساسية رئيسية فى حياة المسيحى وحياة الكنيسة . وهى مهمة أصعب من خدمة التبشير . واجب المبشر أن يحث الناس ، ويواجههم برسالة محبة الله . ويمكن أن يستجيب

إنسان لهذه الدعوة في لحظة خاطفة ، عندما تفيض به عاطفة ، أو عندما تنهار الأعذار الواهية التي يتمسك بها أمام قوة كلمة الله . ولكن ليس هذا هو كل شيء ، فما زال الطريق طويلاً أمامه ، لأن عليه أن يتعلم ماذا يعنى كل هذا ؛ عليه أن يتعلم تنمية الحياة المسيحية . لقد تم غرس البذرة ، ولكن ما زالت هناك عملية النمو البطيئة الطويلة . وضع الأساس ، ولكن بناء الحياة المسيحية ما زال في بدء الإنشاء . شعلة التبشير لا بد أن يغذيها ويتابعها التوهج المستمر للتعليم المسيحي . ربما كان أحد الأسباب الرئيسية التي تنأى بالناس بعيداً عن الكنيسة ، أنهم لم ينالوا بعد التعليم الكاف في معنى وصدق الإيمان المسيحي . إن وظيفة المسيحي الذي يود أن يخدم سيده وكنيسته ثلاثية الشعب ، فعليه أن يكون كارزاً ، ورسولاً ومعلماً .

٨ - الإنجيل هو إنجيل يسوع المسيح . فبدونه لم يكن ممكناً أن نعرف الإنجيل . ولكن الإنجيل شوهد في كماله أثناء ظهور ربنا يسوع المسيح . والكلمة التي يستعملها بولس عن ظهور كلمة ذات تاريخ حافل استعملها اليهود مراراً لوصف الشواهد العظيمة التي ظهرت فيها قوة الله المخلصة ، وهي الشواهد التي تكرر حدوثها أثناء الأيام الرهيبة في كفاح المكابيين ، عندما كان أعداء إسرائيل يخططون لحرق اسم الله . ففي أيام رئيس الكهنة أونياس جاء من يدعى هليودورس لينهب كنوز الهيكل في أورشليم . وفشلت الصلوات والابتهالات في منع هذا الاغتصاب . ثم تستطرد القصة فتقول إنه بينما كان هليودورس على وشك مد يديه نحو الكنز ، وأحدث رب الأرواح وأمير القوة رؤيا عظيمة . . . لأنه ظهر أمامهم حصان يمتطيه فارس رهيب . . اندفع بقوة وجبروت وصرع هليودورس بقدمه . . . فسقط فجأة إلى

الأرض واحتوته ظلمة عظيمة » (٢ مكايين ٣ : ٢٤ - ٣٠) ربما لن نعرف أبداً ماذا حدث بالضبط ؛ ولكن الواضح أن هذا الشاهد العظيم ، هذه الرؤيا من الله ظهرت أثناء الساعات الحالكة للشعب عندما واجه يهوذا المكابي وجيشه الصغير جبروت نيقانور ، صلوا قائلين : « أيها الرب ، يا من أرسلت ملاكك في زمن حرقيا ملك اليهودية ، وضربت من جيش آشور مائة وخمسة وثمانون ألفاً (الملوك الثاني ١٩ : ٣٥ و ٣٦) ، الآن أيضاً ، يا رب السماء ، أرسل ملاكك أمامنا ليلقي في قلوبهم الرعب ؛ وبقوة ذراعك أضربهم ، أولئك الذين يأتون ضد شعبك المقدس لكي يحدفوا عليك » : ثم تستمر القصة : « عندئذ تقدم نيقانور ومن معه بالطبول والأغاني . ولكن يهوذا وصحبه واجهوا العدو بالابتهال والصلاة . ثم اشتبكوا معهم بالأيدى ، وقتلوا منهم ما لا يقل عن خمسة وثلاثين ألفاً ؛ لأن حماسهم بلغ أشده برؤيا الله » . (٢ مكايين ١٥ : ٢٢ - ٢٧) . مرة أخرى نحن لا نعرف ماذا حدث ، ولكن مرة أخرى يتدخل الله بقوة وجبروت لإنقاذ شعبه . بالنسبة لليهود كانت كلمة رؤيا تعني تدخلا من الله للإنقاذ والخلاص .

وبالنسبة لليونانيين كانت هذه أيضاً كلمة حافلة . فهي تعني ارتقاء الامبراطور عرشه . إنها لحظة مجيدة . كان كل امبراطور يأتي إلى العرش بآمال عريضة ؛ وكان مجيئه يؤذن بفجر يوم جديد مجيد ، وفاتحة خيرات عظيمة تعم المملكة .

وقد عرض الإنجيل بكامله بتتويج يسوع ؛ والكلمة ذاتها تعني أن يسوع هو قوة الله العظيمة لخلاص العالم ، وأن مجيء المسيح هو بداية ارتقاء المسيح إلى العرش الذي سيصبح في النهاية عرش ملكوت الله .

وديعة بشرية وإلهية

١٢ لِهَذَا السَّبَبِ أَحْتَمِلُ هَذِهِ الْأُمُورَ أَيْضاً لَكِنِّى
لَسْتُ أَخْجَلُ لِأَنَّى عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ وَمَوْقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ
يَحْفَظَ وَدِيعَتى إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ .

١٣ تَمَسَّكَ بِصُورَةِ الْكَلَامِ الصَّحِيحِ الَّذِى سَمِعْتَهُ مِنِّى
فِى الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِى فِى الْمَسِيحِ يَسُوعَ . ١٤ احْفَظِ
الْوَدِيعَةَ الصَّالِحَةَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ السَّاكِنِ فِينَا .

٢ تيموثاوس ١ : ١٢ - ١٤

يستخدم هذا الجزء كلمة يونانية ليصل إلى اتجاهاين . فيتكلم بولس عما
أودعه عند الله ؛ ويبحث تيموثاوس أن يحافظ على الوديعة التى وضعها فيه الله
وفى كلتا الحالتين تستعمل كلمة وديعة ، وهى تعنى وديعة موكولة لأمانة
شخص . يمكن للشخص أن يودع شيئاً لدى صديق له يأتمنه ، أو يحتفظ
بشيء لدى بعضهم ليحافظ عليه لصالح أولاده أو أحبائه ؛ أو يودع الأشياء
الثمينة بخزانة المعبد ، لأن المعابد كانت بمثابة البنوك وصناديق الاثمان فى العالم
القديم . وفى جميع الأحوال يدعى الشيء المودع أو الموثمن عليه بالوديعة .
ركانت المحافظة على هذه الوديعة ثم إعادتها حينما يأتى وقت المطالبة بها من
أقلس الواجبات .

يقول بولس أنه ترك وديعته لدى الله ، بمعنى أنه ائتمن الله على عمله وحياته . لقد بدا في ذلك الحين أنه ترك عمله ، وأنه سينهى حياته كمجرم في أحد سجون روما وبذلك يرخي الستار على كل ما أنجزه . ولكن بولس غرس بذاره ، وبشر إنجيله وترك النتيجة بين يدي الله . إن كان قد بدا أن تلك كانت نهاية بولس ، ولكنه كان واثقاً أنه في أمان طالما أنه ائتمن الله على حياته . لماذا كان بولس واثقاً ؟ لأنه كان عالماً بمن آمن . من الجدير ملاحظة وتذكر أن بولس لم يذكر أنه عالم بما آمن . فيقين بولس لم يأت عن معرفة عقلية بعقيدة أو بدين ، ولكنه أتى من معرفة شخصية بالله . كان يعرف الله شخصياً ، وكان يعرفه عن قرب ؛ كان يعلم كيف يكون الله في المحبة وفي القوة ؛ وكانت هذه المعرفة تؤكد لبولس أنه من غير المعقول ومما لا يمكن تصوره أن يخيب الله رجاءه أو يعرض عنه .

إذا كنا قد أدينا عملنا بأمانة ، وإذا كنا قد بذلنا كل ما فينا من عزيمة وموهبة لتحقيق أحسن ما نستطيع ، نستطيع أن نأخذ معنا هذا العمل وهذا الجهد ، تاركين النتيجة بين يدي الله — مهما كان استصغارنا لشأن هذا العمل . إن عشنا أو متنا فإن هذا لا يهم طالما استودعنا حياتنا بين يدي الله . فحياتنا في أمان هنا على الأرض أو في عالم آخر طالما هو معنا ، لأنه لا شيء يقدر أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا .

وديعة بشرية وإلهية

ولكن هناك جانباً آخر لموضوع الوديعة فبولس يبحث تيموثاوس أن يحرص ويحافظ على الوديعة التي وضعها الله فيه . لسنا نحن فقط الذين نضع ثقتنا في الله ؛ بل الله أيضاً يضع ثقته فينا . أن فكرة اعتماد الله على الناس ليست خارجة عن فكر العهد الجديد . عندما يريد الله تنفيذ عمل ما ،

يبحث عن شخص لتأديته . إذا أراد الله لطفل أن يتعلم ، أو لرسالة أن تقدم ، أو لعظة أن تبشر ، أو لمفقود أن يوجد ، أو لحزين أن يتعزى ، أو لمريض أن يشفى فإنه يجد الوكيل والأداة لتنفيذ غرضه .

أن الوديعة التي أوكّلها الله لتيموثاوس كانت رعاية وبنيان الكنيسة . وإذا كان لتيموثاوس أن يؤدي المهمة كاملة ، وجب عليه أن يتمسك بعدة أمور معينة :

١ - كان عليه أن يتمسك بصورة الكلام المقوى الصالح . أى كان عليه أن يحرص على طهارة المعتقدات المسيحية ، وأن تظل نقية من الآراء المغرضة والأفكار الخاطئة ، وأن مبادئ الإيمان العظيمة لا تنتهك . ليس معنى هذا أنه لا يوجد مكان في الكنيسة المسيحية للأفكار الجديدة ، أو الآراء الجديدة ، أو لتطوير المعتقدات . ولكن المطلوب هو صون بعض الحقائق المسيحية العظمى من التلاعب بها . وربما كان من الممكن تلخيص هذه الحقائق جميعاً في حقيقة واحدة هي عقيدة الكنيسة الأولى « يسوع المسيح هو رب » (فيلبي ٢ : ١١) إن أى لاهوتى يعمل على أن يزحزح المسيح من مركز القمة ، أو أن يأخذ منه مكانه الفريد في خطة الله للخلاص بالضرورة مخطئ . وعلى الكنيسة المسيحية أن تجدد دائماً عهود إيمانها ، ولكنها جميعاً عهود إيمان في المسيح .

٢ - لا يجب أن يتراخى في الإيمان . والإيمان هنا يشير إلى فكرتين أو معنيين :

(أ) فكرة الولاء والولاء . فالقائد المسيحي عليه دائماً أن يكون وفياً وموالياً ليسوع المسيح ، وأن لا ينجل قط من إعلان أنه يمت

ليسوع ويخلصه . وأن لا يخاف مطلقاً من الوقوف والتمسك
بسيده ومخلصه الذى قبل الصليب لأجله . الوفاء هو أقدم وأهم
الفضائل فى العالم .

(ب) ولكن الإيمان يحمل أيضاً معنى الرجاء . فعلى المسيحى أن لا يفقد
ثقته أبداً فى الله ؛ ولا أن يجرفه تيار الإرهاق والتشاؤم . لا يحق
له أن ييأس .

لهذا لا يجب أن يحمل قلب المسيحى شيئاً من اليأس ، أو التشاؤم أو
الخوف سواء عن نفسه أو عن العالم .

٣- لا يجب أن يتراخى عن المحبة . لكى تحب الناس عليك أن تراهم كما
يراهم الله . وأن ترفض عمل أى شىء إلا ما فيه خيرهم وصالحهم . هو أن
تقابل الإساءة بالإحسان . هو أن تبادل الكراهية بالمحبة . هو أن تقابل
الاستخفاف بعاطفة جياشة لا يمكن أن تكتم أو تطلقاً أو تبيع . فى المحبة
المسيحية إصرار على محبة الناس كما أحبه الله ، وأن ينعكس حب الله الذى
أحبنا به أولاً فى حبنا للآخرين .

الخونة كثيرون والوفى واحد

١٥ أَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ فِي أَسِيَّا ارْتَدُّوا
عَنْ الَّذِينَ مِنْهُمْ فَيُجْلَسُ وَهَرْمُوجَانِسُ . ١٦ لِيُعْطِيَ الرَّبُّ
رَحْمَةً لِبَيْتِ أُنَيْسِيفُورُسَ لِأَنَّهُ مِرَاراً أَرَاخَنِي وَلَمْ يَخْجَلْ
بِسِلْسِلَتِي ١٧ بَلْ لَمَّا كَانَ فِي رُومِيَّةَ طَلَبَنِي بِأَوْفَرِ اجْتِهَادٍ
فَوَجَدَنِي . ١٨ لِيُعْطِيَ الرَّبُّ أَنْ يَجِدَ رَحْمَةً مِنَ الرَّبِّ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَكُلُّ مَا كَانَ يَخْدُمُ فِي أَفْسُسَ أَنْتَ تَعْرِفُهُ
جَيْدًا .

٢ تيموثاوس ١ : ١٥ - ١٨

هذا جزء تختلط فيه المشاعر العميقة بالفرح . فقد حدث لبولس في النهاية
ما حدث لسيدة يسوع . نساء أصدقاؤه وهربوا . والمقصود بأسيا - في العهد
الجديد - الولاية الرومانية التي في غرب آسيا الصغرى ، وعاصمتها أفسس .
عندما سمع بولس هجره أصدقاؤه خوفاً مما يلحق بهم . ولا يمكن أن تكون
التهمة الوحيدة ضد بولس تهمة دينية ، لأن الرومان لن يعبأوا بهذا ، ولا بد
أن اليهود قد نجحوا في إقناع الرومان بأن بولس يشير للقلاقل معكر للأمن
العام ومن الخطورة تركه حراً . ولا شك أن اعتقال بولس تم بناء على تهمة
سياسية . ولا شك استمرار الصداقة مع معتقل سياسي كهذا يعرض الأصدقاء

للخطر ؛ لهذا هجر بولس أصدقاءه حرصاً على سلامتهم الشخصية وتركوه وحيداً في ساعة حاجته .

ولكن إن خاف الجميع وتركوه ، فقد ظل رجل واحد وفياً له حتى النهاية . كان هذا الرجل هو أنيسيفورس ، والاسم يعنى مريح . نجعل البعض وخافوا أن يتهموا بمعرفة بولس ، ولكن لم يكن أنيسيفورس واحد منهم . ويرسم ب. ن. هاريسون صورة نابضة لأنيسيفورس وهو يبحث عن بولس في روما : « نلمح في وسط الجماهير المتحركة وجهاً جاداً فيه إصرار وعزيمة ، ونحن نتبع في اهتمام متزايد هذا الوجه الغريب ، الآتى من شواطئ بحر إيجه البعيدة وهو يتحسس سيره في شبكة الشوارع التي لا يعرفها ، طارقاً أبواب منازل كثيرة ، متتبعاً كل أثر ، لا يثنيه عن غرضه تحذير أو خطر أو أى شئ ؛ حتى يرحب به في النهاية صوت يعرفه جيداً في مكان مظلم نصفه منزل ونصفه الآخر سجن ، هنا يكتشف بولس مقيداً إلى عسكري روماني . وإذا يجد أنيسيفورس بولس ويعرف طريقه إليه ، لا يكتف بزيارة واحدة . ولكنه ، كاسمه ، لا يكل ولا يتعب في خدمته وسوئاله . غيره تراجعوا وانكشوا أمام التهديد والعار الذي تعنيه هذه السلسلة ؛ ولكن هذا الزائر يعتبر مشاركته لهذا المجرم في عار الصليب امتياز حياته الأعظم . ولكثرة تردده على بولس أصبحت هذه الشبكة المعقدة من شوارع روما معروفة له كشوارع مدينة أفسس » .

ولا شك أن أنيسيفورس عندما بدأ بحثه عن بولس ثم كرر التردد عليه كان يضع حياته على كفه . كان من الخطر أن يستمر في السؤال عن مكان مجرم معين ؛ وكان من الخطر أن يزوره ، وكان الأكثر من هذا خطورة الاستمرار في زيارته ؛ ولكن هذا ما فعله أنيسيفورس .

مرة بعد مرة يواجهنا الكتاب المقدس بسؤال يصيب مرمى حقيقياً في حياة كل منا . ومرة بعد مرة يقدم الكتاب المقدس شخصاً ثم يخرجنا من مسرح التاريخ بجملة واحدة فقط . هرموجانس ، فيجلس ، إثنان لا نعرف عنهما غير الاسم وأنهما خانا لبولس فتركاه في محنته . انيسيفورس ، لا نعرف عنه إلا وفاءه لبولس ومخاطرته بحياته — وربما فقدتها — في سبيله . يذهب هرموجانس وفيجلس في غياهب التاريخ مدموغين بالخيانة ؛ ويذهب انيسيفورس في التاريخ بأنه الصديق الألق من الأخ . إذا قدر لنا أن نصف في جملة واحدة . ماذا تكون هذه الجملة ؟ هل يكون حكم جملة واحدة على حياتنا حكماً على خائن أو حكماً على تلميذ ظل أميناً .

الأصحاح الثانى

سلسلة التعليم المتصلة

١ فَتَقَوُا أَنْتَ يَا ابْنِى بِالنِّعْمَةِ الَّتِى فِي الْمَسِيحِ
يَسُوعَ . ٢ وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّى بِشُهُودِ كَثِيرِينَ أَوْدِعَهُ أَنْاسًا
أَمْنَاءَ يَكُونُونَ أَكْفَاءَ أَنْ يُعَلَّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا .

٢ تيموثاوس ٢ : ١ ،

نجد هنا تخطيطاً لكيفية تلقى الإيمان المسيحى ونقله للآخرين .

١ - تلقى الإيمان مبنى على السمع . فمن بولس سمع تيموثاوس عن الحق
والنعمة فى الدين المسيحى . وتأكد ما سمعه بأقوال شهود كثيرين . أولئك
الذين شهدوا قائلين : « هذه الكلمات . هذه الوعود جميعها صادقة . ونحن
نعرف ذلك لأننا اختبرناها فى حياتنا » . ومن الطبيعى أن كثيرين منا لا يملكون
موهبة التعبير ، ولا يستطيعون تعليم أو شرح الدين المسيحى ، ولكن حتى
ذلك الشخص الذى ليست لديه ملكة التعليم قادر أن يشهد لقوة الإنجيل الحية ،
ولصدق جميع الوعود .

٢ - قبول الإيمان ليس امتيازاً فقط بل يجب نقله للغير . وعلى كل
مسيحى أن يعتبر نفسه حلقة اتصال بين جيلين . فعليه أن يسلم الأمانة التى
استلمها . ويكتب سمبسون عن هذا الجزء : « أن الشعلة السماوية يجب أن
تنقل مشتعلة من جيل إلى آخر ، وعلى تيموثاوس أن يعد نفسه وسيطاً بين
العهد الرسولى والأجيال الآتية » . تلقى الإيمان امتياز المسيحى ونقل الإيمان
مسئولية .

٣- ينقل الإيمان للمخلصين الذين يقومون بدورهم بتعليم الآخرين . واستمرار الكنيسة المسيحية يعتمد على سلسلة متصلة من المدرسين . وقد صور كلمينت هذه السلسلة في كتاباته لكنيسة كورنثوس . « عين الرسل الشيوخ ، ومن هؤلاء توالى خدمة الإيمان بصورة مستمرة لا تنقطع » . فالمعلم حلقة اتصال في السلسلة الحية التي تمتد كاملة غير مقطوعة من وقتنا الحالى إلى يسوع المسيح . وأن مجد التعليم هو أنه رابطة الوصل بين حاضرننا وبين حياة يسوع المسيح على الأرض .

يجب أن يكون هؤلاء المعلمون مخلصون . والكلمة اليونانية «مخلص» هي غنية بعدة معانى متقاربة . فرجل يوصف بأنه مخلص يعنى أنه مؤمن ، وفى ، لا يرجع فى وعوده ويمكن الاعتماد عليه . ويضيف فالكونر فيقول إن هؤلاء المؤمنين « لن يخضعوا لإرهاب أو يرهبهم خطأ » .

لأن قلب المعلم المسيحي يجب أن يستند إلى المسيح فلا يغريه عن طريق الوفاء أو يضلّه عن طريق الحق المستقيم تهديد بخطر أو خداع تعليم زائف . وهكذا يجب أن يكون المعلم المسيحي ثابتاً لا يتزعزع فى حياته وتفكيره .

جندى المسيح

٣ فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي أَحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ
لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ . ٤ لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَجَنَّدُ يَرْتَبِكُ
بِأَعْمَالِ الْحَيَاةِ لِكَيْ يُرْضِيَ مَنْ جَنَّدَهُ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٣ ، ٤

تصوير الإنسان كجندى والحياة كميدان لمعركة أحد التشبيهات التي استخدمها اليونانيون والرومان كثيراً في كتاباتهم . قال سنيكا « لكى تحيا يجب أن تكون جندياً » . وقال ابكتيتس « حياة كل شخص نوع من معركة . وهى معركة طويلة متنوعة » . وطبق بولس هذه الصورة على حياة المسيحيين عموماً ، واختص بها القادة وخدام الكنيسة البارزين . فهو يحث تيموثاوس « أن يحارب المحاربة الحسنة » (تيموثاوس ١ : ١٨) ويدعو ارنخس « المتجند معنا » (فليمون ٢) ويدعو أبفروتس ، رسول كنيسة فيلبى ، « المتجند معى » (فيلبى ٢ : ٢٥) . ومن الواضح أن بولس رأى فى حياة الجندى صورة لما يجب أن تكون عليه حياة المسيحي وخدام المسيح . ما هى إذا صفات الجندية التى ود بولس تكرارها فى الحياة المسيحية ؟

١ - خدمة الجندى خدمة مركزة . متى ما دخل إنسان فى خدمة جيش ، لم يعد فى استطاعته أن يشارك أو يرتبط بأمور الحياة اليومية والعادية ، بل عليه أن يركز على خدمته كجندى ، ويذكر قانون ثيودوسيوس الرومانى :

« ممنوع على الملحقين بالخدمة العسكرية الاشتراك في أعمال مدنية » . الجندي جندي ولا شيء آخر . والمسيحي مطالب بالتركيز على مسيحيته – ولا يعني هذا عدم اشتراكه في أعمال ومهام عالمية ، ولكنه يعني أن يعيش مسيحيته ويرهن عليها بقدرته في أى مهمة أو عمل يشغل به .

٢ – الجندي مكلف بالطاعة . فالتدريب الأولي للجندي يعلمه الطاعة العمياء ، طاعة غريزية لا تناقش كلمة الأمر الصادرة إليه . فربما جاء وقت تكون فيه هذه الطاعة العمياء سبباً في إنقاذ حياته وحياة آخرين . هناك بعض الحق في القول أنه ليس من واجب الجندي « أن يسأل لماذا » . فاشتباكه في وسط المعركة لن يعطيه صورة عامة شاملة لما يجري فيها . لهذا يترك اتخاذ القرارات للقائد يشاهد جملة ما يجري في الميدان . وواجب المسيحي الأول هو إطاعة صوت الله ، وقبول حتى ما لا يستطيع أن يفهمه في حينه .

٣ – والجندي مدرب على التضحية . كثيراً ما يكون واجب الجندي لا مهاجمة العدو بل الدفاع بأن يضع جسمه درعاً حياً بين العدو وبين من يحب . أى أن مهمته هي تضحية النفس لأجل أن يدافع عنهم . يحكى لنا جوسب أنه أثناء قيامه بعمل قسيس في فرقة في الحرب العالمية الأولى ، وصل للخطوط الأمامية للمرة الأولى . وهناك واجه الحرب ، والدماء ، والجروح والموت في صورتها البشعة . وأثناء سيره شاهد على جانب الطريق جسد جندي اسكتلندي صغير ، وبدون أن يعرف السبب جال بخاطره كلمات المسيح نفسه : « هذا هو جسدى المكسور لأجلكم » أن الشرط الأساسي في حياة الجندي هو استعداد أن يضع حياته لأجل أصدقائه . وهكذا المسيحي ، يجب أن يكون دائماً على استعداد للتضحية بنفسه ، بأغراضه ، برغباته ، بثروته ، لأجل الله والإنسان .

٤ - والجندي مدرب على الولاء . عندما يلتحق الجندي الروماني بالجيش يأخذ على نفسه قسماً للولاء للامبراطور . سجل أحدهم هذا الحديث بين المارشال قوش وضابط في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ . قال قوش « لا يجب أن تراجع يجب أن تثبت بأي ثمن » . فأجاب الضابط مأخوذاً ، « إن هذا معناه أن تموت جميعاً » فأجابه قوش « بالضبط ! » . إن فضيلة الجندي العظمى هي إخلاصه حتى الموت . وهكذا المسيحي أيضاً ، فهو مخلص ليسوع المسيح ، خلال كل الظروف وتغيرات الحياة ، حتى أعتاب الموت .

رياضى المسيح

وَأَيْضاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ لَا يَكَلُّ إِنْ لَمْ
يُجَاهِدْ قَانُونِيًّا .

٢ تيموثاوس ٢ : ٥

إستعمل بولس صورة الجندي ليصف المسيحى ، والآن يستعمل
صورتين أخريتين ، صورة الرياضى ، وصورة الفلاح الذى يشق فى عمله ؛
وهو يستعمل نفس الصور الثلاث معاً فى ١ كورنثوس ٩ : ٦ ، ٧ ، ٢٤-٢٧ .

يقول بولس أن الرياضى لن يفوز بالجائزة إلا إذا حافظ على قوانين
المسابقة . الأصل اليونانى athlein nomimos وهى من تلك الكلمات
التي تستعصى على الترجمة المباشرة . جاءت بالكتاب « مجاهد قانونياً » .
واستعملها بعض الكتاب الذين جاءوا بعد ذلك لوصف الرياضى المحترف
بعكس الرياضى الهاوى . الرجل الذى يجاهد nomimos هو الذى يركز
كل شىء فى صراعه وجهاده . فهذا الجهاد ليس فقط لملء وقت فراغه ،
كما هو الحال بالنسبة للهاوى ، بل هو تكريس لحياته بكل نشاطاتها وأوقاتها
للهدف الأعظم وهو الامتياز والفوز فى السباق الذى اختاره ، هنا أيضاً نجد
نفس الفكرة التى تعبر بالخاطر إزاء رؤية المسيحى فى صورة الجندي . مرة
أخرى نجد الضرورة فى تركيز المسيحى على مسيحيته تماماً كالضرورة التى
نراها فى حياة الرياضى المحترف فى التركيز على رياضيته . المسيحى فى وقت
الفراغ فقط مناقض للشروط ، لأن حياة الشخص كلية يجب أن تكون محاولة

واحدة مرهقة ومتصلة ليعيش مسيحيته في كل لحظة وفي كل نواحي حياته .
ما هي إذا صفات الرياضي التي تجول بفكر بولس ؟

١ - الرياضي شخص خاضع لتربية مستمرة وإنكار لذاته . فواجهه
أن يحافظ على جدول مرانه ولا يسمح لشيء آخر أن يعطله عنه . ستمر عليه
أيام يود فيها أن يفلت من هذا التدريب القاسي ولكنه لا يستطيع أن يدع هذا
التفكير يغلبه . المباهج والمسرات التي يمكن أن يندمج فيها تغزو عقله ولكن
عليه أن يرفضها . هناك أوقات يشعر فيها بالتعب ، ويود أن يتوقف ؛ ولكن
بوشكاش ، لاعب الكرة المحررى الشهير ، يعطى نصيحة لكل رياضي ،
« عندما تشعر أنك لا تستطيع أن تستمر ، قاوم هذا الشعور لمدة ١٠ دقائق
أخرى » . الرياضي الذي ينشد الامتياز يعلم جيداً أنه لا يستطيع أن يسمح
لأى شيء أن يغير من مستوى اللياقة البدنية الذي حدده لنفسه . وهكذا يجب
أن يكون هناك تربية مستمرة في الحياة المسيحية . ستمر علينا لحظات نتمنى
فيها التوقف عن الصلاة وعن الاستمرار في الحياة المستقيمة الصالحة لكثرة
مشاقها ؛ ستمر علينا أوقات نود فيها أن نسلك جانب الحياة السهلة الجذابة ،
ونرعى ولو قليلاً هذه المقاييس التي نصبناها لأنفسنا . ولكن المسيحي
خاضع لتدريب ، وعليه أن يدرب نفسه أن لا يتراخي مطلقاً في السعي حثيثاً
نحو الغرض ، غرض تحقيق طهارة النفس وتقويتها .

٢ - الرياضي هو شخص يرعى القواعد . فخلف تربية الذات وقوانين
التدريب تأتي المسابقة وقواعدها . لا يستطيع الرياضي الفوز إلا إذا أدى
اللعبة . وهكذا المسيحي كثيراً ما يواجه التحدى من حوله . عليه أن يدافع
عن الدين ، عليه أن يقنع ويفهم ، عليه أن يناقش ويحاور ؛ عليه أن يدافع
عن موقفه ويهاجم مواقف الآخرين . وفي كل هذا عليه أن يطيع القواعد
المسيحية . فهما حمس وطيس النقاش ، على المسيحي أن لا ينسى أبداً قواعد

الذوق . ومهما كانت أهمية الانتصار في الجدل ، عليه أن لا ينحاز مطلقاً عن طريق الأمانة والصدق في تقييم موقفه وأن يكون عادلاً في تقييم موقف معارضة . إن الكراهية التي تنشب بين اللاهوتين صارت مثلاً على عمق الكراهية ، فليس هناك مرات كذلك التي تثيرها المنازعات الدينية . ولكن المسيحى الحقيقى يتعلم أن قانون الحياة المسيحية الأسمى هو المحبة ، وسيحمل هذه المحبة معه في أى مناقشة أو جدال يشترك فيه .

العامل الذى يشقى لأجل المسيح

٦ يَجِبُ أَنْ الْحَرَاثَ الَّذِي يَتَعَبُ يَشْتَرِكُ هُوَ أَوَّلًا فِي
الْأَثْمَارِ . ٧ افْهَمَ مَا أَقُولُ . فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا فِي كُلِّ
شَيْءٍ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٦٠

استعان بولس في وصفه للحياة المسيحية أولاً بصورة الجندي ، ثم بصورة
الرياضي ، والآن يستعمل صورة فلاح الأرض الذى يشقى ، وهو الذى ينال
النصيب الأول من ثمار الحصاد . لأن تعب وكفاحه سيعطيانه الحق أن يحصد
ويتمتع . ما هى إذا صفات الفلاح التى يود بولس أن يراها فى حياة المسيحى ؟

١ - يجب أن يكون الفلاح راضياً - أولاً بالعمل وثانياً بالانتظار . فالفلاح
- بخلاف جميع العمال والعاملين - هو من يعرف جيداً أنه لا يوجد شيء
اسمه نتائج سريعة . وهكذا المسيحى عليه أن يتعلم كيف يعمل وكيف ينتظر .
فغالباً ما يبذر بذار الكلمة الصالحة فى عقول وقلوب مستمعيه ولا يرى لها
نتائج فورية . والمعلم يبذل جهده فى التعليم ، ولكنه غالباً لا يرى فروقاً سريعة
فيمن يدرسون على يديه . والوالدان يشقيان فى تدريب وتوجيه أولادهما ،
ولكنهما لا يجدان تغييراً محسوساً فيهم ، فالنتيجة فى جميع هذه الأحوال
لا تظهر إلا بعد سنين ، غالباً عندما يبلغ هذا الشخص الصغير - الابن أو
الابنة - سن النضوج . حينئذ يواجه الواحد منهم باغراء لا يقاوم ، أو بقرار

رهيب ، أو بعمل لا يحتمل . هنا في هذه اللحظة الحرجة . تطفو على السطح من غياهب العقل الباطن ، كلمة إلهية ، أو مثالا حكيمًا ، أو جملة عميقة المعنى ويكون فيها الحد الفاصل بين الشرف والفساد ، بين الخلاص والهلاك . هذه هي اللحظة التي يأتي فيها تعليم السنين الماضية ، وجهاد الآباء والمدرسين والرعاة ، بثمارها الطيبة . إذا كان من يفلح الأرض قد تعلم كيف ينتظر في صبر ، فيجب أن يتعلم المعلم المسيحي والوالد المسيحي هذا الدرس .

٢ - وهناك خاصية أخرى لعمل الفلاح ، أن يكون مستعداً للعمل في أى ساعة . في وقت الحصاد يعمل الفلاح في الحقل حتى منتصف الليل ، طالما أن هناك بصيصاً من النور باق . لا يعرف الفلاح ساعات للعمل . وهكذا الحال مع المسيحي - فلا أحد يستطيع أن يجرده من مسيحيته لساعة أو ساعتين . والمشكلة في مسيحية فائضة أنها قصيرة العمر ، تفور ثم تهبط سريعاً . ولكن المسيحي الحقيقي يعمل من الفجر حتى الغسق في خدمة سيده .

هناك شيء واحد مشترك بين هذه الصور الثلاث هو الهدف . هدف الجندي النصر النهائي ، وهدف الرياضي نوال الجائزة ، وهدف الفلاح ثمار الحصاد . لهذا يخضع كل منهم نفسه للتربية المستمرة والتدريب الشاق لأجل المجد . وهكذا الأمر مع المسيحي ، لأن جهاده نحو غرض أو هدف سام . الوصول إلى مكان أفضل ، وبحق للمسيحي أن يثق في أن نهاية الجهاد في الحياة المسيحية فرح السماء ؛ وكلما ازداد الجهاد مشقة كلما كان الفرح أعظم .

ذكرى بالغة الأهمية

٨ أَذْكُرُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمَقَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ مِنْ نَسْلِ
دَاوُدَ بِحَسَبِ إِنْجِيلِي ٩ الَّذِي فِيهِ أَخْتَمِلُ الْمَشَقَّاتِ حَتَّى
الْقُبُورِ كَمُذْنِبٍ . لَكِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ لَا تُقَيَّدُ . ١٠ لِأَجْلِ ذَلِكَ
أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ لِكَيْ يَخْصُلُوا
هُمْ أَيْضاً عَلَى الْخَلَاصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مَعَ مَجْدٍ
أَبَدِيٍّ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٨ - ١٠

منذ بداية هذه الرسالة يحاول بولس حث تيموثاوس على العمل . ذكره
أولا بثقته الشخصية فيه ، وذكره ثانياً بعائلته الصالحة ، ثم أراه صور الجندي
المسيحي ، والرياضي المسيحي والعامل المسيحي . والآن يأتي إلى أعظم تذكيرة
على الإطلاق - تذكر يسوع المسيح . ويعلق فالكوزر على هذه الكلمات أنها :
« قلب رسالة بولس » . فانه حتى إذا فشلت كل هذه الذكريات الأخرى
في استثارة تيموثاوس ، فان ذكرى يسوع المسيح لا يمكن أن تفشل . وفيما يلي
نجد ثلاثة أمور بخصوص هذه الذكرى .

١ - تذكر يسوع المسيح المقام من الأموات . يستعمل بولس هنا ما يفيد
أن زمن حدوث الفعل لم ينته بعد بل مستمر إلى الدوام ، فهو لا يذكر
تيموثاوس بقيامة المسيح الفعلية ، بل بالأحرى يقول له « أذكر يسوع المقام

من الأموات دائماً ، والرب الحاضر معنا دائماً . هنا نجد الإلهام المسيحى العظيم . فنحن لا نرتكن إلى ذكرى ملهمة مهما كانت أهميتها ، ولكننا نتمتع بقوة حاضرة معنا . عندما يدعى مسيحى لمهمة كبرى ، مهمة يشعر إزاءها بالعجز ، فانه يتوجه لها متأكداً أنه ليس وحده ، بل أن معه قوة ربه المقام . وحضوره . عندما تهددنا المخاوف ، عندما تهاجمنا الشكوك ، لنذكر حضور الرب المقام .

٢ - تذكر يسوع المسيح المولود من نسل داود . هذا هو الجانب الآخر من السؤال . يقول بولس لتيموثاوس « تذكر إنسانية السيد » فنحن لا نتذكر واحداً من عالم الأرواح فقط ، بل نذكر واحداً سار هذا الطريق ، وعاش هذه الحياة ، وواجه هذه المشاق ، وهو لهذا يعرف ما نمر به . فحاضر معنا ، ليس فقط المسيح المجد ، بل المسيح الذى عرف معنى اليأس فى جهاد البشر ، والذى أطاع مشيئة الله حتى النهاية المريرة .

٣ - وأخيراً يقول بولس ، تذكر الإنجيل ، تذكر الأخبار الحسنة . حتى لو كانت مطالب الإنجيل ثقيلة ، حتى لو استدعت مجهوداً يفوق طاقة البشر ، حتى لو قادت إلى مستقبل مظلم تغشاه التهديدات من كل جانب ، تذكر أنه إنجيل ، أنه الأخبار الحسنة ؛ وتذكر أن العالم فى انتظار هذه الأخبار الحسنة . مهما كانت مشقة العمل الذى يتطلبه الإنجيل ، فان هذا الإنجيل نفسه هو رسالة الحرية من عبودية الخطية ، والانتصار على كل الظروف لنا ولجميع البشر .

هكذا يشعل بولس حمية تيموثاوس نحو البطولة بتذكيره بيسوع المسيح وبحضور الرب المقام معه دائماً ، وبتذكيره بتعاطفه مع ضعفائنا لأنه عاش

بشريتنا ويستديره بذكرى مجد الإنجيل لنفسه وللعالَم الذى لم يسمع به ولكنه
فى انتظاره .

كتب بولس هذه الكلمات من سجنه بروما وهو مقيد بالسلاسل ، ظل
مقيداً ليلاً ونهاراً إلى ذراع حارس روماني ، وكانت حريته فى التحرك محدودة
بطول السلسلة بينه وبين الحارس . والواضح أن روما كانت تتخذ كل حيلة
ضد هرب سجنائها .

سجن بولس كمجرم فان كان الشخص المسيحي العادي يعتبر مجرمًا فما
بالك بولس ؟ كانت هناك وسيلتان يمكن أن يبدو فيهما بولس مذنباً فى نظر
الحكومة الرومانية .

أولاً ، كانت الامبراطورية الرومانية تسيطر على العالم المعروف حينئذ ،
وبدبى أن امبراطورية شاسعة كهذه كانت معرضة للضغوط والمؤثرات .
لهذا كان من الواجب المحافظة على السلام وإزالة كل مراكز القفلة والثورة .
كانت روما شديدة التحفظ لإزاء الجمعيات الموجودة فيها وهى كثيرة فكان
هناك مثلاً نادى العشاء يجتمع فيه البعض على فترات محددة لتناول العشاء معاً .
وكان هناك أيضاً ما نستطيع أن نطلق عليه جمعيات الصداقة التى كانت ترتب
إحساناً لعائلات الأعضاء المتوفين . وكان هناك جمعيات الدفن ترتب لأعضائها
جنازة محترمة . ولكن السلطات الرومانية كانت شديدة الحرص لإزاء الجمعيات
لدرجة أن هذه المجتمعات المتواضعة المسألة كانت تحتاج لاستخراج تصاريح
خاصة من الامبراطور ليحل لها الانعقاد . والآن لنذكر أن المسيحيين كانوا
فى الحقيقة جمعية غير قانونية ، وهذا سبب كاف أن يجعل من موقف
بولس — رئيس هذه الجمعية — مذنب خطر يهدد الدولة كأى مذنب سيامى .

ثانياً ، كان هناك سبب آخر لاعتبار بولس مذنباً . ارتبط اضطهاد
المسيحيين الأول ارتباطاً وثيقاً بحريق روما الشهير في ١٩ يوليو سنة ٦٤
ميلادية . استمر الحريق ستة أيام وسبعة ليال وخرب المدينة تماماً . وهلك في
الحريق أقدس الأضرحة وأشهر المباني . ولكن أسوأ من هذا ، دمر الحريق
بيوت العامة فالغالبية العظمى من سكان روما كانت تعيش في مبان خشبية
اشتعلت بسرعة مذهلة . واحترق كثيرون أحياء ، وقتل كثيرون وجرح
وأصيب آلاف . ومن نجا تركه الحريق يتيماً لا يملك شيئاً . وتبقى من سكان
روما مجموعة يجمعها الشقاء واليأس . كان المعروف أن الامبراطور نيرون
هو المسئول عن الحريق . ويقال إنه راقب الحريق من برج وأعلن ابتهاجه
بروعة اللهب . ويقال أيضاً إن بعضاً من خدمه وأتباعه كان يعيد إشعال
النيران في الأماكن التي بدأت النار تنجو منها . كانت تملك نيرون عاطفة قوية
للبناء . ويقال أن حريقه العمدة للمدينة ثم يفرض استخدام الحطام في بناء روما
حديثاً قوية . ومهما يقال في صدق القصة من عدمه فإن جميع الدلائل تشير إلى
حلوها فعلاً هكذا ، ولن تتمكن من الوصول إلى سر الأمر أبداً . ولكن
شيئاً واحداً ظل مؤكداً — وهو وثوق مواطني روما الفقراء المشردين من
مسئولية نيرون في الحريق . ولا شيء يستطيع أن يقضى على صحة هذه الإشاعة
إلا أن تجد الحكومة كبش فداء تلقى عليه المسئولية واللوم . ووجد كبش
الفداء ، ولندع لتاسيتس ، المؤرخ الروماني ، وصف كيف تم ذلك : «ولكن
رغم كل الجهود البشرية ، ورغم عطايا الامبراطور السخية وفدية الآلهة
لم يطر هذا الاعتقاد الخيف وهو أن النار اشتعلت عمداً ، ولكي يقضى نيرون
على هذا الاعتقاد ، ألصق التهمة بطبقة مكروهة يدعوها الشعب مسيحيين
وأوقع عليهم أشد أنواع التعذيب » . (تاريخ تاسيتس ١٥ : ٤٤)

وقد أوعز بحملة السباب والشتائم ضد المسيحيين والتشهير بهم ولا شك أيضاً أن اليهود ذوى النفوذ كانوا خلف هذا الأمر . وهكذا تحمل المسيحيون المكروهون تهمة حريق روما الفظيع . ومن هذه الحادثة ، ومن هذه التهمة ، هبت أول عملية اضطهاد كبرى منظمة ضد المسيحيين . بولس مسيحي . بل هو زعيم المسيحيين ، وربما كان بعضاً من التهم الموجهة ضده أن أتباعه هم المسئولون عن حريق روما وما نتج عن ذلك من شقاء الشعب .

إذاً ، كان بولس في السجن كمجرم ، سجين سياسى ، عضو وزعيم جماعة غير قانونية ، وعضو تلك العصاةة المكروهة من مثيرى الحرائق ، والذين ألصق بهم نيرون تهمة دمار روما ، من السهل رؤية الموقف اليائس الذى كان يواجه بولس .

حر حتى فى قيود الحديد

رغم وجود بولس فى السجن بهم تجعل إطلاق سراحه أمراً مستحيلاً ، لم يكن بولس مبتئساً ، ولم يعرف اليأس طريقه إليه . فقد توارد إلى قلبه خاطران عظيمان وهباه القوة .

١ — كان واثقاً أنه رغم قيوده لا شيء يستطيع أن يقيد كلمة الله . كان أندرو ملفيل واحداً من أوائل المبشرين بالإصلاح فى اسكتلندا . ودعاه ذات يوم الوصى على العرش مورتون واتهم كتاباته علناً ، قائلاً « لن يكون هناك هدوء فى هذا البلد حتى يشنق ستة من أمثالك أو يطردون خارجها » . فأجابه ملفيل بهذا الكلام « لن تقلد أن تشنق أو تنفى الحق » . تستطيع أن تبعد إنساناً ولكنك لا تستطيع أن تنفى الحق . يمكنك أن تعتقل مبشراً ولكنك لن تستطيع أن

تعتقل الكلمة التي يبشرها . الرسالة دائماً أعظم من الرجل ، والحق دائماً أقوى من حامله . كان بولس واثقاً أنه في إمكان الحكومة الرومانية أن تأمر بحبسه ولكنها غير قادرة أن تحبس كلمة الله خلف كل قضبان السجون التي يمكن أن تحشد لها : وأن إحدى حقائق التاريخ الثابتة قوة كلمة الله القاهرة التي لا يستطيع أحد أن يقاومها . لو كان في إمكان الجهد البشرى أن يمحو المسيحية ، لكانت المسيحية قد هلكت منذ زمان طويل . ولكن الناس لا يستطيعون قتل ما هو خالد لا يموت ،

٢ - كان بولس واثقاً أن ما يجوز خلاله سيكون عوناً لآخرين في النهاية . إن عذابه لن يكون بلا معنى أو فائدة . مجرد معرفة الناس عن آلامه وتضحياته ستقود كثيرين إلى الإيمان . ودماء الشهداء هي بذار الكنيسة ، والنور الذي تصاعد من المحرقات التي مات فوقها المسيحيون صار الشعلة التي أشعلت ناراً لا تطفأ . عندما يتألم واحد لأجل مسيحيته ، دعه يتذكر أن آلامه اليوم تمهد الطريق لإنسان آخر يأتي بعده . في احتمالنا للألم نحمل نصيبنا الصغير من ثقل صليب المسيح ، ونقوم بأداء واجبنا الصغير في تقديم خلاص الله للناس .

ترنيمة الشهداء

١١ صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ
فَسَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ . ١٢ إِنْ كُنَّا نَضْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضاً
مَعَهُ . إِنْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ أَيْضاً سَيُنْكِرُنَا . ١٣ إِنْ كُنَّا غَيْرَ
أَمْنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِيناً لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يَنْكِرَ نَفْسَهُ .

٢ تيموثاوس ٢ : ١١ - ١٣

هذا الجزء ثمين للغاية لأن منه اقتبست إحدى الترانيم الأولى في الكنيسة
المسيحية . وضعت الكنيسة إيمانها في الترنيم أثناء فترات الاضطهاد التي مرت
بها . وربما كان هذا الجزء بعضاً من ترنيمة أطول . لأن بولي كارب (٢ : ٥)
يضيف إليها شيئاً عندما يكتب : « إذا أرضينا المسيح في العالم الحاضر ، ورثنا
العالم الذي سيأتي ، لأنه وعد أن يقيمنا من الأموات . . »

هناك تفسيران ممكنان للجملة الثانية — « إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا أَيْضاً
مَعَهُ » البعض يود اعتبار أن هذه الجملة تشير إلى المعمودية . في رومية ٦ ،
تشبه المعمودية بالموت ثم القيامة مع المسيح . « فدُفنا معه بالمعمودية للموت
حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة
الحياة » . « فان كنا قد متنا مع المسيح نوؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » . (رومية
٦ : ٤ ، ٨) . لا شك أن اللغة واحدة ، ولكن الإشارة للمعمودية لا تنطبق
على هذا الجزء ؛ لأن بولس كان يشير إلى موت الشهادة . قال لوثر ، في

إحدى جملة العظيمة : « الكنيسة وارثة الصليب » . يرث المسيحى صليب المسيح ، ولكنه يرث أيضاً قيامة المسيح . لأن المسيحى شريك للرب فى العار وفى المجد أيضاً .

وتستمر التريمة : « إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » . من احتمال حتى النهاية خلص . بدون الصليب لا يوجد الإكليل .

ثم يأتى الجانب الآخر للموضوع : « إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا » وهذا ما قاله يسوع نفسه : « فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات ، ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات » . (متى ١٠ : ٣٢ ، ٣٣) . لا يستطيع يسوع المسيح أن يتوسط فى الأبدية لرجل رفضه فى حياة الأرض ؛ ولكن يسوع المسيح صادق وأمين للرجل الذى حاول أن يكون أميناً معه ، مهما كانت سقطاته .

هذه الأمور صادقة لأنها تكون جزءاً من صميم طبيعة الله . يمكن لإنسان أن ينكر نفسه ولكن لا يمكن لله أن ينكر نفسه . « ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم » . (عدد ٢٣ : ١٩) . إنها حقيقة رائعة لحياتنا أن نعرف أن الله لا يمكن أن يخيب رجاء من حاول أن يظل أميناً معه ، ولكن بالنسبة للرجل الذى رفض أن تكون له بالله علاقة لا يمكن حتى الله نفسه أن يعينه .

وقديماً قال ترتوليان : « من خاف أن يتألم لا يحق أن ينتسب إليه هو الذى تألم » مات المسيح ليظل أميناً على مشيئة الله ؛ وعلى المسيحى أن ينبع هذه المشيئة نفسها ، سواء أشرقت الأنوار أم سقطت الظلال .

خطورة الكلام

١٤ فَكَّرْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ مُنَاشِدًا قُدَّامَ الرَّبِّ أَنْ لَا يَتَمَاحَكُوا
بِالْكَلَامِ . الْأَمْرُ غَيْرُ النَّافِعِ لِشَيْءٍ . لِيَهْذَمَ السَّامِعِينَ

٢ تيموثاوس ٢ : ١٤

يعود بولس هنا مرة أخرى إلى عدم كفاية الكلمات . لنذكر أن الرسائل
الرعوية كتبت ضد الغنوسيين الذين أدخلوا تصورات كثيرة ومباحثات
طويلة لا تنتهى ونظريات تمتلئ بالخرافات ، والذين حاولوا أن يجعلوا من
المسيحية فلسفة سرية بدلا من مغامرة في الإيمان .

هناك دائما جاذبية وخطورة في الكلمات . ويمكن للكلمات أن تصبح بديلا
للأعمال . فهناك بعض الناس يهتمون بالكلام عن الأشياء أكثر من اهتمامهم
بعمل هذه الأشياء . لو أمكن إنقاذ العالم بالكلام ، لكان قد أنقذ منذ زمان
طويل ؛ وإذا كان لمشاكل العالم حل بالمناقشات ، لكانت المشاكل قد
اختفت الآن .

كان الدكتور جونسون أحد كبار محدثي عصره وكل العصور ؛ أما جون
وسلى فكان أحد أعظم الرجال العاملين . كانا يعرفان بعضهما ، ولجونسون
شكوى واحدة ضد وسلى : « إن حديث جون وسلى جيد ، ولكنه لا يجد
فراغا مطلقا . فهو دائما مضطر أن يخرج في ساعة معينة . وهذا أمر غير
محبب إلى رجل يستلذ الجلوس وتبادل الحديث ، مثل ما أفعل » . ولكن

الحقيقة تبقى ، أن وسلي ، رجل العمل ، خلد اسمه في كل انجلترا بطريقة لم يستطع جونسون ، رجل الكلام ، أن يحصل على مثلها .

وليس حقيقياً أن الكلام والمناقشات يمكن أن تعطى حلولاً كاملة حتى للمشكلات العقلية والفكرية . وقد أبدى يسوع رأيه بوضوح في هذا القول : « إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم . . . » (يوحنا ٧ : ١٧) . غالباً يأتي الفهم من العمل لا من الكلام . وكثيراً ما يحدث أن أفضل طريقة لفهم المسيحية وأعماق معانيها هي أن تبدأ بتطبيق الواجبات الواضحة للحياة المسيحية .

لا زال هناك شيء باق جدير بالذكر . هناك أوقات تصبح فيها كثرة الكلام من الخطورة بـمكان . فالكلام الكثير والمناقشات الطويلة قد تؤدي إلى تأثيرين ضارين . أولاً ، ربما أثارت الاعتقاد بأن المسيحية ما هي إلا مجموعة من الأسئلة للمناقشة والمشاكل للحل . وحلقة المناقشة مظهر من مظاهر العصر وكما قال شسترون مرة : « لقد سألنا كل الأسئلة التي يمكن أن نسألها . والآن حان الوقت أن نبطل الأسئلة ونبدأ البحث عن الحلول » . في أي مجتمع يجب أن يوجد توازن بين حلقة المناقشة ومجموعة العمل .

ثانياً ، يمكن أن تكون المناقشة مثيرة ومشجعة لأولئك الذين يتقبلون المسيحية على المستوى العقلي ، أو الذين يملكون من المعرفة والثقافة ما يمكنهم من الاستمتاع بالمناقشة ، أو الطلبة الذين اعتادوا ذلك ، أو من لهم معرفة ورغبة في اللاهوت ، أما بالنسبة لشخص بسيط التفكير فإنه يجد نفسه وسط مجموعة تتقاذف بالمعضلات . وتلقى بالأسئلة العويصة التي لا جواب عليها . فان هذا لن يقوى إيمانه في شيء . بل ربما حدث العكس وخرج متشككاً مهموماً . وربما كان هذا ما عناه بولس بقوله أن المعارك الكلامية قد تؤدي

إلى هدم من يستمع لها . الكلمة المستعملة لتعنى بناء شخص فى الإيمان المسيحى هى نفسها التى تعنى حرفياً بناء بيت ؛ والكلمة التى يستعملها بولس لتعنى هدم شخص هى نفسها الكلمة التى تستعمل فى هدم بيت . وربما كانت المناقشة الذكية ، العميقة ، ذات التصورات والخيالات ، الجريئة فكرياً ، المحطمة إذا أخذت حرفياً ، ربما كانت هذه المناقشة ذاتها سبباً فى هدم لا بناء إيمان بسطاء الناس الذين يستمعون إليها . كما يحدث فى كل الأمور ، هناك وقت للكلام ووقت للسكوت .

طريق الحق وطريق الخطأ

١٥ أَجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلَّهِ مُزَكَّى عَامِلًا لَا يُخْزَى
مُفَصَّلًا كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالْإِسْتِقَامَةِ ١٦. وَأَمَّا الْأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ
الْدَّنِسَةُ فَاجْتَنِبْهَا لِأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَكْثَرِ فُجُورٍ ١٧.
وَكَلِمَتُهُمْ تَرَعَى كَأَكِلَةِ الَّذِينَ مِنْهُمْ هَيْمَيْنَايُسَ وَفِيلِيْتُسَ
١٨ أَلَلَّذَانِ زَاغَا عَنِ الْحَقِّ قَائِلِينَ إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ صَارَتْ
فَيَقْلِبَانِ إِيْمَانَ قَوْمٍ .

٢ تيموثاوس ٢ : ١٥ - ١٨

يبحث بولس تيموثاوس أن يقدم نفسه كمعلم صادق للإيمان وسط هذه
المجموعة من المعلمين الكذبة - والكلمة اليونانية التي استعمالها بولس لتعني
يقيم تفيد يقدم شخص نفسه للخدمة . وفيما يلي الكلمات والجمل التي تبرز
المعنى .

الكلمة اليونانية dokimos تعني ذلك الذي جاز الامتحان ، وهي تصف
ما قد تمت تجربته وتنقيته وأصبح لائقاً للاستعمال . فمثلا تصف الذهب أو
الفضة بعد تنقيتها وتنظيفها من كل العوائق بها بادخالها في النار . وهي الكلمة
المستعملة للمال الحقيقي ، أو كما يسمى Sterling . وتطلق أيضاً
على الحجر الذي تم تسويته واختباره وأصبح معداً لوضعه في مكانه في البناء .

أما الحجر الذى يوجد به عيب فتوضع عليه علامة A التى تبدأ بها الكلمة اليونانية adokimastor وهى تعنى اختبر ووجد ناقصاً . إذا كان على تيموثاوس أن ينق و يختبر حتى يصبح سلاحاً ماضياً فى عمل المسيح ، وعاملاً ليس هناك ما يدعو لخزيه .

ثم بحث تيموثاوس ، فى جملة شهيرة ، أن يفصل كلمة الحق بالاستقامة . والأصل يعنى حرفياً يقطع بأمانة ولها عدة صور ..

فكالفن يربط بينها وبين أب يقسم الطعام بين أفراد عائلته ، فيقطعه . بحيث ينال كل فرد فى العائلة نصيبه العادل الضرورى له . وربط بيزابينا وبين تقطيع ذبيحة الفداء إلى عدة أجزاء كل منها يناسب من ستعطى له . الهيكل أو الكاهن . واستعملها اليونانيون أنفسهم فى ثلاثة معان مختلفة : استعملت لتعنى شق طريق مستقيم ؛ واستعملت لتعنى حفر مجرى عبر حقل ؛ واستعملت لتعنى عمل البناء فى قطعه وتربيعة حجراً ما ليعده للملا فراغ مناسب فى هيكل البناء . هكذا الرجل الذى يقطع بأمانة . يستعمل بأمانة كلمة الحق ، ويشق طريقاً مستقيماً فى الحق ويرفض إغراء الطرق الملتوية المعسولة . وهو يحفر مجرى مستقيماً فى حقل الحق . ويأخذ كل قسم من أقسام الحق ، ويملا به مكانه الصحيح ، كما يفعل البناء بالحجر ، ولا يسمح لأى جزء أن يبرز أكثر مما يجب فلا يعتدى على مكان غيره أو يفوز بأهمية أكثر من الباقين ، مما يسقط عن بناء الحق كله التوازن الواجب .

وعلى الجانب الآخر ينشغل المعلم المزيف «بالأقوال الباطلة» . ويستعمل بولس هنا جملة نابضة ، الكلمة اليونانية للتقدم وهى تعنى حرفياً ينقطع إلى أسفل فى المقدمة ، أى يزيل العقبات من الطريق ليصبح التقدم السوى بدون معوقات ممكناً . ويقول بولس عن هؤلاء الثرثارين السفهاء إنهم يتقدمون

شيئاً فشيئاً في الدنس والفجور . فتقدمهم تقدم معكوس . كلما أكثرنا من الكلام كلما زاد ابتعادهم عن الله . هذا هو الاختبار إذا . هل نشعر في نهاية الحديث أننا أقرب لبعضنا البعض وأقرب إلى الله ؟ إذا فكل شيء حسن . ولكن إذا كنا في نهاية الحديث قد أقمنا حواجز بين بعضنا البعض . وزدنا بعداً عن الله وأصبحنا نرى الله مغلفاً في ضباب كثيف ، إذا فهناك شيء خطأ . القصد من كل مناقشة مسيحية وكل عمل مسيحي هو تقريب الشخص إلى الله .

القيامة المفقودة

بين هؤلاء المعلمين الكذبة ذكر بولس على الخصوص هيمينايس وفيليتس . نحن لا نعرف هذين الرجلين ، ولكننا نعرف في لحظة خاطفة عن تعليمهم على الأقل من وجهة واحدة . قالوا إن القيامة قد حدثت فعلاً . وهذا بالطبع لا يشير إلى قيامة يسوع ؛ بل إلى قيامة المسيحى بعد الموت . ونحن نعرف وجهتي نظر خاطئتين عن قيامة المسيحى – كان لهما تأثير كبير في الكنيسة الأولى .

١ – قيل إن قيامة المسيحى الحقيقية تتم أثناء المعمودية . ومن الحق أن بولس كتب بقوة في رومية ٦ عن كيفية موت المسيحى في لحظة عماده ثم قيامته إلى الحياة الجديدة . وهناك من علموا أن القيامة تتم في لحظة العماد ، وأنها قيامة إلى جدة الحياة في المسيح في اللحظة والتو ، وليس بعد الموت .

٢ – وكان هناك من علموا أن معنى القيامة الفردية لا يخرج عن أن

الشخص يعيش في أطفاله ، وأنه يجد بعثه في امتداد حياته في تسليته الدين
يأتون بعده ويحملون في ذواتهم حياته هو .

والمشكلة في كل هذا أن ذلك التعليم وجد أذنًا صاغياً عند أعضاء الكنيسة
من اليهود أو من اليونانيين . ففي الجانب اليهودي ، كان الفريسيون يؤمنون
بقيامة الجسد ، أما الصدوقيين فلا . وهكذا أي تعليم يستبعد فكرة الحياة بعد
الموت يجد قبولا عند الصدوقيين لأنه يناسب معتقداتهم . وحقيقة الأمر مع
الصدوقيين أنهم جميعاً كانوا من الأغنياء الأرستقراطيين ، ممن لهم مصالح
كبيرة ومتشعبة في هذا العالم للدرجة أبعدت أي اهتمام لديهم بأي عالم آخر .

أما بالنسبة للجانب اليوناني ، فالمشكلة أعسر . ففي أوائل أيام المسيحية
كان اليونانيون عموماً يؤمنون بالخلود ولكنهم لم يؤمنوا بقيامة الجسد . وكان
للرواقين أرقى المعتقدات ، وهي أن الله روح ناري ، أما نسمة الحياة في
الإنسان فهي شرارة من تلك الروح ، قبس من الإله نفسه ، إشعاع من
الرب . ولكنهم اعتقدوا أنه عندما يموت الشخص تعود هذه الإشعاع إلى الله
وتمتص فيه . وهذا اعتقاد نبيل ولكنه ينفي نفيًا قاطعاً الحياة الشخصية بعد
الموت . وبالإضافة إلى ما سبق ، كان اليونانيون يؤمنون أن الجسد كله
شرير ، كان آخر شيء يرغبونه أو يؤمنون به هو قيامة الجسد ؛ لهذا كان
ترحيبهم بأي تعليم عن القيامة يناسب معتقداتهم .

ومن الواضح أن المسيحي لا يؤمن بقيامة هذا الجسد . فلا يستطيع أحد
أن يتصور شخصاً مات مهشماً في حادثة أو بعد أن أهلكه السرطان أن يبعث
هذا الشخص حياً في السماء في نفس الجسد ؛ ولكن المسيحي يؤمن بجماع قلبه
في دوام الذات الشخصية ، يؤمن بكل قوة أنه بعد الموت ستظل أنت هو

أنت وسأظل أنا هو أنا . وكل تعليم يزِيل هذا اليقين في البقاء الشخصي لكل إنسان فرد إنما يوجه لطمة إلى صميم الإيمان المسيحي .

عندما علم هيمينايس وفيليتس ومن شا كلهم أن القيامة قد حدثت فعلا ، سواء أثناء المعمودية أو في أطفال الشخص ، كانوا يقدمون شيئا لا يمكن أن يرفضه اليهود الصدوقيون أو اليونانيون الفلاسفة ، ولكنهم كانوا يعلمون شيئا ينخر في أحد المعتقدات الرئيسية التي تتوسط الإيمان المسيحي .

الأساس الراسخ

١٩ وَلَكِنَّ أَسَاسَ اللَّهِ الرَّاسِخَ قَدْ ثَبَتَ إِذْ لَهُ هَذَا الْخَتْمُ
يَعْلَمُ الرَّبُّ الَّذِينَ هُمْ لَهُ . وَلَيَتَجَنَّبِ الْإِثْمَ كُلُّ مَنْ
يُسَمَّى اسْمَ الْمَسِيحِ .

٢ تيموثاوس ٢ : ١٩

تستعمل كلمة أساس في الإنجليزية في معنيين ، أولهما القاعدة التي يشيد عليها البناء ، وثانيهما منشأة كجمعية أو كلية أو مدينة أسسها شخص معين . لذلك نقول أساس البيت ، ونقول أيضاً أن كلية الملك بكمبريدج منشأة هنري السادس . واستعمل اليونانيون الكلمة في نفس المعنيين ، وأساس الله هنا يعنى الكنيسة . فالكنيسة هي الجمعية أو المؤسسة التي أسسها الله ؛ الكنيسة هي منشأة الله .

ويعمى بولس فيقول إن الكنيسة عليها كتابة معينة محفورة عليها . ومعناها المعتاد ختم . وهو الختم الذى يثبت الأصالة أو الملكية . الختم الموجود على البضائع يثبت أن المحتويات أصلية لم يعبث بها أحد ؛ وكذلك يوضح الملكية ومصدر البضائع . ولكن الكلمة لها استعمالات أخرى مثل استعمالها لتعنى (الماركة) أو ما نطلق عليه العلامة التجارية ويذكر الطبيب اليونانى « جالن » الكلمة لتدل على مكحلة ، ويعنى ماركة الكحل بداخلها . وقد تعنى الكلمة علامة المهندس المعمارى على المبنى — وهى العلامة التي يتركها المعمارى على

البناء الذى يقيمه ، سواء أكان هذا رمزاً تذكاريّاً أو تمثالاً أو بناء ، ليعلن مسئوليته عن تصميم البناء وتشيّده كما يمكن أن تعنى الكتابة التى تبين الغرض الذى شيد البناء لأجله .

والكنيسة . ختم . أو نقش ، يبين ماهيتها ولماذا شيدت . ويذكر بولس هذا الختم على الكنيسة فى اقتباسين يلقىان الضوء على كيفية استعمال الكتابات المقدسة بين مبشرى ومفكرى الكنيسة الأولى . والاقتباسان هما : « يعلم الرب الذين هم له » . « ليتجنب الائم كل من يتسمى باسم الرب » . والطريف أن كلا من الجملتين ليس اقتباساً دقيقاً من الكتاب . فالأقتباس الأول « يعلم الرب الذين هم له » فيه تذكّار قول موسى لقورح وجماعة الذين ثاروا عليه « غداً يعلن الرب من هو له » (عدد ١٦ : ٥) وقد ألقى يسوع ضوءاً على هذا المعنى فى متى ٧ : ٢٢ « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تفتأنا ؟ وباسمك أخرجنا شياطين ؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ » فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط : اذهبوا عني يا فاعلى الائم . من هذا نرى أن نص العهد القديم قد أعيدت صياغته فى قول المسيح . أما الجملة الثانية « ليتجنب الائم كل من تسمى باسم الرب » . ففيها تذكّرة أخرى لقصة قورح : « اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة . ولا تمسوا شيئاً مما لهم » (عدد ١٦ : ٢٦) . ولكن هذا النص القديم يرد فى قول يسوع فى لوقا ١٣ : ٢٧ حيث يخاطب يسوع أولئك الذين يعلنون كذباً أنهم أتباعه : « تباعدوا عني يا جميع فاعلى الائم » . واللطيف فى الموضوع : أن كتاب العهد الجديد يقرأون العهد القديم فى ضوء العهد الجديد ، وخاصة فى ضوء أقوال يسوع : وثانيهما عدم تمسكهم باللفظ أو الحرف ؛ ولكنهم عالجوا أى مشكلة فى روح الكتاب كله . ولا يزال هذان المبدآن ممتازان ، يستوجبان التطبيق فى قراءتنا واستعمالنا للكتاب المقدس .

يوضح لنا النصان مبدئين عريضين عن الكنيسة :

النص الأول يخبرنا أن الكنيسة تتكون من أولئك الذين ينتمون إلى الله ، هؤلاء الذين سلموا حياتهم لله بحيث لم يعد لهم حكم عليها ، كما أنه ليس للعالم عليهم سلطان ، بل هم ملك لله . الكنيسة مجتمع هؤلاء الذين أعطوا حياتهم لله ليفعل بها ما يشاء .

النص الثاني يخبرنا أن الكنيسة تتكون من أولئك الذين تجنبوا الاثم . ليس معنى هذا أن الكنيسة لا تشمل إلا على الكاملين من الناس . فلو كان هذا حقيقة ، لما كانت هناك كنيسة . قيل إن اهتمام الله الأعظم ليس منصباً على أين وصل الشخص بل على الاتجاه الذي يتخذه . والكنيسة مجتمع أولئك الذين أداروا وجوههم نحو القداسة والبر . كثيراً ما يفشلون وكثيراً ما يسقطون ، وأحياناً يبدو الهدف بعيداً إلى درجة اليأس والقنوط ، ولكن وجوههم دائماً أبداً تنظر الهدف ورغباتهم دائماً أبداً نحو البر .

تشمل الكنيسة أولئك الذين ينتمون إلى الله وأولئك الذين كرسوا نفوسهم لمعركة البر .

أوان للشرف وأخرى للهوان

٢٠ وَلَكِنْ فِي بَيْتٍ كَبِيرٍ لَيْسَ أُنْيَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ
فَقَطْ بَلْ مِنْ خَشَبٍ وَخَزَفٍ أَيْضاً وَتِلْكَ لِلْكَرَامَةِ وَهَذِهِ
لِلْهُوَانِ ٢١. فَإِنْ طَهَّرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ مِنْ هَذِهِ يَكُونُ إِنَاءً
لِلْكَرَامَةِ مُقَدَّساً نَافِعاً لِلسَّيِّدِ مُسْتَعِداً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٢٠ ، ٢١

هناك ارتباط عملي وثيق بين هذا الجزء والجزء الذى سبقه ، حيث عرف بولس الكنيسة تعريفاً رائعاً . الكنيسة تشتمل على من ينتمون إلى الله وأولئك الذين فى طريق البر . وأول رد يتبادر إلى الذهن : إذا كان هذا حقيقياً ، فكيف يمكن تفسير وجود هؤلاء الهراطقة المتقولين فى داخل الكنيسة ؟ كيف يمكن تفسير وجود هيمينائيس وفيليتس فى الكنيسة ؟ وجواب بولس هو أنه فى كل بيت كبير توجد جميع أنواع الأواني والأدوات المنزلية ؛ هناك أشياء من معدن ثمين وأشياء أخرى من معدن رخيص ، هناك أشياء للاستعمالات الحفيرة وأشياء للاستعمالات الكريمة . هناك أشياء من كل نوع ؛ وهكذا الحال فى الكنيسة . طالما كانت الكنيسة مؤسسة أرضية ستظل دائماً مكونة من خليط . طالما أن الكنيسة مجتمع من الرجال والنساء ستحتفظ بصفتها قطاع صادق من البشرية . تماماً كما أن العالم يشتمل على كل أنواع الناس ، هكذا تشتمل الكنيسة على كل أنواع الناس .

هذه حقيقة عملية أعلنها يسوع من قبل . . ذكرها في مثل الحنطة والزوان (متى ١٣ : ٢٤ - ٣٠ ، ٣٦ - ٤٣) . ومركز الثقل في المثل أن الحنطة والزوان ينموان معاً ، وأنه في المراحل الأولى تتشابه الحنطة والزوان لدرجة استحالة التفرقة بينهما وبهذا لا يمكن تقليع الزوان بدون تقليع الحنطة . ذكر يسوع هذه الحقيقة أيضاً في مثل الشبكة المطروحة في البحر (متى ١٣ : ٤٧ . ٤٨) . الشبكة تجمع سمكاً من كل نوع . في كلا المثلين يعلمنا يسوع أن الكنيسة بالضرورة خليط ، وأن الحكم البشري عليها يجب أن يوقف . ولكن دينونة الله في النهاية مؤكدة ، والتفرقة ستتم أيضاً في النهاية .

هؤلاء الذين ينتقدون الكنيسة لأن فيها أشخاصاً ناقصين غير كاملين ، إنما ينتقدون الكنيسة لأنها مكونة من رجال ونساء . لم يعط لنا أن ندين . لأن الدينونة لله .

ولكن واجب المسيحي أن يحتفظ بنفسه حراً من كل تأثيرات شريرة . وإذا فعل ذلك ، ما هي مكافأته ؟ مكافأته أخذه للخدمة . مكافأته ليست تكريماً خاصاً ، أو امتيازاً خاصاً ، أو ترقية خاصة . بل خدمة خاصة .

هنا نصادف روح الإيمان المسيحي . الإنسان الصالح حقيقة لا يعتبر صلاحه سبباً في حصوله على تكريم خاص أو احترام خاص ؛ صلاحه لا يعطيه الحق أن يتعالى على غيره لو كان صالحاً ، تكون رغبته الوحيدة أن يكون لديه عمل أكثر ليقوم به ؛ لأن عمله هو امتيازاه العظيم . إذا كان صالحاً فإن آخر شيء يعمل به هو أن يعتزل من حوله ويتعالى عليهم ، بل على العكس تماماً ، سيحاول دائماً أن يكون بينهم ، في أسوأ أحوالهم ، خادماً لله في خدمتهم . ومجده لن يكون في إعفائه من الخدمة ؛ بل في نخده لله تتطلب مجهوداً أعظم وتضحية أكبر . لن يليق بالمسيحي أن يعتبر نفسه جديراً بالتكريم بل بالأحرى لاثقاً للخدمة .

نصيحة تسدى إلى القائد المسيحى

٢٢ أما الشهواتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا وَاتَّبِعِ الْبِرَّ
وَالْإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلَامَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ
قَلْبٍ نَقِيٍّ ٢٣. وَالْمُبَاحَثَاتُ الْغَيْبِيَّةُ وَالسَّخِيفَةُ أَجْثَنُهَا
عَالِمًا أَنَّهَا تُولِّدُ خُصُومَاتٍ ٢٤. وَعَبْدُ الرَّبِّ لَا يَجِبُ أَنْ
يُخَاصِمَ بَلْ يَكُونَ مُتَرْفِّقًا بِالْجَمِيعِ صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ
صَبُورًا عَلَى الْمُسَقَّاتِ ٢٥ مُوَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ عَسَى
أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ٢٦ فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فَخِّ
إِبْلِيسَ إِذْ قَدْ آقَتَنَصَّهُمْ لِإِرَادَتِهِ .

٢ تيموثاوس ٢ : ٢٢ - ٢٦

هنا جزء عملى للغاية للقائد والمعلم المسيحى .

يجب أن يهرب من الشهوات الشبابة . وقد أبدى كثير من المعلقين عدة
آراء بشأن ماهية هذه الشهوات . وهى آراء تبعد المعنى عن شهوات الجسد .

فهى تشمل مثلاً التسرع فتصور الشاب الذى لم يتعلم بعد كيف يتمهل ،
والذى ما زال أمامه أن يكتشف أن شدة الاستعجال ربما أضرت بدلاً من أن
تفيد ، وتشمل الثقة الزائدة بالنفس ، التى لا تحتل معارضة آرائها ، وتشمل

فى الكبرياء التى لم تتعلم بعد كيف تتعاطف مع الآخرين وترى الجيد فى آراء الغير وتشمل محبة المعارضة والجدال التى تميل إلى كثرة النقاش وقلة الفعل ، التى تتسلى بالألاعيب العقلية ، والتى تصرف الوقت كله فيما لا طائل تحته وتختلف ورائها أكواماً من المشاكل التى لم تحل ؛ وتشمل شهوة الجديد ، التى تنجبه إلى إلقاء كل ما هو قديم لأنه قديم فقط ، وتشهى كل ما هو جديد لمجرد كونه جديداً ، التى تستخف بقيمة الخبرة ، وتدفع كل معتقدات الجيل السابق بأنه لا محل لها فى الحاضر . هنالك شىء واحد يستدعى الملاحظة — أخطاء الشباب هى أخطاء المثالية . فقلة الخبرة ، والحدائث ، وروح الاندفاع هى التى تدفع الشباب إلى هذه الأخطاء . مثل هذه الأخطاء لا تستوجب الإدانة بل الإصلاح برفق وتفهم ، لأن كل واحد منها خطأ يخفى فى ثناياه فضيلة ما .

يستهدف المعلم والقائد المسيحى البر ، أى إعطاء كل ذى حق حقه فالله يأخذ حقه والناس يأخذون حقهم .

الإيمان أى الولاء والوفاء بالوعد وهاتان الصفتان تنبعان من الثقة فى الله ؛ من المحبة ، وهى التصميم الكامل عمل كل ما فيه الخير الكامل لكل رفقاء البشرية ، مهما كان نوع المعاملة التى يعاملوننا بها ؛ ومحو كل إحساس بالمرارة وكل رغبة فى الانتقام ؛ من السلام ، وهى علاقة المحبة السليمة مع الله ومع الناس . كل هذه الأمور تتم فى راحة أولئك الذين يدعون الرب . لأنه لا ينبغى للمسيحى أن يعيش وحيداً ، منعزلاً عن زملائه من الناس . بل يجد قوته وفرحه وتعظيمه فى الزمالة المسيحية . وكما قال جون وسلى : « يجب أن يكون للشخص أصدقاء أو يخلق أصدقاء ؛ لأن السماء لا يدخلها الشخص وحيداً » .

وعلى المسيحى أن يتجنب الاشتباك فى خصومات لا معنى لها ، بل أن مثل هذه المهارات هى سبب كل النكبات التى أحقت بالكنيسة . ومصيبة الكنيسة فى العصر الحاضر أن معظم المناقشات المسيحية مزدوجة التفاهة ، لأنها نادراً ما تتناول الأمور الهامة فى الحياة والعقيدة والإيمان ، ولكنها غالباً ما تدور حول التفاهة من الأمور كأسعار المأكولات والملابس وما شابه . ومتى ما اشتبك قائد فى خصومة تافهة غير مسيحية مثل هذه يكون قد أضاع كل حق فى القيادة .

وعلى القائد المسيحى أن يكون مترقياً بالجميع ؛ حتى إذا نحم الأمر أن ينقد تصرفاً ما أو يشير إلى خطأ معين ، يجب أن يتم ذلك برفق دون ألم . ويجب أن يكون صالحاً للتعليم ؛ فلا يكتفى فقط معرفة الحق ، بل يجب أن يكون قادراً على تعليم هذا الحق ؛ لا بمجرد الكلام عنه ، بل أن يكون فى حياته ومعيشته قدوة تظهر يسوع للناس ثم يجب أن يكون حليماً صبوراً على المشقات ؛ مثله مثل سيده ، إذا أهين لا يرد الإهانة ؛ وإذا احتقر وجرح وضرب فليقبل لأن يسوع قبل ذلك . ربما توجد خطايا أكبر من سرعة الغضب وحدة الطبع ، ولكن لا يوجد أكثر منها إضراراً بالكنيسة المسيحية . عليه أن يؤدب بالوداعة مقاوميه ، فتصبح يده كيد الجراح تتلمس موطن الداء دون خطأ ، ولا تحدث ألماً لا داع له . أن يذيب برودة المعارضة بدفء المحبة . فى قيادته للناس نحو التسليم للحق يكون سلاحه المحبة لا التعنيف .

الجملة الأخيرة فى هذا الجزء شديدة التعقيد فى اليونانية ، ولكنها تفيد أن هناك رجاء أن الله سيوقظ التوبة والرغبة فى الحق فى قلوب الناس حتى يمكن إنقاذ من سقطوا فى فخ الشيطان بينما هم بعد أحياء ، وإعادتهم إلى إطاعة مشيئة الله ، بعمل خادم الله . الله هو الذى يوقظ روح التوبة ؛ والقائد المسيحى هو الذى يفتح باب الكنيسة للقلب التائب .

الأصْحاحُ الثَّالِثُ أَوْقَاتُ رَهِيْبَةٍ

١ وَلَكِنْ أَعْلَمَ هَذَا أَنَّهُ فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ سَتَأْتِي
أَزْمَنَةٌ صَعْبَةٌ .

٢ تيموثاوس ٣ : ١

عاشت الكنيسة الأولى في عصر تباطأ فيه الزمن بل تعطل . لأنهم توقعوا «المجيء الثاني» في أية لحظة . لنذكر أن المسيحية قد نشأت في اليهودية ، وكان من الطبيعي أن يكون تفكيرها متطبعاً بالآراء والصور اليهودية . فكرة واحدة أساسية كانت تسيطر على الفكر اليهودي . بالنسبة لليهود ينقسم الزمان إلى العصر الحاضر وكله شر ، والعصر الآتي وهو عصر الله الذهبي ، وبين العصرين يأتي يوم الرب . وهو يوم يتدخل فيه الله شخصياً ليزعزع أركان العالم حتى يعيد بناءه من جديد . يسبق يوم الرب وقت رهيب ؛ وقت تتجمع فيه قوى الشر لمعركة أخيرة ؛ وقت تنزل فيه أركان العالم الطبيعية والأخلاقية وما يفكر فيه بولس أثناء كتابة هذه الجملة هو تلك الصورة الرهيبة لهذه الأزمنة الأخيرة .

يقول إنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة . وفي اليونانية لها استعمالات أخرى تشرح معناها هنا . فهي تستعمل في متى ٨ : ٢٨ لتصف المجنونين من كورة الجرجسين الخارجين من القبور لاستقبال يسوع في هياج وخطورة شديدة . وتستعمل في بلوتارك لتصف الجرح المتقيح . واستعملها قديماً

الكتاب في علم النجوم لوصف تجمعات نجمية تنبئ بأحداث رهيبة . الكلمة إذا تعنى إلى جانب معناها العادى ، ما يفيد الخطر ، والتهديد بأحداث مرعبة . في الأيام الأخيرة ستأتى أيام خطيرة تهدد بالقضاء على الكنيسة المسيحية وعلى الخير نفسه ؛ سيأتى هجوم عنيف أخير لقوى الشر قبل اندحارها النهائى .

وفي التصورات اليهودية لهذه الأيام الرهيبة نجد نفس الصورة المرسومة هنا . سيأتى زمن تزدهر فيه قوات الهلاك ، وتزعزع فيه أساسات الأخلاق . وفي أحد كتب الأبوكريفا فيما بين العهدين القاييم والجديد ، نجد صورة مثل هذه :

« اعلموا ، لماذا ، يا أبنائى ، إنه في الأزمنة الأخيرة

سيلقى أبنائكم بالإخلاص جانباً .

وسيشغفون بشهوات لا ترتوى .

ضاربين بالبراءة صفحاً ، متلبسين بالشر الحقود

غافلين عن وصايا الرب

ملتصقين بأبواب الكذب

تاركين الفلاحة ، متبعين أعمالهم الشريرة .

سيتفرقون في الأمم ، ويقومون بخدمة أعدائهم » .

وفي سفر باروخ نجد صورة أكثر حيوية في وصف الفوضى الأخلاقية في هذه الأيام الأخيرة .

« سيصبح الشرف عاراً ، والقوة محتقرة ،

سيقضى على الإخلاص والصدق ، أما الجمال فيصير قبحاً . . .

سينمو الجسد فيمن لم يعتبروا أنفسهم شيئاً

وتغلب المشاعر الحادة من كان مسالماً .
وسيجلى الغضب في كثيرين ليجلبوا الأذى إلى آخرين
فيثرون جيوشاً لسفك الدماء
وفي النهاية يهلكون معهم .

في هذه الصورة التي رسمها بولس هنا يفكر في صور معروفة عند
اليهود . وإذا كان لنا أن نستعمل تشبيهاً معاصراً ، سيحدث صراع نهائي مع
قوات الشر . أو كما يصفها أ. ك. سمبسون « سيزداد العالم عالمية » أو كما
نقول أحياناً كثيرة ، لا بد أن تزداد الأمور سوءاً قبل أن تتحسن .

وفي أيامنا الحالية ، علينا أن نعيد صياغة هذه الصور العتيقة في لغة
العصر . لم يكن القصد منها إلا إعطاء صورة وروثيا ، ونشن نظم الفكر
اليهودي والمسيحي الأول إذا أخذنا هذه الأقوال حرفياً . ولكنها تخلد هذه
الحقيقة ، أنه يوماً ما ستأتي النهاية ، عندما يتقابل الشر مع الله في اصطدام
مباشر ، عندما يأتي الانتصار الذي لله ، الذي سيسبق اليوم الذي ستصبح
فيه ممالك الأرض ملكوت الله .

الصفات الدنسة

٢ لِأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لَأَنْفُسِهِمْ مُحِبِّينَ
لِلْمَالِ مُتَعَظِّمِينَ مُسْتَكْبِرِينَ مُجَدِّفِينَ غَيْرَ طَائِعِينَ
لِوَالِدِيهِمْ غَيْرَ شَاكِرِينَ دَنِسِينَ ٣ بِلَا حُنُوٍّ بِلَا رِضَى
ثَالِبِينَ عَدِيَمِي النَّزَاهَةِ شَرِسِينَ غَيْرَ مُحِبِّينَ لِلصَّلَاحِ
خَائِنِينَ مُقْتَحِمِينَ مُتَصَلِّفِينَ مُحِبِّينَ لِلذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةِ
لِلَّهِ هَلَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى وَلَكِنَّهُمْ مُنْكَرُونَ قُوَّتَهَا . فَأَعْرِضْ
عَنْ هَؤُلَاءِ

٢ تيموثاوس ٣ : ٢ - ٥

نجد هنا صورة رهيبة لما يمكن أن يكون عليه عالم دنس . صفات الدنس
تتبع بعضها البعض في تسلسل مروع . لنفحصها صفة بعد صفة .

ليس من قبيل الصدف أن تكون الصفة الأولى في التسلسل هي محبة النفس
والكلمة اليونانية المستعملة تعني محب للذات . محبة الذات هي الخطية الأساسية
ومنها تنبع كل الخطايا الأخرى . في اللحظة التي تصبح فيها الإرادة الشخصية
والرغبات الشخصية مركز التفكير في حياة الشخص ، في هذه اللحظة
بالذات تتفكك كل الروابط المقدسة والبشرية . متى ما أقام الإنسان من
نفسه إلهاً على ذاته ، تصبح الطاعة لله والإحسان نحو الناس مستحيلة . لو

كانت الذات مركز الحياة ، لم يعد ليسوع مكاناً في الحياة . وروح المسيحية ليست في تنويع الذات بل في محوها . كل الخطايا تبدأ بمحبة النفس .

يصبح الناس محبين للمال . جدير بالذكر أن خدمة تيموثاوس كانت في أفسس ، وربما كانت أفسس أعظم سوق في العالم القديم نتيجة لموقعها عند مصب نهر ، وكانت الأنهار الوسيلة الرئيسية في نقل التجارة . كانت أفسس تسيطر على أغنى تجارة في كل آسيا الصغرى . وفي أفسس تلاقت أعظم الطرق ، فكان هناك طريق التجارة العظيم الممتد من وادي نهر الفرات ماراً بكولوسى ولاودكيا آتياً بكنوز الشرق ليلقى بها في أفسس . وكان هناك الطريق الممتد من شمال آسيا الصغرى . ماراً بغلاطية وسارديس . وكان هناك الطريق الممتد من الجنوب الذى ركز تجارة الوادى في أفسس . لهذا دعيت أفسس « خزانة العالم القديم » ، أو « معرض آسيا الصغرى للكماليات » وقد قيل إن يوحنا عندما كتب الرؤيا كان يفكر في أفسس عندما جاء إلى هذا الجزء الذى لا ينسى في وصف تجارة الناس : « بضائع من الذهب والفضة والحجر الكريم واللؤلؤ والبز والأرجوان والحرير والقرمز وكل عود ثينى وكل إناء من العاج وكل إناء من أثمن الخشب والنحاس والحديد والمرمر ؛ وقرفة وبخور وطيب ولبان وخمر وزيت وسميز وحنطة وبهائم وغنائم وخيلا ومركبات وأجساد ونفوس الناس » (رؤيا ١٨ : ١٢ ، ١٣) . كانت أفسس مدينة ناجحة في الأمور العالمية ، والمدنية المادية ؛ الصفات التى يمكن أن يفقد فيها الإنسان نفسه بسهولة ، وهذا هو مصدر الخطورة ، خطورة تقييم الثراء بمقدار ما تملك من الماديات ، خطورة قياس المدنية بمقدار ما يتبادل من المال والبضائع فيها . ولندكر دائماً أنه من الأيسر أن يفقد الإنسان نفسه في وقت اليسر عن وقت العسر ؛ وأنه في طريقه نحو الضياع إذا بدأ تقييم الحياة بمقدار ما يملكه من أشياء .

صفات الدنس

في هذه الأيام الصعبة يصبح الناس متعظمين مستكبرين .

في الكتابات اليونانية تتزامن هاتين الكلمتين معاً ، وفي كليهما نجد تصويراً صادقاً لما تعنيه كل منهما .

متعظم تأتي من كلمة متجول حول . في الأصل كانت تعني طبيباً مزيفاً متجولاً . واستعمل بلوتارك نفس الكلمة لوصف طبيب مزيف . وهو ذلك المهرج الذي يتجول في البلاد مدعياً الطب ممارساً أنواع علاج مختلفة وطرق استخراج الشياطين لكل أنواع الأمراض . وما زلنا نرى أمثال هؤلاء المشعوذين في المعارض والأسواق ، يصرخون على بضاعتهم من أدوية مبتكرة سحرية ، ومساحيق تعيد الشباب و . . . ثم اتسع استعمال الكلمة فأصبحت تعني أي متفاخر أو متعظم . وقد كتب أساتذة الأخلاقيات اليونانيون كثيراً عن هذه الكلمة . وهذا تعريف : « هو ادعاء أشياء حسنة لا يملكها الشخص » وعرف أرسطو المتعظم أنه « الشخص الذي يتظاهر بصفات حميدة لا يملكها أو يملك القليل عما يدعى » . أما تعريف كورس ملك الفرس فينطبق على هؤلاء الذين يتظاهرون بأنهم أغني مما هم حقيقة ، أو أشجع مما هم حقيقة ، كما تنطبق على أولئك الذين يعدون بما لا يستطيعون الإيفاء به ، وأنهم إنما يفعلون ذلك للحصول على شيء ما أو كسب معين . ذكر سقراط أن المدعين موجودون في كل طرق الحياة ، ولكن أسوأهم جميعاً في السياسة . « أكبر هؤلاء النصابين جميعاً هو من احتال على مدينته حتى وثقت أن تسلمه قيادتها له والعالم مليء بمثل هؤلاء المحتالين حتى يومنا هذا ؛ هؤلاء الأذكياء الذين يعرفون كل شيء ويخدعون الناس فيعتقدون

أنهم حكماء ؛ هؤلاء الساسة الذين يدعون بأن لدى أحزابهم برامج تأتي بالحكم المثالي ، وأنهم وحدهم القادرون أن يصيروا قادة للناس ؛ وكل هؤلاء الناس الذين يزعمون الإعلانات بادعاءاتهم أن في استطاعتهم أن يأتوا بالجمال ، أو بالمعرفة أو بالصحة لكل من يرغب ؛ وأعضاء الكنيسة الذين يتظاهرون بالخير وكلهم نفاق والمشكلة أنه في كل مجتمع سيظهر أمثال هؤلاء الدجالين ورغبتهم الوحيدة الحصول على أعلى المراكز بين زملائهم سواء كان هذا بوسيلة عادلة أو شريرة .

وأشوأ من المتعظيم المحتال المستكبر المغرور وهو الذى يكن احتقاراً لكل شخص آخر فيما عدا نفسه . هو الشخص المتهم بخطية القلب المتكبر . هو الشخص الذى يقاومه الله ، لأنه مكتوب مراراً في الكتاب « يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطهم نعمة (يعقوب ٤ : ٦ ؛ ١ بطرس ٥ : ٥ ؛ أمثال ٣ : ٢٤) » . والكبرياء قلعة الشرور ، أوقدة الشر .

الفرق بين المتعظيم والمستكبر هو أن المتعظيم مخلوق متفاخر منتفخ الأوداج ، يصرخ بادعاءاته إلى أركان السماء الأربع ، ويحاول أن يشق طريقه بالقوة والتفاخر نحو مراكز القوة والسلطان . لا أحد يستطيع أن يخطئه أو لا يرى مقصده . ولكن المستكبر يخفى خطيته في قلبه . لدرجة أنه ربما بدا متواضعاً مسالماً لا يؤذى ؛ ولكن هناك في ثنايا قلبه الخفية يضم احتقاراً للجميع . ويغذى غروراً بالغاً يأكل ويحرق كل ما في طريقه . في قلبه مذبح صغير يتعبد فيه لنفسه ، وفي عينيه نظرة صامته ترمق الجميع باحتقار .

صفات الدنس

- النتيجة الحتمية لهاتين الصفتين المتلازميتين التعظيم والتكبر هو حب الإهانة ، هذه هي الكلمة التي تترجم إلى تجديف وتعنى عادة إهانة موجهة ضد الله ؛ ولكنها في اليونانية تعنى إهانة ضد الإنسان أو ضد الله على حد سواء . وتتمخض الكبرياء دائماً عن الإهانة التي تلد عصياناً وإهمالاً نحو الله ، نابغاً من تلك الكبرياء التي تشعر بعدم الحاجة لله . وتظن أنها تعلم أفضل منه . وتنتج الكبرياء احتقاراً للناس ، احتقاراً ربما تسبب في أفعال ضارة وألفاظ جارحة . وقد خصص معلمو اليهود مكاناً عالياً لخطية الإهانة في قائمة الخطايا . الإهانة التي تأتي من الغضب سيئة ، ولكن يمكن الصفح عنها ، لأنها تنطلق في حرارة اللحظة ؛ ولكن الإهانة الباردة التي تأتي من كبرياء مغرورة محقرة قبيحة لا يمكن الصفح عنها .

سيصير الناس غير مطيعين لوالديهم . كان العالم القديم يقدس الواجب نحو الوالدين . حرمت القوانين اليونانية القديمة حق الانتخاب على كل من ضرب والديه ؛ وفي عرف القانون الروماني كان ضرب الأب موازياً للقتل وفي الناموس اليهودي جاء لإكرام الأب والأم عالياً في قائمة الوصايا العشر . هذه هي علامة انحطاط المدنية ، عندما يفقد الشباب كل احترام للسن ، ويموت إحساسه بالنسبة للدين العظيم والواجب الأساسي الذي يدين به نحو أولئك الذين أعطوه الحياة .

سيصير الناس غير شاكرين سينكرون أى دين يدينون به سواء نحو الله أو نحو الناس . والخاصية الغريبة لإنكار الجميل هي أنها أكثر الخطايا إيلاماً ، لأنها أكثر الخطايا عمى . وستظل كلمات الملك لير صادقة :

« طفل ناكر أحد إيلاماً من لدغ الثعبان »

إنها إحدى علامات الشرف أن يسدد الإنسان ديونه ؛ وهناك دين لله في عتق كل إنسان ، كما أن هناك ديون نحو زملائه من الناس ؛ وهو باعتباره إنسان ذو كرامة عليه أن يتذكرها ويدفعها .

سينكر الناس كل الصفات الحميدة في الحياة . والكلمة اليونانية هي أن الناس سيصيرون دنسين لا تعني كثيراً كسر القوانين الوضعية ، بقدر ما تعني التعدي على القوانين غير الوضعية ، وهي تلك الأمور المتعارف عليها والتي منها نسيج وروح الحياة . بالنسبة لليوناني يعتبر رفض دفن الميت دنس ؛ كذلك زواج الأخ بأخته أو الابن بأمه كلها من قبيل الدنس . والرجل الدنس يعتدى على أصول الصفات الحميدة في الحياة . هذا الاعتداء يمكن أن يحدث ويحدث فعلاً . الشخص الذي تسيطر عليه نوازعه الدنيئة ينفث عنها بأكثر الطرق عاراً ، كما يظهر في شوارع المدينة الكبيرة عندما يخيم ظلام الليل . الشخص الذي استنفد كل متع الحياة المعتادة ، والذي ما زال نهماً بعد ، سيتفقد ملذاته بين المتع الغير بريئة الخارجة عن المعتاد والتي يصبح من العار حتى ذكر أسمائها . مرة أخرى ، يمكن لصفات الحياة الحميدة أن تنسى في مدينة منحطة وضيفة .

سيصير الناس بلا حنو . تستعمل الكلمة اليونانية *storgé* عن المحبة العائلية ، حب الطفل لأبيه ، وحب الأب لطفله . إذا لم يكن هناك حنو بشرى اختفت العائلة . في الأوقات الرهيبة ، ستصل محبة الذات في الناس للدرجة أن أقرب الروابط العائلية لن تعني بالنسبة لهم شيئاً . وإذا يندفعون نحو إرضاء نفوسهم من متع الحياة سينكرون كل الواجبات والروابط الأساسية التي تبني عليها الحياة .

سيصير الناس ثابتين في عداوتهم بلا رضى . ويمكن أن تعنى شيئين .
إما أن تعنى شخصاً بلغ به الحقد والعداء درجة لا يستطيع معها أن يصل إلى
أى اتفاق مع الشخص الذى تخاصم معه . وإما أن تعنى شخصاً بلغت به المهانة
أن يكسر ويهمل كل شروط الاتفاقية التى وقع عليها . وفى كلتا الحالتين
تصف الكلمة حالة معينة من قساوة وصلابة العقل يمكنها أن تفصل بين
الشخص وبين رفقاته من الناس فى مرارة لا تلين . حيث أننا بشر فقط ،
فربما كان محتماً حدوث خلافات بيننا وبين الناس ، ولكن الاستمرار فى
تذكر هذه الخلافات خطية من أسوأ وأكثر الخطايا شيوعاً . عندما تملكنا
الرغبة فى عمل ذلك لنذكر قول الرب المبارك ، وهو على الصليب « يا أبتاه
اغفر لهم » .

صفات الدنس

فى هذه الأيام الرهيبة يصير الناس ثالين . وكلمة ثالب فى اليونانية هى
نفس الكلمة شيطان فى العربية . الشيطان هو الملاك الحارس لكل الثالين ،
وهو الزعيم بين الثالين . . هناك صدق فى اعتبار انتهاك السير أفسى أنواع
الخطايا . إذا سرقت بضائع شخص ، يمكنه أن يبدأ مرة أخرى ويبنى ثروته ،
ولكن إذا فقد الشخص سمعته الطيبة لا يمكن إصلاح الضرر الذى أصابه . من
السهل إثارة إشاعة كاذبة خبيثة شريرة ؛ ولكن من أصعب الأمور إيقاف
هذه الإشاعة . وكما وصفها شكسبير . :

السمعة الطيبة . للرجل والمرأة ،

هى جوهرة نفوسهم ،

من يسلبني نقودي يأخذ نفاية ، شيء

بل لا شيء ؛

ولكن من يسلبني سمعتي الطيبة

يسلبني ما لا يغنيه

ولكن يتركني معدماً حقاً .

كثير من الرجال والنساء ، يستنكفون أن يمدوا أيديهم إلى جيوب الآخرين ، لكنهم لا يجلدون غضاضة — بل ربما وجدوا متعة — في نشر قصة قد تقضى على سمعة شخص آخر ، دون أن يحاولوا حتى التحقق من صحة القصة . ومسك السيرة مشهور في القرية ، وفي كثير من الكنائس حتى لتتصور أن الملاك الذي يسجل هذه الألفاظ القاسية يبكي ألماً .

سيصبح الناس عديمي النزاهة . الفعل اليوناني يعني يضغط ، أي يملك السلطة على . يمكن لشخص أن يصل إلى مرحلة يصبح فيها عبداً لعادة أو رغبة . هذا هو طريق الدمار المؤكد لأنه لن يسود إنسان على أي شيء إذا لم يسيطر على نفسه أولاً .

سيصبح الناس شرسين ، وهي كلمة تليق بالحيوان المفترس أكثر من الكائن البشري . وهي تعني وحشية لا حساسية أو تأثر فيها . ويمكن للإنسان أن يتوحش في تعنيفه ، أو في تصرفات لا رحمة فيها . الكلب يتأثر إذا أذى صاحبه ، ولكن يوجد أناس يفتقدون كل إحساس وتأثر بشري في تعاملهم مع الآخرين :

صفات الدنس

فى تلك الأيام الرهبة الأخيرة لن يحب الناس ما هو صالح من أشياء أو أشخاص. أحياناً يأتى وقت فى حياة إنسان ينجل فيه من رفقة الناس والأشياء الطيبة . ويفقد فيه القدرة على مبادلتهم أى حديث . من يستمتع بالموسيقى الرخيصة لن يجد متعة فى الإصغاء إلى الموسيقى الجيدة . من يغذى عقله بالأدب التافه سيفقد فى النهاية أى تقدير للأعمال الأدبية الخالدة وستنعدم لديه حاسة التذوق الأدبى . لا شك أن الشخص الذى ما عاد يطبق رفقة الناس الطيبين أو حديثهم قد قطع شوطاً طويلاً فى الانحدار .

سيصبح الناس خائفين . لتذكر متى كتب هذا . كتب فى بداية سنوات الاضطهاد ، فى العصر الذى كانت فيه المسيحية جريمة . فى ذلك العصر بالذات كانت اللعنة التى حلت بروما كثرة المخبرين سواء فى أمور السياسة أو فى المسيحية . كانت الأمور سيئة للدرجة دفعت تاسيتوس أن يقول : « من ليس له عدو خانة صديقه » . كان هناك من يود إرضاء حقد قديم ، فيشقى إنتقامه من عدو بالتبليغ عنه . وما يدور بخلد بولس هنا أكثر من خيانة الصداقة . رغم أن فى هذا جرح كاف . — إن بولس يفكر فى أولئك الذين لأجل رد ثأر قديم ، لإرضاء حقد قديم ، لتهدة كراهية ماضيه ، لكسب مكافأة لحظة رخيصة ، يبلغون عن المسيحيين إلى الحكومة الرومانية .

سيصبح الناس ملتحمين فى الكلام والعمل . والكلمة اليونانية تعنى اندفاع . وتصف الرجل الذى تملكته العاطفة والنزوة والرغبة للدرجة أفقدته سلامة التفكير وحسن المنطق . والضرر الحادث من انعدام التفكير أكثر من أى ضرر آخر . ما أكثر المرات التى كان يمكن أن نجنب أنفسنا والآخرين الألم وجرح الإحساس ، إذا توقفنا قليلاً للتفكير .

سيصبح الناس متصليين متفخين بالغرور وتعنى متفخ الأوداج . هؤلاء هم الذين أعماهم الغرور بأهميتهم الشخصية . لازال هناك بعض الناس في الكنيسة صارت عظمتهم الشخصية تفكيرهم الشاغل . أما المسيحى فهو تابع وتلميذ لذلك الذى كان وديعاً ومتواضع القلب .

وسيكون هناك محبين للذات دون محبة الله . وهنا نعود إلى نقطة البداية ، هؤلاء الناس يضعون رغباتهم وآمالهم الشخصية في مركز الحياة . لذلك فهم يعبدون الذات لا الله .

والحكم النهائى على هؤلاء الناس هو أنهم يحتفظون بالمظهر الخارجى للدين ، ولكنهم ينكرون قوته . أى أنهم يذكرون عن ظهر قلب العقائد الأصلية . ويباشرون كل طقوس العبادة والقداس ، ويحافظون على كل مظاهر الدين الخارجية ، ولكنهم يجهلون كل شئ عن الدين كقوة محركة تستطيع أن تغير حياة الناس . يقال إن اللورد ملبورن أبدى الملاحظة التالية ، أثر استماعه إلى عظة تبشيرية ، « لقد وصلت الأمور إلى عمر حرج إذا سمح للدين أن يغزو محيط الحياة الخاصة » . ربما لم يكن الخاطئ الموغل في الخطية هو العقبة الكبرى أمام الدين ، بل هو ذلك الشخص المخلص الذى يحتفظ بطابع الدين الصادق والسلوك المتعظم ويرتعب عندما يقال له إن الدين الحقيقى قوة ديناميكية تستطيع تغيير حياة الشخص الخاصة . لا يأتى لأحد حتى الاقتراب من المسيحية ما لم يكن مستعداً أن يخوض ثورة نفسية تذكىها قوة يسوع المسيح المحيطة .

التغريب باسم الدين

٦ فَإِنَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْبُيُوتَ وَيَسْبُونَ
نُسِيَّاتٍ مُحَمَّلَاتٍ خَطَايَا مُنْسَاقَاتٍ بِشَهَوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ٧ يَتَعَلَّمْنَ
فِي كُلِّ حِينٍ وَلَا يَسْتَطِيعْنَ أَنْ يُقْبِلْنَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ أَبَدًا.

٢ تيموثاوس ٣ : ٦ ، ٧

جاء التحرير المسيحي للنساء بمشاكله الحتمية . سبق أن رأينا كيف
كانت حياة المرأة اليونانية المحترمة مصونة ، وكيف تربت تحت رقابة غاية
في الشدة والتضييق ، وكيف لم يكن مسموحاً لها « أن ترى شيئاً ، أو تسمع
شيئاً ، أو تسأل أى سؤال » ، وكيف أنها لم تظهر مطلقاً وحيدة في الشارع ،
حتى لو كانت تقوم ببعض المشتريات ، وكيف أنه كان محرماً عليها الظهور
في أى اجتماع عام .

وكان من المحتم أن تغير المسيحية كل هذا ، وكان من المحتم أيضاً ظهور
بعض المشاكل الجديدة . وكان من المتوقع ، وليس هناك شك في ذلك ،
ظهور طبقة من النساء ممن لا يعرفن كيف يستعملن حرياتهن الجديدة . وتبع
ذلك ظهور طبقة مزيفة من المعلمين أسرعوا لاستغلال الموقف .

ويرسم لنا ايرنايس صورة حية للوسائل التي كان يتبعها مثل هؤلاء
المدرسين في أيامه . ولو أن ما ذكره ، كان خاصاً بأمور حدثت بعد ذلك

العصر ، ولكن القصة المؤلمة كانت تتكرر . كان هناك شخص مهرطق يدعى ماركوس يتعامل في السحر والشعوذة . كان يمضي جل وقته في رفقة النساء من العائلات الراقية الغنية ، اللاتي يرفلن في أجمل الثياب . كان يخدع هؤلاء النسوة أنه يستطيع ، بما يتلوه من رقيات وشعوذة ، أن يمكنهن من التنبؤ . وتعتذر المرأة منهن أنها لم تفعل ذلك من قبل ، وأنها لا تستطيع ذلك . فيقول لها : « افتحي فمك ، وتكلمي بما يخطر لك ، وبهذا تنبأين ويملك الشغف قلب المرأة ، فتفعل ذلك ، ويخيل لها حقاً أنها تستطيع التنبؤ فعلاً . عندئذ تبذل كل جهد لمكافأة ماركوس ، ليس فقط بما تسبغه عليه من ثروتها (وقد جمع ثروة عظيمة من ذلك) ، ولكن أيضاً بالاستسلام له ، مشبهة أن تتحد معه ، فتصير وإياه واحداً » . وقد تكررت هذه الحوادث سواء في أيام تيموثاوس ، أو في الأيام التالية في عصر إيرنياس .

كانت هناك طريقتان يستطيع بهما هؤلاء الهراطقة في زمن تيموثاوس أن يحدثا تأثيراً شريراً . لا بد أن نذكر أنهم غنوسيون ، وأن المبدأ الرئيسي في الغنوسية هو صلاح الروح الكامل وفساد المادة الكامل . وقد رأينا أن هذا التعليم انبثق عن اتجاهين . اتجاه نحو التقشف والحرمان ، بمحاولة تحقير وهدم هذا الجسد المادي ، واتجاه نحو الإباحة الفاجرة ، بارضاء كل شهوات الجسد وخلجاته حيث أن هذا الجسد في النهاية لا يهم في شيء . ويعلم الغنوسيون هذه المبادئ هؤلاء النسوة السريعات التأثير . والنتيجة إما أن تقطع المرأة العلاقات الزوجية ، حتى تعيش حياة التقشف والحرمان ، وإما أن تطلق العنان لكل غرائزها البهيمية ، وتخالط الرجال في علاقات جنسية ماجنة . وفي كلتا الحالتين ، ينهدم البيت والحياة العائلية .

ومن المعلوم أن المدرس أو القائد يتمتع بنفوذ كبير على غيره من

الناس ، وهو نفوذ غير مقبول وغير صحي وخاصة إذا كان هؤلاء الناس سريعوا التأثير ، من السهل اللعب بعواطفهم وعقولهم . ولا يمكن أن يكون التعليم أميناً إذا كان يؤدي إلى كسر الروابط المقدسة للبيت والحياة العائلية .

ويتهم بولس هؤلاء الناس بأنهم « على استعداد أن يتعلموا من أى واحد، ورغم هذا فهم غير قادرين إطلاقاً أن يصلوا إلى معرفة الحق » . ويشير براون إلى خطورة ما يدعوه « فضول عقلي بدون حافز أخلاقي » . هناك ذلك الصنف من الناس الذى يشغف بمناقشة كل نظرية جديدة ، وتجده منشغلاً دائماً بآخر التقاليع الاجتماعية والحركات الدينية ، ولكنه لا يبدى أى استعداد لتقبل القرينة اليومية ، لا يمكن لأى مقدار من الفضول العقلي أن يأخذ مكان الحافز الأخلاقي . ليس المقصود أن نحشو عقولنا بكل شطحات العقل الجديدة ، ولكن الغرض أن نطهر ونقوى حياتنا في معركة الأخلاق حتى نحيا الحياة المسيحية .

مقاومو الله

٨ وَكَمَا قَاوَمَ يَنْيِسُ وَيَمْبَرِيْسُ مُوسَى كَذَلِكَ هُوْلَاءُ
أَيْضًا يُقَاوِمُوْنَ الْحَقَّ . أَنَاسٌ فَاسِدَةٌ أَذْهَانُهُمْ وَمِنْ جِهَةٍ
الْإِيْمَانِ مَرْفُوضُونَ . ٩ لَكِنَّهُمْ لَا يَتَقَدَّمُونَ أَكْثَرَ لِأَنَّ
حُكْمَهُمْ سَيَكُونُ وَاضِحًا لِلْجَمِيعِ كَمَا كَانَ حُكْمُ ذَيْنِكَ
أَيْضًا .

٢ تيموثاوس ٣ : ٨ ، ٩

في الفترة التي مرت بين العهدين القديم والجديد تمت كتابة العديد من الكتب اليهودية التي وسعت من قصص العهد القديم وأضافت إليها الكثير من المادة والتفاصيل . وقد برز ينيس ويمبريس بشكل واضح في بعض هذه الكتب ، وهما ساحران في بلاط فرعون وقد قاوما موسى وهارون ، عندما أراد موسى إخراج بني إسرائيل من العبودية في مصر . في بادئ الأمر ، تمكن هذان الساحران من محاكاة الأعاجيب التي قام بها موسى وهارون ، ولكنهما انهزما في النهاية وضاع صيتهما . لم يأت ذكر لاسميهما في العهد القديم نفسه ، وإن كان قد أشير لهما في خروج ٧ : ١١ ؛ ٨ : ٧ ؛ ٩ : ١١ . ودارت حول اسميهما مجموعة كاملة من القصص والأساطير . فقليل إنهما الخادمان اللذان رافقا بلعام عندما عصى الله (عدد ٢٢ : ٢٢) ؛ وقيل إنهما اختلطا مع الحشد الذي رافق بني إسرائيل في الخروج من مصر (خروج

١٢ : ٣٨) ؛ وقال البعض إنهما هلكا أثناء عبور البحر الأحمر ؛ كما جاء
ببعض القصص الأخرى أن ينيس ويمبريس كانا المحرضين على عمل العجل
للذهبي وأنهما هلكا مع أولئك الذين قتلوا لأجل هذه الخطية (خروج ٣٢ :
٢٨) ؛ وأصرت بعض القصص على أنهما تهودا في النهاية. في وسط كل هذه
القصص تقف حقيقة واحدة - أن ينيس ويمبريس صارا شخصيات
أسطورية تمثل كل هؤلاء الذين يقاومون ويحاولون أحباط أغراض الله ،
وأعمال أولئك الذين يستخدمهم الله في القيادة .

لن يسلم القائد المسيحي من المقاومين فسيتواجد دائماً أولئك الذين يفضلون
أفكارهم على أفكار الله . وسيكون هناك دائماً أولئك الذين يرغبون في مباشرة
النفوذ والسلطان على الناس ، غير مباليين باتخاذ أى وسيلة لتحقيق ذلك .
وسيظل دائماً هناك أولئك الذين يحتفظون للدين المسيحي براء ملتوية ،
ويرغبون في كسب آخرين لمعتقداتهم الخاطئة . ولكن بولس كان واثقاً
من شيء واحد - أن أيام هؤلاء المخادعين معدودة . سيظهر زيفهم ؛
وسينالون جزاء مناسباً. وتاريخ الكنيسة المسيحية يعلمنا شيئاً هاماً - أنه لا حياة
للخداع ، ربما ازدهر لوقت ما ، ولكنه عندما يتعرض لنور الحق فإنه
يذبل ويموت . هناك امتحان واحد فقط للغش - « من ثمارهم تعرفونهم »
وأفضل طريقة للتغلب على المزيف وطرده هو أن تحيا بطريقة تظهر للجميع
الجمال والعدوبة والروعة التي في الحق . إن هزيمة الغلط لا تعتمد على المهارة
في معارضته ، بل على إظهار كيف تكون الحياة الممتازة المثالية .

واجبات وصفات الرسول

١٠ وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَبِعْتَ تَعْلِيمِي وَسِيرَتِي وَقَضَيْتَ
وَأَيَّمَانِي وَأَنَا تَتِي وَمَحَبَّتِي وَصَبْرِي ١١ وَأَضْطِهَادَاتِي وَالْأَمِي
مِثْلَ مَا أَصَابَنِي فِي أَنْطَاكِيَّةَ وَإِقُونِيَّةَ وَلِسْتَرَةَ . آيَةً
أَضْطِهَادَاتٍ أَخْتَمَلْتُ . وَمِنْ الْجَمِيعِ أَنْقَذَنِي الرَّبُّ .
١٢ وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ
يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ . ١٣ وَلَكِنَّ النَّاسَ الْأَشْرَارَ الْمُزَوِّرِينَ
سَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَرْدَاءٍ مُضِلِّينَ وَمُضِلِّينَ .

٢ تيموثاوس ٣ : ١٠ - ١٣

يقارن بولس هنا بين سلوك تيموثاوس ، تلميذه المخلص . وبين سلوك
المراطقة الذين كانوا يبذلون أقصى ما لديهم لهدم الكنيسة . وكلمة تبعث ،
تستعمل في اليونانية بمعنى أوسع وأروع كثيراً . فهي تعني أن
تلتصق به في السراء والضراء ، أن تقف بجانبه في الظروف الحسنة والسيئة .
وتعني أن تتبع شخصاً عقلياً ، أن تصغي بيقظة إلى تعليمه ، وأن تستوعب
تماماً المعاني التي يقولها ومدى أهميتها وتعني أنك تتبع شخصاً روحياً ، ليس
فقط لتفهم ما يقوله ، بل لتحمل مبادئه ، فالاتباع هي الكلمة التي تليق بالتلميذ ،
لأنها تشمل وفاء لا يتزعزع للرفيق الأمين ، والفهم التام للعالم الحقيقي ،
والطاعة الكاملة للخادم المكرس .

ثم يمحى بولس ليسجل الأشياء التي تبعه فيها تيموثاوس تلميذه ؛ وأهمية هذه القائمة أنها تشتمل على السداة واللحمة التي ينسج منها حياة وعمل التلميذ .
ففيها نجد واجبات ، وصفات ، وخبرات الرسول .

أولاً . هناك واجبات الرسول . هناك تعليم . لا يستطيع إنسان تعليم ما لا يعرفه ، لهذا قبل أن يستطيع الشخص أن يعلم المسيح للآخرين ، عليه أن يعرف المسيح . عندما كان والد كارليل يناقشه في نوع الراعى الذى تحتاجه أبرشيته ، قال : « ما تحتاجه الأبرشية رجل يعرف المسيح شخصياً لا معرفة منقولة » والتعليم الحقيقى ينبع دائماً من الخبرة الحقيقية . هناك تدريب . الحياة المسيحية لا تقتصر فقط على معرفة شىء ما ، بل تشمل أيضاً أن تكون شيئاً ما . وعمل الرسول لا يقتصر فقط على إخبار الناس عن الحق ؛ بل يشمل أيضاً مساعدتهم لعمل هذا الحق . والتدريب الذى يعطيه القائد الصادق هو تدريب للحياة وكيف تحيا .

ثانياً ، هناك صفات الرسول . يأتى فى مقدمة كل شىء هدف الرسول فى الحياة . كان إثنان يتحدثان عن مهرج معروف تملكه حافز أخلاقى . فقال أحدهم « لقد رفس العالم بقدمه » ، « كأنما كان كرة قدم » فأجابه الآخر « هذا حق ، ولكنه رفسه لهدف » . ونحن كأفراد يجب أن نصمت أحياناً ونسأل أنفسنا : ما هو هدفنا فى الحياة ؟ هل لدينا هدف واحد على الأقل ؟ وكعلمين يجب أن نسأل أنفسنا أحياناً : ماذا أحاول أن أصنع من هؤلاء الناس الذين أعلمهم ؟ سئل مرة ملك اسبرطة « ماذا نعلم أولادنا ؟ » فكانت إجابته : « أكثر الأمور فائدة بالنسبة لهم عندما يصيرون رجالاً » . هل هى معرفة ، أم هى حياة ، تلك التى نحاول نقلها ؟ وكأعضاء فى الكنيسة ، يجب أن نسأل أنفسنا أحياناً : ماذا نحاول أن نفعل فى الكنيسة ؟ هل يكفى السرور

بكثرة النشاط ؟ وعندما نزدحم كل ليلة في الأسبوع بالناس يحق أن نتساءل .
أحياناً : وإذا كان هناك هدفاً فما هو الغرض الموحد الذي يربط كل نشاطاتها
معاً ؟ يجب دائماً أن نذكر أنه لا يوجد في الحياة ما يوازي المجهود الخلاق
المثمر الذي يتيح إحساس بوضوح الغرض والهدف ..

ثم يعرج بولس إلى صفات الرسول الأخرى . هناك إيمان ، ثقة كاملة
في الله ، إيمان كامل بأن وصايا الله حتمية وأن وعود الله صادقة . هناك أناة .
وتعني الأناة مع الناس . هي المقدرة على الاحتفاظ بالصبر مع أناس أغبياء
والاحتفاظ بالهدوء مهما بدا من عدم قابليتهم للتعليم . هي المقدرة على احتمال
الحمق بسرور ، وتقبل الحماقة ، والعناد الغبي ، والعمى ، وإنكار الجميل
الذي يفعله الناس ، مع الاحتفاظ بكرم الأخلاق ، والاستمرار في العمل
المضني . هناك محبة . والمحبة هي موقف الله بالنسبة للناس . والمحبة هي السلوك
نحو الناس الذي يتحمل كل شيء يفعله الناس ، والتي ترفض الغضب أو
الحقد ، والتي تسعى دائماً لخيرهم العظيم . من تحب الناس يصفح عنهم ويهتم
بهم كما غفر الله وكما يهتم الله . والله وحده الذي يمكننا من عمل ذلك .

اختبارات الرسول

ويهتم بولس قصة الأشياء التي شاركه فيها تيموثاوس ، والتي يجب أن
يشاركه فيها ، بالحديث عن اختبارات الرسول ، ويضع في مقدمة هذه
الاختبارات صفة الصبر . والكلمة اليونانية لا تعني احتمال الأشياء في خنوع ،
بل مواجهتها في انتصار ، فربما أمكن استخراج الجيد من الرديء . فهي تصف
الروح التي تسيطر على الحياة لا الروح التي قبلت الحياة ..

وخاصة الاحتمال والصبر المنتصر ضرورية ، لأن الاضطهاد جزء حيوى فى اختبار الرسول — ويعدد بولس ثلاث مرات تألم فيها للمسيح . طرد من أنطاكية التى فى بيسيديه (أعمال ١٣ : ٥٠) ؛ وهرب إلى إيقونية لينجو من الضرب ؛ ورجم بالحجارة فى ليسترا وترك بعد أن ظنوه ميتاً (أعمال ١٤ : ١٩) . حدثت هذه الأمور قبل أن يدخل الصغير تيموثاوس المسيحية ، ولكنها كلها حدثت فى الإقليم الذى تربى فيه ، وربما كان تيموثاوس أحد شهود العيان . وربما كان هذا برهاناً على شجاعة تيموثاوس وتكريسه ؛ أنه رأى بوضوح تام ما قد يحدث وما حدث فعلاً للرسول ، ورغم هذا لم يتردد أن يرتبط ببولس .

وبولس مقتنع تماماً أن تابع المسيح الحقيقى ، الإنسان الذى يود أن يعيش حياة طاهرة مقدسة ، لن ينجو من الاضطهاد . عندما جاءت الضيقات إلى أهل تسالونيكي ، كتب لهم بولس : « لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً وأنتم تعلمون » (اتسالونيكي ٣ : ٤) — وكأنه بهذا يقول لهم : « لقد حذرتكم جيداً » . فى رحلة العودة ، بعد أول رحلة تبشيرية له ، قام بولس بزيارة الكنائس التى أسسها ، « يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله » (أعمال ١٤ : ٢٢) للملكوت ثمنه . كما أن يسوع نفسه قال : « طوبى للمطرودين من أجل البر » (متى ٥ : ١٠) من أراد أن يتبع مقاييس تخالف تلك التى يعيش بها العالم ، فلا شك أنه سيقابل المتاعب . ومن أراد أن تمتلئ حياته باخلاص يفوق كل الإخلاص الأرضى ، فلا شك من حدوث اصطدامات واختلافات . وهذا هو بالضبط ما تريد المسيحية أن نفعله ، وهو ما يتعهد المسيحي أن يفعله .

ستأتى الضيقات ، والمصاعب ، والمشاكل ، والاضطهادات ، ولكن
كان بولس واثقاً من أمرين :

فهو يثق أن الله سينجى الإنسان الذى يضع كل إيمانه فيه . وهو واثق
من أنه من الأفضل — على المدى الطويل — احتمال الضيقات لأجل الله ولأجل
البر عن النجاح مع الناس والغلط . كان بولس متأكداً من حدوث ضيقات
وقتية ، ولكنه كان يمتلئ باليقين من المجد الذى ينتظره .

وكان واثقاً أن الإنسان الشرير الدنس سيمضى من سىء إلى أسوأ .
ويعنى آخر كان بولس متيقناً أنه لا مستقبل للرجل الذى يرفض قبول طريق
الله .

قيمة الكتاب

١٤ وَأَمَّا أَنْتَ فَانْتَبَتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيَقَنْتَ عَارِفًا
مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ . ١٥ وَأَنَّكَ مِنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ
الْمُقَدَّسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلَاصِ بِالْإِيمَانِ الَّذِي
فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ . ١٦ كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللَّهِ
وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي
الْبَرِّ ١٧ لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلًا مُتَأَمِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ
صَالِحٍ .

٢ تيموثاوس ٣ : ١٤ - ١٧

ويختتم بولس هذا الجزء بدعوة تيموثاوس أن يظل وفيًا لكل التعاليم التي
أخذها . كانت أم تيموثاوس يهودية ولكن أباه كان يونانياً (أعمال ١٦ : ١)
وكان من الواضح أن أمه هي التي قامت بتربيته . اهتم اليهود أن يتربى أطفالهم
منذ حداثهم في تعلم الناموس . وادعى اليهود أن أولادهم يتعلمون الناموس
وهم بعد في سن الرضاعة حتى أنهم يرضعون الناموس مع لبن أمهاتهم .
وادعوا أن الناموس محفور في قلب وعقل كل طفل يهودي لدرجة أنه من
السهل أن ينسى اسمه ، ولكنه لا ينسى حرفاً من الناموس . إذاً كان تيموثاوس
يعرف كلمة الله منذ طفولته المبكرة . ويجب أن نذكر أن الكتاب الذي
يتكلم عنه بولس هو العهد القديم ، لأنه بطبيعة الحال لم يكن العهد الجديد قد

ظهر بعد . فاذا كان ما يقوله بولس عن العهد القديم صادقا ، كم بالأحرى تكون كلمات العهد الجديد الثمينة أعظم صدقا .

يجب أن نلاحظ هنا أن بولس يعمل تفرقة . فهو يتكلم عن « كل الكتب الموحى بها من الله » . كان للغنوسيين كتبهم الخيالية الجذابة ، وكتب الهرطقة كثيراً عن معتقداتهم ؛ ولكن بولس اعتبر هذه جميعاً من صنع الإنسان . ليس هناك فائدة ما في هذه الكتب للإنسان ؛ أما الكتب العظيمة التي تغذى روح الإنسان ، فهي الكتب الموحى بها من الله .

لننظر الآن ما يقوله بولس عن فائدة الكتاب .

١ — يقدم لنا الكتاب الحكمة المخلصة . يذكر مؤلف كتاب « الكتاب المقدس وتبشير العالم » قصة راهبة في مستشفى للأطفال في إنجلترا . وجدت الحياة — على حد قولها — بلا فائدة أو معنى . قرأت كتاباً تلو آخر ، وتعبت في فلسفة أثر فلسفة في محاولة أن تجد الرضى النفسى ، لم تجرب أبداً الكتاب المقدس ، بعد أن أقنعتها صديق بمناقشات ماهرة أن الكتاب غير صادق ولا يمكن أن يكون صادقا . وفي يوم ما جاء زائر إلى القسم الذى تعمل فيه وترك هدية ، مجموعة من الأناجيل . واقتنعت الأخت الراهبة أن تأخذ الانجيل يوحنا وتقرأه فقالت ، « كانت كلماته تلمع وتسطع بالحق ، واستجاب كيانى كله له . وكانت الكلمات التي أقنعتنى نهائياً هي ما جاءت في يوحنا ١٨ : ٣٧ : لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق . كل من هو من الحق يسمع صوتى ، وهكذا ، أصغيت أنا لهذا الصوت ، وسمعت الحق ، ووجدت مخلصى » . مرة بعد أخرى يفتح الكتاب طريق الله أمام الكثيرين من الرجال والنساء . من يطلب الحق لا بد أن يقرأ الكتاب . فلا يمكن أن يهمل كتاب له مثل هذا التاريخ الحافل . وغير المؤمن يظلم نفسه

إذا لم يحاول قراءته . فربما حدثت له أشياء عجيبة إذا قرأه ، لأن في الكتاب حكمة مغلصة لا مثيل لها في أى كتاب آخر .

٢- والكتب المقدسة نافعة للتعليم . من الصدق أن يقال أن في العهد الجديد وحده نجد صورة المسيح ، وقصة حياته ، وسجل تعليمه . لهذا لا يمكن تعليل إهمال الإنسان لقراءة العهد الجديد مهما كانت مجادلاته ، كما أنه من المستحيل على الكنيسة أن تعمل بدون الأناجيل . كما أن الحق الكامل - كما سبق التأكيد والقول مراراً عديدة - هو أن المسيحية غير مؤسسة على كتاب مطبوع ، بل على شخص حي ، وستبقى هذه الحقيقة دائماً وهي أن المكان الوحيد في العالم الذى نستطيع أن نحصل فيه على قصة هذا الشخص بلسان شهود العيان وقصة تعليمه هي في العهد الجديد . هذا هو السبب الذى من أجله تفتقد فيه الكنيسة - التى لا تدرس الكتاب - عنصر آ ضرورياً لا يعوض

٣- والكتاب قيم في التوبيخ . وليس المقصود هنا أن الكتاب قيم في إيجاد الخطأ ؛ بل قيم للاقناع ، في اقتناع الشخص أن طريقه خاطئة ، وإرشاده للطريق الصحيح . ويقص علينا شيرجون القصة بعد الأخرى عن كيفية وقوع الكتاب بالصدفة في أيدي الكثيرين وكيف أحدث تغييراً شاملاً في حياتهم . في البرازيل ، اشترى السنيور أنطونيو دى ميناس عهداً جديداً ليأخذه إلى بيته ويحرقه وجد النار مطفأة في المدفأة ، فأشعلها عمداً ، وألقى بالعهد الجديد فيها ، ولكنه لم يحترق بسهولة ، فتح صفحاته ليجعل الاحتراق أسهل . وانفتح عند موعظة الجبل . ألقى عليها بنظرة سريعة قبل أن يلتقى بالكتاب للنيران . وارثبك عقله ، فأخذ الكتاب ليقرأ - « وقرأ واستمر في القراءة ، ناسياً للوقت ، خلال ساعات الليل ، وعندما أوشك الفجر أن ينبلع وقف صائحاً « إني أوثرمن » .

وجد فنسنت كيروجا من شيلي بضعة صفحات قلائل من كتاب ألقته
الأمواج على الشاطئ إثر زلزال أَرْضِي . فقرأها ، ولم يهدأ له بال حتى
حصل على بقية الكتاب المقدس . لم يصبح مسيحياً مؤمناً فقط ، بل كرس
بقية حياته لتوزيع الكتب المقدسة في القرى النائية في شمال شيلي .

في ليلة حالكه : قبضت عصاية على موزع كتب مقدسة في إحدى غابات
صقلية - وتحت تهديد المسدس أمر قائد العصاية بإشعال نار وإلقاء الكتب
فيها . أشعلت النار ؛ وطلب الموزع السماح له بقراءة جزء قليل من كل
كتاب قبل أن يلقيه في النار . قرأ المزمور الثالث والعشرين في كتاب ؛
وقصة السامري الصالح في كتاب آخر ؛ والموعظة على الجبل في كتاب
ثالث ؛ وأصحاح ١ كورنثوس ١٣ في كتاب رابع . في نهاية كل قراءة
قال قاطع الطريق « هذا كتاب جيد ؛ لن نحرق هذا الكتاب ؛ أعطه لي » .
وفي النهاية لم يحرق أى كتاب ؛ وترك قاطع الطريق موزع الكتب واختفى
في الظلام مع الكتب . وبعد سنين ظهر هذا اللص مرة أخرى . في هذه المرة
كان مبشراً مسيحياً ، وقال إن التغيير الشامل في حياته يرجع إلى قراءة هذه الكتب .

ليس هناك جدال أو شك أن الكتاب المقدس قادر أن يبكت الإنسان
على خطية ، ويعطيه اليقين في قدرة المسيح .

٤ - والكتاب نافع للتفكير والتصحيح . ومعنى هذا هو اختبار كل
النظريات ، والآراء اللاهوتية ، والتعاليم الأخلاقية في ضوء تعليم الكتاب
المقدس . فإذا تناقضت مع هذا التعليم يجب رفضها . من الضروري أن
نستعمل عقولنا ؛ ومثوليتنا أن نسمح لهذه العقول أن تغامر وتسرح في عالم
الفكر والتصور فهذه ضرورة مسيحية . ولكن الامتحان النهائي هو أن تتفق

هذه الشطحات الفكرية مع تعاليم يسوع المسيح كما يقدمها لنا الكتاب المقدس .

هـ - ويذكر بولس نقطة أخيرة . دراسة الكتاب تدرب الإنسان على السير حتى يكون مجهزاً لكل عمل صالح . وهنا الخاتمة الهامة . إن دراسة الكتاب لا يجب أبداً أن تكون أنانية ؛ لا يجب أن تقتصر ببساطة على خير نفس إنسان واحد . فأى تغيير أو تحول يعنى الإنسان عن أن يرى أى شخص خلاف خلاصه هو ليس بتغيير أو تحول صادق . فدراسته للكتاب يجب أن تجعل منه شخصاً نافعاً لله وللمجتمع حوله . يجب أن يهدف من دراسته . ليس فقط لخلاص نفسه ، بل أن يصير مقبولا لدى الله فيستخدمه في خلاص وتغزية حياة الآخرين . ليس هناك من هو مخلص حقيقة ، إذا لم تأكله نار الغيرة نحو تخليص آخرين .

الأصحاح الرابع

بولس يستشير حمية تيموثاوس

١ أَنَا أَنَاشِدُكَ إِذَا أَمَامَ اللَّهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
الْعَبِيدِ أَنْ يَدِينَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكوْتِهِ
٢ أَكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ أَغْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ
مُنَاسِبٍ . وَبَخَّ أَنْتَهَرِ عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ . ٣ لِأَنَّهُ
سَيَكُونُ وَقْتُ لَا يَخْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ بَلْ
حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحْكَةً
مَسَامِعُهُمْ؛ فَيَضْرِبُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى
الْخُرَافَاتِ . هَؤُلَاءِ أَنْتَ فَاصْضَعْ فِي كُلِّ شَيْءٍ . اخْتَمِلِ
الْمُسْتَقَاتِ . أَعْمَلْ عَمَلَ الْمُبَشِّرِ . تَمِّمْ خِدْمَتَكَ .

٢ تيموثاوس ٤ : ١ - ٥

عندما أوشك بولس على الانتهاء من رسالته ، يود أن يثير حمية وحماس
تيموثاوس للعمل الموضوع أمامه . لأجل هذا يذكره بثلاثة أمور تخص
يسوع .

١ - يسوع هو ديان الأحياء والأموات . في يوم ما سيوضع عمل
تيموثاوس للامتحان ؛ وسيقوم يسوع المسيح نفسه بالامتحان . وعمل المؤمن
يجب أن يكون صالحاً لا لإرضاء الناس فقط ، بل لإرضاء يسوع . يجب

أن يقوم بكل مأمورية تسند إليه بشكل يشرفه ، أن يأخذها ويقدمها إلى المسيح . وهو في هذا لا يهتم نقد أو شهادة لإنسان . كل ما يطمع فيه هو قول يسوع « حسناً فعلت ! » لو أتممنا أعمالنا في الكنيسة وفي العالم بهذه الروح ، لاختلفت الحياة اختلافاً كلياً عما هي عليه الآن . كنا سنخلص من هذه الروح المشاكسة التي تثيرها انتقادات الناس ؛ وكنا سنلقى جانباً إحساس الأهمية والعظمة التي نضيفها على حقوقنا الشخصية ، ومستوانا الشخصي ؛ وكنا سنخلص من روح التركيز على الذات التي تتوقع من الناس شكراً وحمداً على كل عمل تقوم به ؛ وكنا سنخلص من الشعور بالأسى الذي نحس به إزاء إنكار الناس . يجب أن يكون التركيز المسيحي على المسيح .

٢ - يسوع هو القائد المنتصر العائد . يقول بولس « أناشدك بظهوره » الكلمة التي يستعملها قد تعني تتويج الإمبراطور أو زيارته لإقليم أو مدينة ، وهذا هو المعنى الذي يقصده بولس بالذات . فتي تقرر زيارة الإمبراطور لمكان ما ، توضع كل الأشياء في نظام كامل . تكنس الشوارع وترش ، وتجدد كل الأعمال . وتزين أركان المدينة لتليق بزيارة الإمبراطور . لهذا يقول بولس لتيموثاوس : « أنت تعلم ماذا يحدث عندما تتوقع مدينة ظهور الإمبراطور ؛ وأنت تتوقع ظهور يسوع المسيح . أتمم عملك ليكون كل شيء معد لاستقباله . والمؤمن ينظم حياته ليكون مستعداً في أي لحظة لحجى المسيح .

٣ - يسوع هو الملك . يبحث بولس تيموثاوس على العمل متذكراً ملكوت يسوع المسيح . سيأتي اليوم الذي ستصير فيه ممالك العالم ملكوتاً للرب . وفي أي مملكة سيكون للمواطن الذي يطيع القوانين ويكرم الملك الكرامة والمجد . لهذا يقول بولس لتيموثاوس : « هكذا عاش وهكذا عمل فيكون لك المستوى الرفيع بين طبقات المواطنين في الملكوت عندما يحجى هذا الملكوت » .

هذا هو الدافع المسيحي للعمل والخدمة . فعلنا يجب أن يصمد أمام
فحص المسيح . وحياتنا يجب أن تكون مستعدة دائماً أن ترحب بظهور الملك .
ونخدمتنا يجب أن تشهد بحقيقة تبعيتنا للملكوت الله .

واجب المسيحي

لا يوجد إلا قليل من الكتابات في العهد الجديد التي توضح بجلاء واجبات
الواعظ والمعلم والمبشر المسيحي مثل ما جاء في هذا الجزء .

يجب أن يكون المعلم المسيحي عاكفاً على الكرازة ومهتماً . فالرسالة التي
يوثيها مسألة حياة أو موت . والمعلم والواعظ اللذان ينجحان في توصيل رسالتهما
إلى الناس هما اللذان تفيض نبرات أصواتهما بالاهتمام . كان سبرجن يكن إعجاباً
حقيقياً لمارتينو . ولكن مارتينو كان من الكنيسة الموحدة unitarian التي
تنكر ألوهية المسيح ، بينما كان سبرجن يؤمن بهذه الألوهية بحماس دافق .
ورغم هذا عبر سبرجن أكثر من مرة عن إعجابه بمارتينو . فسأل أحدهم
سبرجن : « كيف يمكنك أن تعجب بمارتينو بينما أنت لا تؤمن بما يعظ به ؟ »
فأجاب سبرجن « لا ، ولكنه هو يؤمن » كل شخص يحمل كلامه الاهتمام
والحماس يجد أذناً صاغية لدى الناس .

يجب أن يكون المعلم المسيحي مثابراً ، يعكف على دعوة المسيح « في
الوقت المناسب وغير المناسب » . وكما قال أحدهم « انتهر أو اخلق فرصتك » .
أو كما قال آخر : « يجب أن يعتبر المسيحي كل وقت فرصة ليتكلم عن
المسيح » . قيل عن جورج موريسون من كنيسة ولنجتون في جلاسجو أن أي
محادثة تبدأ معه ، لا بد أن تصل إلى المسيح . لا يعني هذا أننا لن نختار الوقت
لنتكلم ، لأنه توجد لباقة في التبشير كما في كل الاتصالات الإنسانية الأخرى ؛
ولكن يعني أن كثيرين منا يغلبهم الخجل في الشهادة ليسوع المسيح .

ثم يستطرد بولس في وصف التأثير الذي يجب أن يحدثه المعلم والواعظ والمسيحي .

عليه أن يوبخ ، فيشعر الخاطي بخطيته . وبطريقة أو بأخرى يجب أن يوقظ إحساس الخاطي بالاشتمزاز نحو نفسه ونحو خطيته . ويرسم إيكيتوس الخط الفاصل بين الفيلسوف المزيف الذي يبتغي الشهرة فقط ، والفيلسوف الحقيقي ، الذي لا يبتغي إلا خير مستمعيه . الأول يذكر مستمعيه بأنه عظيم المقدرة والإخلاص والصدق . يتوقع المديح ، ويستدر الثناء . أما دعوة الفيلسوف الحقيقي فهي : « إني أدعوكم لأجبركم أنكم اخترتم الطريق الرديء ، وأنكم تهتمون بكل شيء إلا ما يستوجب الاهتمام حقيقة ، وأنكم لا تستطيعون التمييز بين الصالح والشرير ، وأنكم تعساء عاثروا الخط » . ويستطرد فيقول « إن محاضرة الفيلسوف ، نوع من الجراحة ، عندما تركها يجب أن تحس بالألم لا بالسرور » . اعتاد يوناني ، أن يقول لسقراط : « إني أكرهك يا سقراط ، لأنه في كل مرة أتقابل معك تجعلني أرى نفسي كما أنا » . فالضرورة الأولى إذاً ، هو أن تجرب الإنسان أن يرى نفسه كما هو .

عليه أن ينهر في أيام مجد الكنيسة كانت هناك نبرة شجاعة لاتعرف الخوف في صوت الكنيسة . فلم تكن الكنيسة هيابة أو خائفة . يقص علينا براون حادثة من الهند . كان هناك نبيل صغير السن في بلاط نائب الملك في كلكتا اشتهر بخلاعه وعاداته الرديئة . وفي يوم ما وضع الأسقف ويلسون رداءه الكهنوتي وذهب إلى دار الحكومة ، وقال للحاكم : « يا صاحب الفخامة ، إذا لم يغادر اللورد كلكتا قبل الأحد القادم ، سأتهمه علناً من منبر الكاتدرائية » . واختفى اللورد الصغير قبل مجيء ذلك الأحد . كان الأسقف امبروز من ميلانو واحداً من عظماء الكنيسة القديمة . وكان صديقاً حميماً للإمبراطور ثيودوسيوس

المسيحي ولكنه كان حاد الطبع . ولم يتردد أمبروز عن قول هذه الحقيقة للامبراطور « من يجرؤ على قول الحقيقة لك ، إذا جبن الأسقف عن ذلك ؟ » . عين الامبراطور واحداً من أقرب أصدقائه ، حاكماً على تسالونيكي . وكان حاكماً صالحاً ، وفي إحدى المناسبات أمر بسجن بطل مشهور في سباق العربات لسلوكه الفاضح . وكانت شعبية هؤلاء الرياضيين غير معقولة . ثار الناس وقتلوا الحاكم . وبلغ الغضب بالامبراطور حد الجنون . حاول امبروز تهدئته واسترضائه فلا يوقع عقابه على الجميع بدون تمييز ، ولكن وزيره تعتمد إلهاب غضبه . أصدر الإمبراطور أوامره بمذبحة انتقامية في تسالونيكي . ثم عاد فألغى الأمر ، ولكن أمر الإلغاء جاء متأخراً فلم يصل إلى تسالونيكي في الوقت المناسب . كانت ساحة الألعاب في تسالونيكي مزدحمة إلى أقصى سعتها ، الأبواب مقفلة ، وتحرك جنود الامبراطور بين الجماهير يذبحون الرجال والنساء والأطفال لمدة ثلاث ساعات متصلة . قتل في هذه المذبحة أكثر من سبعة آلاف نفس . وتواردت أخبار المذبحة على ميلانو . وجاء الإمبراطور لحضور خدمة الأحد التالي في الكنيسة . فرفض امبروز السماح له بالدخول . ارتجى الامبراطور العفو . وبعد مضي ثمانية أشهر جاء مرة أخرى إلى الكنيسة . ومرة ثانية يرفض امبروز السماح له بالدخول . وفي النهاية ارتجى الامبراطور على الأرض في طلب المغفرة . حتى سمح له بالعبادة في الكنيسة مرة أخرى . في تلك الأيام المحيطة لم تكن الكنيسة هيابة أو وجلة في التعنيف والانتهاز .

وفي علاقاتنا الشخصية ، ربما أنقذت كلمة تحذير أو لوم أخاً عزيزاً من خطايا كثيرة ومن تحطيم حياته . ولكن ، على حد قول أحدهم ، يجب أن يقال هذه الكلمة « كما من أخ يبتغي الخير لأخيه » . يجب أن تصدر عن إحساس بذنوبنا المشتركة . فليس هذا هو المكان لتنصب فيه من أنفسنا قضاة

تحكم على أخلاق هذا أو ذاك ؛ وبالرغم من كل شيء فواجبنا أن نعطي كلمة التحذير هذه إذا لم يكن مفر من قولها .

عليه أن يعظ . هذا هو الجانب الآخر من الموضوع . فلا يحق لأى توبيخ أو انتهار أن يدفع الإنسان نحو اليأس واختفاء الأمل فى حياته . فالتوبيخ يجب أن يصحبه تشجيع . والتشجيع واجب مسيحى لا يقل عن واجب التوبيخ إن لم يفقه .

ثم أن هذه الواجبات المسيحية فى التوبيخ والانتهار والوعظ يجب أن تتم جميعاً بروح الأناة التى لا تكل . والكلمة اليونانية لأناة تصف ذلك الروح الصافى الذى لا يضيق بشيء ، أو يغضب من شيء ، لا يكل ، ولا ييأس ؛ ولا يفقد إيمانه فى الطبيعة الإنسانية ، ولا يعتبر أى إنسان مهما بلغ من سقوطه ميثوساً منه يتعذر على نعمة الخلاص أن تشمله . المسيحى له طول أناة فى إيمانه بالناس لأنه يعرف معرفة أكيدة قوة المسيح للتغيير .

مستمعون أغبياء

ثم يستطرد بولس لوصف المستمعين الأغبياء . يحذر تيموثاوس أنه سيأتى وقت يرفض فيه الناس الاستماع إلى التعليم الصحيح ، ويحيطون أنفسهم بمعلمين يسمعونهم المديح والتعاليم المشوقة ، تحلل لهم المحرمات ، وتيسر لهم كل الأمور بما يتفق مع ما يودون سماعه .

وكان من المؤسف حقيقة كثرة هؤلاء المعلمين فى أيام تيموثاوس . كانوا يدعون السوفسطائيين ، يتجولون من مدينة إلى أخرى ، عارضين تعليم أى شيء نظير مقابل . « كانوا مستعدين أن يدرسوا كل الأخلاقيات

نظير ١٥ أو ٢٠ جنياً . كان بإمكانهم أن يعلموا الشخص أن يناقش
بذكاء ونخب ، وأن يستعمل ألفاظه بطرق ملتوية حتى يبدو الرديء
أفضل من الجيد . كان وصف أفلاطون لهم عنيفاً : « صيادون يقتفون
أثر الشباب الغنى الناجح ، طعمهم تربية معينة ، يتقاضون أجراً عن تجارتهم ،
مكتسبين مالا . من اللعب بدهاء بمعاني الألفاظ في المناقشات الخاصة . بينما
هم يدركون جيداً فساد تعاليمهم » .

كانوا يتنافسون فيما بينهم للفوز بالزبائن . كتب عنهم أحدهم « ربما
استمعت إلى كثير من هؤلاء السوفسطائيين المتشردين وهم يصرخون ويسبون
بعضهم البعض ، بينما تلاميذهم يتناقشون بصوت عال ، وكثير من الكتاب
يقرأون موضوعاتهم الغبية ، وكثير من الشعراء يتغنون بأشعارهم ، وكثير من
المشعوذين يعرضون لأعييهم ، وكثير من قراء الطالع يفسرون مبالغاتهم ،
وعشرة آلاف خطيب يتبارون في إغفال الحق وإظهار الباطل في القضايا
القانونية ، وعدد لا يقل من التجار ينادون على بضائعهم » .

في أيام تيموثاوس ، كانت جموع هؤلاء المعلمين المزيفين تحيط بالناس
وتتبارى في المعرفة المعيبة . وكانوا يتعمدون تزيف الحق واختلاق التعاليم
التي يستطيع بها الناس تبرير ما يرغبون في عمله والمعلم الذي يتجه بتعليمه نحو
التصغير من شأن الخطية ونتائجها الخطيرة إنما هو خطريهدد المسيحية والبشرية .

كانت الواجبات الملقاة على تيموثاوس على عكس ذلك . كان عليه أن
يكون صاحباً في كل شيء . الكلمة اليونانية تعني أن يكون واعياً متأكداً
نفسه ، كالرياضي المتحكم في عواطفه وشهوته وأعضائه . ويصف أحدهم
الكلمة : « إنها حالة عقلية نخالية من كل ما يعكر صفاءها أو يعنى بصيرتها ..
كل وظائفها على أتم الأتم والاستعداد ، فزن كل الحقائق وكل الاعتبارات

دون أن تغلب واحدة على الأخرى . والمسيحي لا يسقط ضحية للاندفاعات
المجنونة ، فالثبات والصحو هو شعاره في عالم غير متزن يغلبه الجنون .

وعليه أن يتحمل المشكلات التي يصادفها . المسيحية مكلفة ، وعلى المسيحي
أن يدفع الثمن دون شكوى أو أسف .

وعليه أن يعمل عمل المبشر فيأتي بالأخبار الحسنة رغم التوبيخ ، والانتهاز ،
والتحذير ، في إصرار المسيحي على التربية القويمة ، وإنكار الذات والتأكيد
بأن السعادة التي تنتظره أعظم وأبقى من تلك الملذات الرخيصة التي يتيحها العالم .

وعليه أن لا يترك أى عمل لم يتم في خدمته . طموح المسيحي شيء واحد :
أن يكون ذا فائدة للكنيسة المنضم إليها ، وللمجتمع الذي يعيش فيه . والفرصة
التي لا يجب عليه أن يفلتها ليست فرصة الربح الرخيص ، بل فرصة أن يقدم
خدمة لإلهه ، وكنيسته ، وأخوته من الناس .

بولس يأتى للنهاية

٦ فَإِنِّي أَنَا الْآنَ أُسْكَبُ سَكِيباً وَوَقْتُ أَنْحِلَالِي قَدْ حَضَرَ.
٧ قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ أَكْمَلْتُ السَّعْيَ حَفِظْتُ
الْإِيمَانَ ٨ وَأَخِيرًا قَدْ وَضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ الَّذِي يَهَبُهُ لِي
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدِّيَّانُ الْعَادِلُ وَلَيْسَ لِي فَقْطُ بَلْ
لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا .

٢ تيموثاوس ٤ : ٦ - ٨

كان بولس يعلم أن النهاية قريبة جدا بالنسبة له . عندما شاخ ايماسماس
قال : « إني عجزت استحق أن أترك العالم ويجب أن أترك الجهاد لمن هم
أصغر مني سنًا » . وهكذا يضع بولس ، المحارب المسن ، أسلحته ليلتقطها
تيموثاوس .

لا يوجد في العهد الجديد كله جزءاً يشع بمثل هذه الصور الحية ، كهذا
الجزء .

قال بولس : « فان حياتي قد وصلت إلى النقطة التي يجب أن تسكب
فيها » . والكلمة التي يستعملها بولس للانسكاب تعني حرفياً الانسكاب
كذبيحة للآلهة . كانت المائدة الرومانية تختتم دائماً بنوع من الذبيحة . فيؤخذ
كأس خمر ويسكب للآلهة . وكأنما لسان حال بولس يقول : « مال النهار ؛
وحل ميعاد القيام والرحيل ، ويجب أن تسكب حياتي ذبيحة لله » .

لم يكن يخطر ببال بولس أنه سيقتل ؛ بل شعر أنه سيقدم حياته لله .
لم تكن حياته على وشك أن تؤخذ منه ، بل كان على وشك أن يضعها
منذ اللحظة التي تحول فيها بولس وهو يقدم كل شيء لله - ماله ، علمه ،
قوته ، وقته ، حيوية جسده ، حدة عقله ، ووفاء قلبه للجياش بالعاطفة
ولم تبق إلا الحياة نفسها ليقدمها ، وها هو بولس ينتوى أن يضعها بسرور .

ثم يمضي فيقول : « وقت انحلالى قد حضر » والكلمة التي يستعملها
للانحلال كلمة نابضة بالحياة ؛ وتشتمل على صور كثيرة ، كل منها يحكى
لنا شيئاً عن مغادرة هذه الحياة :

(أ) فهي تعنى فك الحيوان من قيده بالعربة أو المحراث . الموت بالنسبة
لبولس راحة من تعب الكفاح . وهو سعيد أنه سيضع حملة جانبا .
وكما أجماعها سبنسر : راحة بعد عناء ، ميناء بعد بحر عاصف ،
موت بعد حياة ، كلها أشياء محبوبة . سينام جيداً بعد حياة ممتلئة
بالهم .

(ب) وهي كلمة تعنى فك القيود أو السلاسل . الموت بالنسبة لبولس
تحرير وانطلاق من الأسر . فيه يستبدل جدران السجن الرومانى
الكثيبة المحدودة بالحرية الرائعة فى رحاب السماء .

(ج) وهي كلمة تعنى إرخاء حبال الخيمة . بالنسبة لبولس كان ميعاد
القيام برحلة جديدة قد حل . كم من رحلة قام بها عبر طرق
آسيا الصغرى وأوروبا . والآن يستعد للقيام بآخر وأعظم رحلاته
جميعاً ؛ فهو يأخذ الطريق الذى يقوده الله .

(د) وهي كلمة تعنى إرخاء حبال السفينة التي تربطها إلى الشاطئ

مرات عديدة يبحر فيها بولس عبر البحر الأبيض المتوسط ،
ويشعر بالسفينة تغادر الميناء إلى المياه العميقة . والآن فهو على
وشك أن ينطلق إلى أعظم الأعماق جميعاً ؛ فقد أرخى قلاعه
ليعبّر مياه الموت ليصل إلى مرساة الأبدية .

بالنسبة للمسيحي ، في الموت إلقاء للحمل جانباً لكي يستريح . وفي الموت
غفك للقيود لنصير أحراراً . وفي الموت رحلة تتيح لنا الإقامة في أركان السماء .
وفي الموت إلقاء للحبال التي تقيّدنا بهذا العالم فترخي قلاعنا لرحلة تنتهي في
حضرة الله . من يرهّب هذا الموت إذاً .

فرحة الجهاد الحسن

وهكذا يمضي بولس ، متكلماً بهذه الصور النابضة الحياة التي كان فيها
سيداً لا يذاني : « جاهدت الجهاد الحسن : أكملت السعى : حفظت الإيمان » .
والاحتمال أن بولس هنا لا يستعمل ثلاث صور مختلفة من زوايا نواحي
مختلفة للحياة ، بل يستعمل صورة واحدة من ناحية واحدة في الحياة ، من
الألعاب .

أولاً ، يقول : « جاهدت الجهاد الحسن » . وكلمة الجهاد تعني
مسابقة في ساحة الألعاب . عندما يستطيع رياضي أن يقول بصدق ، إنه فعل
أحسن مألديه ، وأنه يترك الميدان بعد أن بذل فيه آخر قطرة من طاقته ،
وعندما يشعر أن المسابقة كانت حسنة وعادلة ، وعندئذ يستوى لديه الفوز
والخسارة ، لأنه سيشعر في داخله بعمق الرضى . وقد أتى بولس للنهاية ،
وهو ملء بالثقة أنه قدم عرضاً جيداً . عندما ماتت أم سير جيمس بارى ،

صرح بارى بثقة كبرى « إني أنظر إلى الخلف ، ولا أستطيع أن أرى شيئاً ،
مهما قل شأنه ، لم يتم » . لا يوجد في العالم كله رضى يوازي ذلك الذى
يقول من معرفتنا أننا فعلنا أحسن ما لدينا .

ثانياً ، يقول بولس : « أكملت السعى » . هذا هو بالضبط عين
الصعوبة في الحياة . ما أسهل أن نبدأ ، وما أشق أن نكمل . الشيء الوحيد
الضرورى للحياة هو القوة المحتملة المستمرة ، وهى تعوز الكثيرين . أقترح
على أحد مشاهير الرجال أن يكتب تاريخ حياته وهو حي . ولكنه رفض
بإصرار أن يوافق على ذلك ، وسبب رفضه كان : « لقد رأيت رجالاً
كثيرين يسقطون عند القفزة الأخيرة » . من السهل تحطيم حياة نبيلة بنحتم
طائش ؛ من السهل إتلاف سجل حافل ، فى عملنا بالعالم وفى الكنيسة ، بعمل
واحد خاطئ . ولكن بولس يشهد بأنه أكمل السعى . هناك رضى عميق فى
الوصول إلى الهدف . ربما أعظم سباق فى العالم هو سباق الماراثون . كانت
معركة الماراثون إحدى معارك التاريخ الفاصلة . ففيها التقى الإغريق بالفرس ،
ولو كان الفرس قد انتصروا ، لانطفأت هذه الشعلة التى حملتها اليونان ومنها
شع الضياء إلى بقية العالم . انتصر الإغريق ضد احتمالات مضادة رهيبية ، وبعد
المعركة ، جرى جندي إغريقى كل الطريق ، ليلاً ونهاراً ، حتى وصل أثينا
بالأنخبار . وإلى مشرعى أثينا جرى مباشرة وصاح لاهثاً « افرحوا ، لقد
انتصرنا » . وسقط صريعاً وهو يوصل رسالته . لقد أكمل السعى ، وأدى
عمله ، وليس هناك أفضل من ذلك لكى تنتهى الحياة .

ثالثاً ، يقول بولس : « حفظت الإيمان » ولهذا الجملة أكثر من
معنى . وأكثر من خلقية . لو أردنا الاحتفاظ بصورة الألعاب ، لكانت
الخلقية هكذا . كانت الألعاب الأولمبية فى اليونان هى أعظم الألعاب . وإليها

كان يحج أعظم الرياضيين في العالم . وفي اليوم السابق للألعاب ، يجتمع كل المتنافسون ، ويقسمون قسماً خطيراً أمام الآلهة ، أنهم أدوا تمريناً لا يقل عن عشرة أشهر ، وأنهم لن يلجأوا إلى أى خدعة للفوز . ثم يأخذون على أنفسهم تعهدات صارمة أن يحافظوا على قوانين الشرف في صراعهم . وإذا يمكن أن يكون معنى ما يقوله بولس هو هذا : « لقد حافظت على القوانين . لقد أدبت الألعاب » . إنه أمر عظيم أن نموت عالمين أننا لم نعتد إطلاقاً — خلال حياتنا — على أمور الشرف والأمانة في سباق الحياة .

ولكنه سبق القول إن هذه الجملة تحمل أكثر من معنى . فهي جملة تستعمل كثيراً في دوائر العمل . وهي الجملة اليونانية المعتادة التي تعني « لقد حافظت على شروط العقد ؛ وكنت أميناً لارتباطاتي » . لو كان بولس قد استعملها في هذا المعنى ، يكون قصده أنه ربط نفسه بخدمة المسيح وأنه ظل أميناً لهذا الارتباط ، ولم يتخل عن سيده مطلقاً . وهناك معنى أبعد من ذلك : « حفظت الإيمان : لم أفقد ثقتي ورجائي مطلقاً » . لو كان استعمال بولس للجملة بهذا المعنى ، يكون قصده أنه في الشدة والرخاء ، في الحرية وفي العبودية ، خلال أخطاره جميعاً بالبر والبحر . والآن في وجه الموت ذاته ، لم يفقد ثقته الكاملة وإيمانه بيسوع المسيح . في داخل هذا القلب كان هناك قبس من الرجاء ، لم يخب أبداً ، بل ظل يشتعل بثبات طيلة أيام الحياة جميعاً ، وما زال يضيء في وجه الموت .

وهكذا يمضي بولس ليقول إن الأكليل قد وضع له . في الألعاب اليونانية كانت أعظم الجوائز إكليل الزهر . يتوج به الفائز ؛ وهو أعظم شرف يمكن لأي رياضي أن يتطلع إليه . كانوا يجاهدون لأجل إكليل من الزهر سيدبل ويضمحل في أيام قليلة ، ولكن بولس كان يعلم أن ما ينتظره إكليل لا يضمحل ولا يدبل .

فى هذه اللحظة ينتقل بولس من قضاء الناس الى قضاء الله . كان بولس يعلم أنه فى فترة قصيرة جداً سيمثل أمام كرسى القضاء الرومانى ، وأن محاكمته ليس لها إلا نهاية واحدة . كان يعلم قضاء نيرون ، ولكنه كان يعلم أيضاً قضاء الله . الرجل الذى كرس حياته ليسوع المسيح لا يهتم قضاء الناس . فلن تؤثر فيه إدانتهم له طالما يسمع صوت سيده « حسناً فعلت ! » .

ثم يعلن بولس شيئاً آخر – أن هذا الإكليل ليس فى انتظاره وحده فقط ؛ بل أيضاً فى انتظار كل من يتوقعون مجىء الملك . وفى هذا كأنما يقول بولس لتيموثاوس : « ياتيموثاوس ، إن نهايتى قريبة : وأنا أعلم أننى أذهب لمكافأتى . لو تبتعت خطواتى ، ستشعر بنفس الثقة وبنفس السرور عندما تأتيك النهاية » . إن السرور الذى يفيض فى قلب بولس متاح لكل شخص يجاهد نفس الجهاد ، ويكمل السعى ، ويحفظ الإيمان .

قائمة الشرف والعار

٩ بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ إِلَى سَرِيْعًا ١٠ لِأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ
تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ وَذَهَبَ إِلَى تَسَالُونِيكِي
وَكْرِيسْتِكِيُسَ إِلَى غِلَاطِيَّةَ وَتِيَطُسَ إِلَى دَلْمَاطِيَّةَ .
١١ لَوْ قَا وَخَذَهُ مَعِي . خُذْ مُرْقُسَ وَأَخْضِرْهُ مَعَكَ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لِي
لِلْخِدْمَةِ . ١٢ أَمَّا تِيخِيْكُسُ فَقَدْ أَرْسَلْتُهُ إِلَى أَفَسُسَ .
١٣ الرِّدَاءَ الَّذِي تَرَكَتُهُ فِي تَرُؤَاسَ عِنْدَ كَارْبُسَ أَخْضِرْهُ مَتَى .
جِئْتَ وَالْكِتَابَ أَيْضًا وَلَا سِيَّامَا الرُّقُوقُ . ١٤ إِنْ كُنْدَرُ
النَّحَّاسُ أَظْهَرَ لِي شُرُورًا كَثِيرَةً . لِيُجَازِهِ الرَّبُّ حَسَبَ
أَعْمَالِهِ . ١٥ فَاحْتَفِظْ مِنْهُ أَنْتَ أَيْضًا لِأَنَّهُ قَاوِمٌ أَقْوَالَنَا
جِدًّا .

٢ تيموثاوس ٤ : ٩ - ١٥

يخطط لنا بولس هنا قائمة شرف وقائمة عار لأصدقائه . البعض منهم
لا نعرف عنهم غير الاسم فقط ، كما نعرف القليل عن البعض الآخر ممن
ورد ذكرهم في أعمال الرسل والرسائل : ويمكننا أن نعيد بناء بعض القصص
باستعمال شيء من الخيال . لننظر إذاً إلى هؤلاء الرجال في تلك القائمة .

رحلة ديماس الروحية

يأتي ديماس في صدر القائمة . ويذكر اسم ديماس ثلاث مرات في رسائل بولس ؛ وربما أمكننا التعرف على المأساة خلال هذه الإشارات الثلاث :

(١) في فيلمون ٢٤ يذكر ديماس مع مجموعة من الأشخاص يدعوهم بولس العاملين معه .

(٢) في كولوسي ٤ : ١٤ يذكر ديماس بدون تعليق على الإطلاق .

(٣) هنا ديماس هو ذلك الإنسان الذي ترك بولس لأنه أحب العالم الحاضر . أولاً ، ديماس هو ديماس العامل مع بولس ؛ ثانياً ، ديماس هو مجرد ديماس ؛ ثالثاً ، ديماس هو الهارب الذي أحب العالم . نصادف هنا قصة الانحلال الروحي . خطوة بعد خطوة والعامل الزميل يتجه إلى الهرب ولقب التشریف ينحدر إلى اسم العار .

ماذا حدث لديماس ؟ هذا ما لا نستطيع الإجابة عليه بالتأكيد ، ولكن يمكننا أن نحمن .

١ - ربما تبع ديماس المسيح دون أن يحسب أولاً حساب النفقة . ربما كان ديماس واحداً من أولئك الذين يأتون إلى المسيح في لحظة نبلي روحية . أو ربما جرفته إلى الكنيسة لحظة عاطفية عاصفة ، لم تسمح له بالتفكير فيما يعنيه أن يكون مسيحياً . وربما لم يكن ديماس ملاماً على الإطلاق . هناك نوع من التبشير يعلن :

« لا قبل المسيح ومستجد راحة وسلاماً وفرحاً » . نحس بعمق وبركة هذه الحقيقة في أعماق إحساساتنا ومشاعرنا . ولكن من الحق أن يقال أيضاً إن

متاعبنا تبدأ عندما نقبل المسيح . حتى هذه اللحظة كانت حياتنا فى انسجام مع العالم ومع مقاييس العالم . ولا شك أنها حياة سهلة ، لأننا نتبع فيها أقل الطرق مقاومة وأيسرها سيراً ، فى رفقة الجموع . ولكن متى ما قبل الإنسان المسيح فانه يكون قد قبل ضمناً مجموعة جديدة تماماً من المقاييس ؛ ويصبح مرتبطاً بحياة جديدة تماماً فى عمله ، فى علاقاته الشخصية ، فى مسراته ، فى سلوكه ، فى ألفاظه ، وفى الأشياء التى يسمح لنفسه بعملها . ولا بد من حدوث صدام . ربما اندفع ديماس إلى الكنيسة تحت تأثير لحظة عاطفية دون أن يقلب الأمر جيداً ؛ ثم كان عليه أن يحيا تحت الضغط ، والاضطهاد ، وضرورة التضحية ، والوحدة ثم أخيراً السجن . وترك ديماس الكنيسة لأنه لم يتوقع شيئاً من هذا القليل . متى ما أخذ إنسان عهداً أن يتبع المسيح ، يجب أن يعرف جيداً ما هو مقبل عليه .

٢- ربما غلب ديماس وهن السنين . وللسنين طريقتهما فى أخذ مثلنا بعيداً ، وإشعارنا بالرضاء بالقليل فالأقل ، وإنقاص مقاييسنا ، واعتيادنا تقبل الهزيمة ، نخبرنا سزر لاند كيف كان شعوره عند تخرجه كطبيب . كان إذا سمع هذا القول « أيجاد طبيب هنا ؟ » سواء فى الشارع أو فى أى مكان آخر ، ملكه الحماس وشعور الفخر فيتقدم حالا للمساعدة . ولكن بمرور السنين ، أصبحت دعوة كهذه مثاراً للضيق . اختفى الحماس .

وعظ دين إنج عن مزمور ٩١ : ٦ - « الهلاك الذى يفسد فى الظهيرة » . دعاه « خطر العمر المتوسط » . ليس هناك أخطر من التهديد الذى تتعرض له مثلنا من تهديد السنين . وهو تهديد لا علاج له ولا يمكن التغلب عليه إلا بالحياة المشمولة بروعة وجود يسوع المسيح .

٣- قال بولس عن ديماس « إنه أحب العالم الحاضر » . ربما كانت

مشكلة ديماس بسيطة للغاية ولكنها مع ذلك فظيعة . ربما كانت ببساطة محبة ديماس للحياة المريحة أكثر من محبته للمسيح ، إنه فضل الطريق السهل عن الطريق الذى يقود أولاً للصليب ثم للنجوم . ربما رغب ديماس أن يكون شخصاً ناجحاً فى العالم أكثر من رغبته أن يكون مسيحياً .

إننا نذكر ديماس ، لا لكى ندينه ، بل لنعطف عليه ، لأن كثيرين منا يماثلونه .

ومن المحتمل أن ما ذكر لا يمثل بداية أو نهاية قصة ديماس . فديماس هو مختصر الاسم ديمتريوس . والآن فان اسمى ديماس وديمتريوس من الأسماء المعتادة والرأى الذى سنقترحه حالا لا يشترط أن يكون حقيقة تاريخية ، ولكن ربما كان هذا ما حدث فعلا نتيجة لرحمة الله .

نصادف ديمتريوس مرتين فى العهد الجديد . كان هناك ديمتريوس الذى قاد شغب الصباغة فى أفسس ، وكان يود أن ينصب محكمة لبولس ، لأنه أفسد عليهم تجارة الهيكل (أعمال ١٩ : ٢٥) . وكان هناك ديمتريوس الذى كتب عنه يوحنا أنه مشهود له من الجميع ومن الحق نفسه ، كما أن يوحنا يشهد له بنفسه شهادة صادقة (٣ يوحنا ١٢) . هل هذه هى بداية ونهاية القصة ؟ هل وجد ديمتريوس الصائغ فى بولس والمسيح ما أحاط بإجماع قلبه ؟ هل تحول قائد الشغب المعادى إلى المسيح ؟ ممكن أن يكون هذا قد حدث . هل تبع بعد ذلك طريق المسيحية ، ثم تخلف فى الطريق وصار ديماس ، الهارب ، الذى أحب العالم الحاضر ؟ وهل لحقته نعمة الله بعد ذلك ، وأعادته ، وفدته وأعطته حياة جديدة ، وصيرته ديمتريوس الأفسسى الذى يكتب عنه يوحنا أنه كان خادماً الحق يشهد له الجميع ؟ هذا ما لن نعرفه أبداً ، ولكنه

جيد أن نخامرنا هذا الفكر ، إن تهمة الخيانة والمهرب لم تكن الحكم النهائي
على حياة ديماس .

قائمة الشرف والعار

لنتابع بحثنا في قائمة الشرف والعار

الأنمي الذي شهد له الجميع

بعد ما تكلم بولس عن الشخص الذي تركه استطرد في الكلام عن
الشخص الذي ظل مخلصاً له حتى الممات « لوقا وحده معي » . ما نعرفه عن
لوقا قليل جداً ، ولكن من هذا القليل الذي نعرفه تبدو لنا شخصية من
أعذب الشخصيات في العهد الجديد .

١ — نعرف شيئاً واحداً من سياق القصة — رافق لوقا بولس في رحلته
الأخيرة إلى روما وإلى السجن . ولوقا هو كاتب أعمال الرسل . هناك عدة
 فقرات في الأعمال مكتوبة في صيغة الجمع ، فقرات يذكر فيها : « نحن فعلنا
 هذا ؛ نحن فعلنا ذلك » عندما يكتب لوقا في هذه الصيغة ، لنثق أنه يصف
 حوادث وظروفاً كان هو نفسه طرفاً فيها . فمثلاً أعمال ٢٧ يصف اعتقال
 بولس في روما ، والقصة المذكورة في صيغة نحن . من هذا نتأكد أن بولس
 كان هناك . وأيضاً يمكننا استنتاج شيء آخر . ربما كان حقيقياً فقد كان
 للسجين الذي سيحاكم في روما ، الحق في اصطحاب عبيد .

وهناك احتمال كبير أن لوقا سجل نفسه كعبد لبولس حتى يسمح له
 بمرافقته إلى روما ثم إلى السجن . إذ فليس عجباً أن يذكر بولس لوقا
 وصوته يتهدج بالحب . ليس هناك شك في أن إخلاصاً كهذا قد بلغ المنتهى
 أن يصير لوقا عبد لبولس مفضلاً ذلك على الانفصال عنه .

٢ - ولا يوجد في العهد الجديد إلا إشارتان واضحتان إلى لوقا . في كولوسي ٤ : ١٤ يوصف بأنه الطيب المحبوب . كان بولس يدين بالكثير للوقا . كان بولس يعاني من عذاب شوكة الجسد ؛ ولا بد أن لوقا كان الشخص الذي يمرضه ، ويعتني به ويسهر عليه ، ويخدمه بكل ما أوتي من براعة لتخفيف حدة الألم ، وليمكنه من الصمود والاستمرار . كان لوقا رقيق القلب ، ولا يبدو أنه كان بارعاً في الوعظ أو التبشير ؛ بل كان الشخص الذي يؤدي دوره في صورة خدمة شخصية . منحه الله قدرة الشفاء على يديه ، وكانت هذه هي المهارة التي خدم بها لوقا الله . الرقة هي الصفة والفضيلة التي ترفع الإنسان فوق مستوى الشخص العادي . البلاغة تنسى ؛ والنباهة العقلية يمكن أن تعيش في الصفحة المكتوبة ، ولكن الرقة تحيا على عرش القلوب .

٣ - الإشارة الثانية إلى لوقا جاءت في فيليمون ٢٤ ؛ وهناك يدعو بولس العامل معي . لوقا هو الشخص الذي يشارك في العمل ؛ لم يكتف فقط بالكتابة ؛ ولم يكتف فقط بمزاولة مهنته كطبيب ؛ ولكنه مد يديه ليعمل . الكنيسة ملأى بالمتكلمين ؛ والكنيسة ملأى بأولئك الذين يريدون أن يأخذوا منها أكثر مما يعطون ؛ أما لوقا فكان أحد هؤلاء الذين لا يقدر ثمنهم - كان أحد العاملين في الكنيسة .

٤ - هناك إشارة محتملة إلى لوقا في العهد الجديد . ففي ٢ كورنثوس ٨ : ١٨ جاء ذكر « الأخ الذي مدحه في الإنجيل في جميع الكنائس » . منذ الأيام الأولى للكنيسة يعرف هذا الأخ بلوقا . فلوقا هو الإنسان الذي شهد له الجميع . كان الصديق الوفي حتى الموت ؛ كان الإنسان رقيق القلب ؛ وكان الشخص الذي كرس نفسه للخدمة والعمل . مثل هذا الإنسان يكون دائماً محل ثناء الجميع .

قائمة الشرف والعار

لا زال هناك اسم فى هذه القائمة لم تذكر قصته المثيرة بعد

الإنسان الذى افتدى نفسه

يبحث بولس تيموثاوس أن يحضر مرقس معه « لأنه نافع لى للخدمة »
وكلمة خدمة هنا لا تشير إلى معناها المحدود أنه خدمة فى الكنيسة ، بل يقصد
منها المعنى الأشمل وهى الخدمة العامة . يقول بولس : « أحضر مرقس ،
لأنه نافع جداً فى الخدمة » أو كما يقول سكوت ؛ « أحضر مرقس ، لأنه
يستطيع أن يستخدم يديه فى أى شىء » . أو كما نصفها نحن فى لغتنا الاعتيادية :
« أحضر مرقس ، لأنه شخص مفيد فى وجوده معنا » .

تقلب مرقس فى عدة ظروف غريبة ، عندما بدأت الكنيسة كان حدثاً
صغيراً ، ولكنه عاش فى مركز حياة الكنيسة . عندما هرب بطرس من
السجن ، توجه لبيت مريم أم مرقس ، ويمكننا من هذا أن نستنتج أن بيت
أم مرقس كان هو مركز اجتماعات الكنيسة فى أورشليم (أعمال ١٢ : ١٢) .

عندما قام بولس وبرنابا بأول رحلة تبشيرية لهما ، أخذوا مرقس معهما ،
واسمه الكامل يوحنا مرقس ، ليكون لهما عوناً ومساعداً (أعمال ١٣ : ٥) .
وكانت كل الأمور تشير إلى أن مرقس يعد لمستقبل عظيم فى صحة بولس وفى
خدمة الكنيسة . ولكن حدث حين ذاك أمر . إذ حينما غادر بولس وبرنابا
بمفيلية وأخذوا الطريق الوعر الخطر الذى يقود إلى داخل هضبة آسيا الصغرى ،
تخلّى عنهم مرقس وعاد إلى بيته (أعمال ١٣ : ١٣) . فارقه شجاعته وإنهارة
أعصابه فرجع .

وتصلب بولس في موقفه إزاء هذا الهروب . عندما استعد بولس وبرنابا للقيام برحلتها التبشيرية الثانية ، أراد برنابا أن يصطحبا مرقس - وكان قريباً له (كولوسي ٤ : ١٠) - معهما مرة ثانية . ولكن بولس رفض بإصرار أن يأخذ هذا الهارب معه مرة ثانية ؛ وكان الخلاف بينهما عنيفاً وحاداً لدرجة أن بولس وبرنابا انفصلا ، ولم يعملوا معاً مرة أخرى (أعمال ١٥ : ٣٦ - ٤٠) . إذآ ، كان هناك وقت رأى فيه بولس أنه لا فائدة ترجى من مرقس وهو الهارب الجبان في نظره ، لذلك رفض كلية أن يأخذه ضمن العاملين معه .

ما حدث لمرقس بعد ذلك غير معروف . تذكر التقاليد أنه ذهب إلى مصر وأنه كان المؤسس للكنيسة المسيحية فيها . مهما كان العمل الذي أداه مرقس ، فمن المؤكد أنه افتدى نفسه . عندما كتب بولس الرسالة إلى كولوسي من سجنه بروما ، كان مرقس معه ، وأثنى عليه بولس للكنيسة في كولوسي وكلفهم باستقباله . والآن ، عندما اقتربت النهاية ، كان الشخص الوحيد الذي يريده بولس ، بخلاف حبيبه تيموثاوس ، هو مرقس ، لأنه كان نافعاً في وجوده . تحول مرقس الهارب إلى مرقس الذي يعمل كل شيء في خدمة بولس وخدمة الإنجيل .

ألقى فوزديك مرة عظة تحمل هذا العنوان العظيم « لا يتحتم بقاء أي إنسان كما جبل عليه » . مرقس هو البرهان الحي على ذلك . في مرقس تشجيع وإلهام لنا ، لأن مرقس هو الشخص الذي فشل ولكنه رغم ذلك عمل صالحاً . وحتى يومنا هذا ، يستطيع يسوع المسيح أن يشجع روح الجبان ، وأن يشدد الحائر للجهاد . يمكنه أن يوقظ روح البطولة القائمة في نفس كل إنسان . ويستطيع أن يحول عار الفشل إلى فرح انتصار الخدمة .

قائمة الشرف والعار

المعاونون ، والمعاند ، وطلب أخير

وتمضى قائمة الأسماء فى العرض . لا نعلم عن كريسكيس شيئاً على الإطلاق . أما تيطس فكان واحداً من أكثر أعوان بولس إخلاصاً . يدعو بولس ، « ابنى الصريح » (تيطس ١ : ٤) . عندما أقلقه الاضطراب الحادث فى كنيسة كورنثوس ، كان تيطس واحداً من مرسلى بولس لمعالجة الأمور (٢ كورنثوس ٢ : ١٣ ؛ ٧ : ٦ ، ١٣ ، ١٢ : ١٨) أما تيخيكس فقد أوثمن على توصيل الرسالة إلى أهل كولوسى (كولوسى ٤ : ٧) ، والرسالة إلى أهل أفسس (أفسس ٦ : ٢١) . كانت مجموعة معاونى الصغيرة مبعثرة بين الكنائس المختلفة ، لأن العمل كان لا بد أن يستمر حتى أثناء وجود بولس فى السجن ؛ وكان على بولس أن يعانى الوحدة حتى يتقوى معاونوه المتفرقون ويجدون الإرشاد والتعزية .

ثم يأتى ذكر شخص قاوم وعاند بدلاً من أن يساعد : « اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة » . لا نعرف ماذا فعل اسكندر ؛ ولكن ربما أمكننا استنتاج الضرر الذى أحدثه . الفعل الذى يستخدمه بولس فى اليونانية يظهر أو يعرض ؛ وكان غالباً ما يستعمل عند التبليغ ضد شخص ما . كان المخبرون لعنة كبرى فى حياة روما فى ذلك الوقت . كانوا يتصيدون العطاء والمكافأة نظير إبلاغهم عن آخرين . ربما كان اسكندر مسيحياً مرتدداً ، تبرع أمام المحاكم ببلاغات كاذبة شريرة ضد بولس . أو ربما انقلب اسكندر ضد بولس وأراد أن يحطمه بكل طريقة قبيحة ومشينة .

طلب بولس عدة طلبات شخصية . كان يريد الرداء الذى تركه خلفه فى

بيت كاربس في ترواس . هذا الرداء عبارة عن ثوب مستدير ، وله فتحة متوسطة للرأس ، وعندما يوضع على الجسم يغطي الإنسان كخيمة صغيرة تصل إلى الأرض . كان رداء للشتاء ولا بد أن بولس كان يعاني من برد السجن في روما .

أراد إحضار الكتب ؛ والكلمة تعني حرفياً لفائف البردي ؛ وربما كانت هذه اللفائف مشتملة على النسخ الأولى للأناجيل . وأراد إحضار الرقوق . والرقوق لا تخرج عن واحد من شيئين . ربما كانت مستندات بولس القانونية الضرورية له وخاصة شهادة أنه مواطن روماني . وهناك احتمال أكثر أنها نسخ من الكتب العبرية المقدسة ، العهد القديم ، لأن اليهود نسخوا كتبهم المقدسة على رقوق من جلود الحيوانات . كانت كلمة يسوع وكلمة الله هي التي أرادها بولس فوق كل شيء آخر ، وهو ملق في السجن ينتظر الموت .

والتاريخ يعيد نفسه بطريقة غريبة . فبعد ألف وخمسمائة عام ، كان وليام تندال راقداً في السجن في فلفورد ، ينتظر الموت ، لأنه تجراً وترجم الكتاب المقدس إلى اللغة التي يتكلم بها الناس . كان شتاء رطباً بارداً ، فكتب إلى صديق له : « أرسل لي ، لأجل خاطر يسوع ، عباءة وشيئاً أستطيع أن ألفه حول ساقى ، وقيصاً من الصوف ، وفوق الكل كتابي المقدس بالعبرية » عندما انقلبت الأمور ضدهم ، وحلت عليهم نسمة الموت الباردة ، لم يرد هؤلاء العظماء شيئاً غير كلمة الله لتعطيهم القوة والشجاعة التي تحتاجها نفوسهم .

كلمات أخيرة وتحيات

١٦ في أختِجَاجِي الْأَوَّلِ لَمْ يَخْضِرَ أَحَدٌ مَعِيَ بَلِ الْجَمِيعُ
تَرَكَونِي . لَا يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ ١٧. وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَقَفَ مَعِيَ
وَقَوَانِي لِكَيْ تُتَمَّ بِى الْكِرَازَةُ وَيَسْمَعَ جَمِيعُ الْأُمَمِ فَأُنْقِذْتُ
مِنْ فَمِ الْأَسَدِ ١٨. وَسَيَنْقِذُنِي الرَّبُّ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ رَدِيءٍ
وَيُخَلِّصُنِي لِمَلَكُوتِهِ السَّامَوِيِّ . الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ
الدُّهُورِ . آمِينَ .

١٩ سَلِّمْ عَلَى فِرِسْكَاءَ وَأَكِيلَا وَبَيْتِ أَنْيَسِيفُورُس .
٢٠ أَرَاثُسُ بَقِيَ فِي كُورِنْثُوس . وَأَمَّا ثَرْوَفِيمُسُ فَتَرَكَهُ
فِي مِيلِيئُسَ مَرِيضاً ٢١. بَادِرُ أَنْ تَجِيءَ قَبْلَ الشَّتَاءِ .
يُسَلِّمْ عَلَيْكَ أَفْبُولُسُ وَبُودِيسُ وَلِينُسُ وَكَلَاْفِدِيَّةُ
وَالْإِخْوَةُ جَمِيعاً ٢٢. الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ
مَعَ رُوحِكَ . النُّعْمَةُ مَعَكُمْ .

آمِينَ

تبدأ المحاكاة الرومانية بامتحان مبدئي لصياغة نوع التهمة بالضبط التي ستوجه إلى السجين . عندما أحضر بولس أمام هذا الامتحان المبدئي ، لم يقف معه أى واحد من أصدقائه . كان من الخطورة بمكان أن يظهر أى إنسان صداقته لشخص حياته مهددة . أمام القضاء .

من الأشياء الغريبة عن هذا الجزء ما يعيده من ذكريات المزمور ٢٢ « لماذا تركتني ؟ » « كل الناس تركوني » . « لا يوجد من معين » . « لم يكن هناك واحد ليقف معي » . « أنقذني من فم الأسد » . « كل أقاصي الأرض تذكر وترجع إلى الرب » . « حتى تسمع الأمم » « الملك للرب » . « سيخلصني ملكوته السماوى » . يبدو مؤكداً أن كلمات هذا المزمور كانت تدور في عقل بولس . ومن الأشياء الجميلة أن هذا هو المزمور الذى كان يدور بعقل يسوع عندما كان معلقاً على صليبه ، لأن هذا هو المزمور الذى يبدأ بـ « إلهي ، لماذا تركتني ؟ » وينتهي بالانتصار (مزمور ٢٢ : ٣١ ؛ متى ٢٧ : ٤٦) عندما واجه بولس الموت ، وجد الراحة والعزاء والشجاعة في نفس المزمور الذى لجأ إليه ربه في نفس الظروف .

استمد بولس الشجاعة في هذه الساعة الرهيبة من ثلاثة أشياء .

١ - كل الناس تركوه ، ولكن الرب وقف معه . وعد يسوع أنه لن يترك أوينسى خاصته . قال إنه سيكون معهم حتى نهاية العالم ، وبولس شاهد أن يسوع يحفظ وعده .

٢ - لم ينس بولس قط التبشير بيسوع . إنه يستغل حتى ساحة المحكمة الرومانية ليعلن رسالة المسيح . لقد أطاع وصيته ، وشهد للمسيح ، في الوقت المناسب وغير المناسب . وقد انشغل تماماً بهذا التبشير لدرجة أنسته الخطر . من فقد نفسه وضاع في زحمة عمله ينتصر على الخوف .

٣ - كان واثقاً تماماً من الخلاص التام . بدا أحياناً أن بولس ضحية الظروف ، ومجرم مدان أمام القضاء الروماني ؛ ولكن بولس كان ينظر إلى ما بعد الزمن ، وكان يعرف أن سلامه الأبدى قد تأكد . من الأفضل أن تمر بخطر لحظة وتكسب السلام الأبدى ، عن أن تكون في سلام لفترة قصيرة تتبعها أبدية مشكوك فيها .

الخاتمة

وأخيراً يأتي دور السلام والتحيات . هناك تحية لفريسكا وأكيلا ، الزوج والزوجة اللذان فتحا بيتهما ليكون كنيسة دائمة ، أينما كانوا ، واللذان عرضا حياتهما للخطر لأجل بولس (أعمال ١٨ : ٢ ؛ رومية ١٦ : ٣ ، اكورنثوس ١٦ : ١٩) . هناك تحية لاني سيفورس الشجاع ، الذي بحث عن بولس ووجده في السجن بروما (٢ تيموثاوس ١ : ١٦) ، والذي دفع حياته ثمناً لوفائه . هناك تحية لاراستس ، الذي أرسله بولس مرة كبعوثة إلى مكدونية (أعمال ١٩ : ٢٢) ، والذي التحق بكنيسة روما فيما بعد (رومية ١٦ : ٢٣) . هناك تحية لتروفيمس ، الذي اتهم بولس مرة بأنه أحضره ، وهو الأعمى ، إلى داخل حدود الهيكل في أورشليم . وهي حادثة بدأ بها سجن بولس الأخير (أعمال ٢٠ : ٤ ؛ ٢١ : ٢٩) . وأخيراً هناك تحيات من أفبولس وبوديس ولينس وكلافدية . في التاريخ يذكر أن لينس كان أول أسقف لروما .

وهكذا يأتي بولس إلى الخاتمة ، بأن يرجو لأصدقائه وجود الرب وروح الرب مع نفوسهم ، وكلمته الأخيرة هي نعمة دائماً .

رسالة بولس الرسول
إلى تيطس

الأصحاح الأول

مصادر الرسول

١ بُولُسُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِ
إِيمَانٍ مُخْتَارِي اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ حَسَبُ التَّقْوَى
٢ عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللَّهُ الْمُنْزَةَ عَنِ
الْكَذِبِ قَبْلَ الْأَزْمِنَةِ الْأَزَلِيَّةِ ٣ وَإِنَّمَا أَظْهَرَ كَلِمَتَهُ فِي
أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ بِالْكَرَازَةِ الَّتِي أَوْثُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهَا بِحَسَبِ
أَمْرِ مُخَلِّصِنَا اللَّهِ ٤ إِلَى تَيْطُسَ الْإِبْنِ الصَّرِيحِ حَسَبِ
الْإِيمَانِ الْمُشْتَرَكِ نِعْمَةً وَرَحْمَةً وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَالرَّبِّ
يَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا .

تيطس ١ : ١ - ٤

كانت عادة بولس عندما يستدعى واحداً من أتباعه الموثوق فيهم
لعمل ما ، أن يبدأ باظهار حقه كرسول في الكتابة ، وتوضيح قواعد الإنجيل
مرة أخرى . وهكذا يبدأ بولس هنا بذكر أشياء معينة عن إرساليته .

١ - كونه رسولا يضعه في صجة عظيمة . ففي البداية يدعو بولس نفسه
« عبد الله » وهذا لقب يكتنفه التواضع والفخر معاً . ويعني أن بولس ملك لله
بلا منازع ؛ ويعني أن بولس لا يملك إرادة أو وقتاً لذاته ؛ ويعني أن حياة
بولس قد سلمت كلية إلى الله . ولكن هنا أيضاً فخر ؛ لأن هذا اللقب

بالدات ، عبد الله ، كان اللقب الوحيد الذى أطلق على أنبياء وعظماء الماضى .
كان موسى عبداً لله (يشوع ١ : ٢) ؛ ولم يطالب خلفه يشوع بلقب أكبر
(يشوع ٢٤ : ٢٩) ولم يكشف الله عن إرادته وأغراضه إلا لعبيده الأنبياء
(عاموس ٣ : ٧) . وخلال تاريخ دولة إسرائيل لم يرسل لهم الله إلا عبده
الأنبياء . (أرميا ٧ : ٢٥) . لقد أعطى هذا اللقب « عبد الله » لبولس حق
المسير فى صحبة عظيمة . عندما يدخل امرؤ الكنيسة ، فإنه لا يجتاز أعتاب
مؤسسة أنشأت بالأمس ؛ إنما جماعة تمتد جذورها إلى عدة قرون من تاريخ
البشرية ، وإلى أزمنة أزلية فى عقل وأغراض الله . وعندما يأخذ إنسان على
نفسه مسئولية التبشير ، أو التعليم ، أو خدمة عمل الكنيسة ، فإنه إنما ينضم
إلى خدمة أصيلة ذات عادات وتقاليد . إنه يسلك كما سلك القديسون . إن
محضرنا فى كنيسة الله يضعنا وسط صحبة عظيمة .

٢ - كونه رسولا يعطيه سلطاناً عظيماً . كان بولس رسولا ليسوع المسيح .
ولم يخطر على بال بولس مطلقاً أن سلطانه مستمد من تفوقه العقلى البالغ ،
أو من صلاحه الأخلاقى ، ولكنه كان يتكلم بسلطان يسوع المسيح . فالرسول
يحمل فى صلاحياته سلطة من أرسله . والرجل الذى يبشر بإنجيل المسيح أو
يعلم عن الحق الذى فى المسيح ، إذا كانت حياته مكرسة بأمانة لهذا العمل ،
فانه لن يتكلم عن آرائه الخاصة ، أو يعرض استنتاجاته الشخصية ، إنما يقدم
رسالة المسيح وكلمة الله خالصة كما تلقاها . والرسول الأمين للمسيح قد تخطى
مرحلة الاحتمالات والممكنات ، وصارت كلمة تحمل يقين وسلطان من له
المعرفة .

الإنجيل الذى نادى به الرسول

وإذ نستطرد فى هذا الجزء نستبين الخلاصة فى الإنجيل الذى نادى به الرسول ، ومركز الثقل فى عمل الرسول .

١ - تركز الرسالة بأكملها على رجاء الحياة الأبدية . إن المسيحية تقدم عطية فائقة ، حياة من نوع جديد . مرات عديدة تتكرر هذه الجملة « حياة أبدية » على صفحات العهد الجديد . وفى هذا الكون العظيم بأجمعه لا يوجد إلا شخص واحد ، ينطبق عليه هذا الوصف بحق وجدارة الله الخالق وعطية المسيحية عبارة عن نصيبنا فى حياة هذا الإله الأبدى . تقدم المسيحية لنا قدرة الله لعجزنا وفشلنا ، وصفاء الله لاضطراب حياتنا ، ويقين الله لشكوكنا ، وصلاح الله لسقوطنا الأخلاقي ، وفرح الله لأحزاننا . وإنجيل المسيحية لا يقدم للناس عقيدة عقلية أو ميثاقاً أخلاقياً فقط ، إنما يقدم حياة من صميم حياة الله .

٢ - هناك أمران ضروريان ليتمكن الإنسان من دخول هذه الحياة : الإيمان والمعرفة . واجب الرسول أن يوقظ الإيمان فى الناس . والإيمان بالنسبة لبولس يعنى شيئاً واحداً دائماً - ثقة كلية مطلقة فى الله . والخطوة الأولى فى الحياة المسيحية أن ندرك أننا لا نستطيع عمل شيء لكننا نتلقى .

وفى أى مجال للحياة ، لا يمكن لأى عطاء مهما كانت قيمته وعظمته ، أن يصبح فعالاً إلا إذا قبل . والواجب الأول للمسيحي أن يقنع الآخرين بقبول عطية الله . وخلاصة الأمر ، أنه لا يمكننا أن نقنع شخصاً بالمسيحية بالجدل والنقاش . كل ما نستطيعه أن نقول ، « جربها وسترى ! » .

٣ - الأمر الثاني في واجبات الرسول هو أن يجهز الناس بالمعرفة .
فالتبشير المسيحي والتعليم المسيحي يسيران يداً في يد . والواعظ المسيحي
والمعلم المسيحي لا بد أن يكونا شخصاً واحداً . قد يبدأ الإيمان كمعاطفة
استجابية من القلب ، ولكن يجب أن ينتهي إلى العقل . والإنجيل المسيحية يجب
أن يدرس فكرياً لكي يجرب عملياً . ولا يستطيع أحد أن يحيا قابلاً فوق موجة
العواطف . يجب أن تكون الحياة المسيحية تمريناً يومياً لمحبة المسيح أكثر
ولمعرفة معرفته أفضل .

٤ - ثمرة الإيمان والمعرفة حياة البر والتقوى . فلا بد للإيمان أن يسرى
في الحياة . كما أن المعرفة المسيحية ليست معرفة ثقافية فقط . بل هي معرفة
كيف تعيش . فالعالم مليء بالأساتذة الكبار الذين ينوعون تحت ثقل ألقابهم
العلمية ، ولكن تنقصهم الكفاءة لإدارة شؤون الحياة المعتادة ، ويحقق الفشل
الكلي بعلاقاتهم الشخصية . والحياة البارة النقية حياة رجل على وفاق تام مع
الله ، ومع نفسه ، ومع رفقاته من الناس . هي حياة يستطيع فيها الشخص
أن يسمو إلى مستوى لحظات الحياة العظيمة مثلاً يعيش الحياة المعتادة اليومية ..
هي حياة يعيش فيها يسوع المسيح مرة أخرى .

إن واجب المسيحي أن يقدم للناس ذات حياة الله نفسه ، وأن يوقظ
الإيمان في قلوبهم ويعمق المعرفة في عقولهم ؛ وأن يمكن الناس من المعيشة
بطريقة تظهر للآخرين انعكاس حياة السيد في أعمالهم وأحاديثهم اليومية .

أغراض الله وأوقاته الخاصة

نخبرنا هذا الجزء عن غرض الله وخطته للإنسان ، وطريقته في تنفيذ هذا
الغرض .

١ - غرض الله للإنسان كان وما زال دائماً الخلاص . ووعده الله بحياة أبدية وجد قبل أن يكون العالم . ومن المهم ملاحظة أن بولس - في هذا الجزء - يطلق لفظ المخلص على الله وعلى يسوع معاً . أحياناً يقدم لنا الإنجيل بطريقة تشعرنا بأن هناك فرقاً بين يسوع الرقيق ، المحب ، الممتلئ نعمة ، وبين الله القاسى العبوس . أحياناً ترن الكلمات كأنما هناك حقيقة تناقضاً بين يسوع ، محب النفوس ، والله ديان النفوس . أحياناً يبدو كما لو أن يسوع قد فعل شيئاً ليغير موقف الله تجاه البشر ، وأنه قام باقناع الله أن يلتقى جانباً غضبه ونقمته على الناس . ليس هناك أى مبرر لهذا المعنى فى العهد الجديد . فخلق عملية الفداء كلها توجد محبة الله الأزلية التى لا تتبدل ، وعن هذه المحبة جاء يسوع ليخبر الناس . الله بطبيعته هو الإله المخلص ، الإله الذى يبتغى أولاً وقبل كل شئ خلاص الإنسان ، وآخر ما يود عمله معاقبته . الله هو الآب الذى ينشد عودة أولاده إلى البيت ، لا لى يحطمهم ، بل ليجمعهم إلى صدره .

٢ - ولا يقتصر هذا الجزء على بيان غرض الله الأزلى ، بل يتكلم أيضاً عن طريقته . فيقول لنا إن الله أرسل رسالته حسب أوقاله الخاصة . ومعنى هذا أن التاريخ كله كان إعداداً لحجى المسيح . ليس فى الإمكان تدريس أى نوع من المعرفة لأى شخص قبل أن يعد لتلقى هذه المعرفة . وكل من يبتغى التعليم عليه أن يمر أولاً بمراحل التعليم الصغرى قبل أن يصل إلى مراحل العليا . وفى كل فروع المعرفة الإنسانية علينا أن نبدأ من البداية . لهذا كان يجب إعداد الناس لحجى يسوع . وكل تاريخ العهد القديم ، وكل أبحاث وتطلعات فلاسفة اليونان كانت إعداداً لمقدم يسوع . كان روح الله يتحرك بين الشعب المختار ، وبين جميع الشعوب الأخرى ، لى يعدم لاستقبال ابنه عندما يحجى . تعاليم الأنبياء ، والبحث عن الحق الذى امتلأت به عقول

للناس في كل أمة ، ما كانت إلا عملية إلهام الهية المقصود منها أن تبلغ ذروتها في مجيء يسوع يحمل حق الله الكامل إلى الناس . كما يقاد الطفل في أيام دراسته من مرحلة إلى أخرى ، هكذا كان العالم كله يدرب لتلقى حق الله في ابنه ، عندما يأتي يسوع المسيح . يجب أن ننظر إلى التاريخ كله كتدريب الله للناس .

٣ - ليس هذا فقط ، بل أن المسيحية جاءت إلى العالم في وقت فريد أمكن فيه للرسالة أن تنتشر . وجدير بنا أن نتذكر أنه لم يحدث في التاريخ تواجد مثل هذه الفترة التي تيسر فيها انتشار الرسالة في أوروبا كلها . وقد تلاقت خمسة عناصر معاً في الوضع العالمي لتجعل من انتشار المسيحية أمراً ميسوراً .

(أ) كان العالم كله تقريباً يتكلم اليونانية . ولا يعني هذا أن الأمم قد نسيت لغاتها الأصلية ؛ ولكن إلى جانب هذه اللغات كان معظم الناس يتكلمون اليونانية . كانت اللغة اليونانية هي لغة التجارة ، والمبادلات التجارية ، ولغة الأدب . وكان ممحماً على كل شخص يريد أن يأخذ نصيباً في الحياة العامة وفي نشاطات المجتمع أن يعرف اليونانية . الناس جميعاً يعرفون لغتين ، استعمل الناس لغاتهم الخاصة في شئونهم الشخصية ، واليونانية في الحياة العامة . لهذا كان عصر المسيحية الأول أحد الأجيال القليلة جداً في التاريخ التي لم يصادف العمل التبشيري فيها مشكلة اللغة .

(ب) لم تكن هناك حدود بالمعنى المعروف . فالامبراطورية الرومانية كانت تشمل العالم المعروف حينئذ . أينما أراد المسافر أن يذهب ، فهو ما زال داخل حدود الامبراطورية . أما في هذه الأيام ، فيحتاج

عابر أوروبا إلى جواز سفر ، سيتوقف عند كل حدود دولة يريد الدخول لها ، سيصادف ستاراً حديدياً لا يسمح له باجتيازه — ولكن في عصر المسيحية الأول ، كان في إمكان المرسل أن يتحرك من أحد أطراف العالم المعروف إلى نهايته الأخرى دون عقبة .

(ج) كان السفر سهلاً نسبياً . حقيقة كان الانتقال بطيئاً لعدم وجود النقل الآلى ، لهذا كانت معظم الرحلات تتم مشياً على الأقدام ، بينما تحمل الأمتعة على حيوانات بطيئة الحركة . ولكن الرومان كانوا قد أتموا إنشاء شبكة الطرق العظيمة التي امتدت من قارة لأخرى ، والتي خلّت من قطاع الطرق كما خلا البحر من القراصنة ، وهكذا أصبح السفر أسهل من أى وقت سابق .

(د) تميز عصر المسيحية الأول باستتباب السلام ، كان أحد عصور التاريخ القليلة التي عم السلام فيها العالم . لو كانت هناك حروب مستعرة في أوروبا ، لتعذر على العمل المرسل أن يتقدم وينمو . ولكن السلام الروماني كان ثابتاً ، ولهذا تمكن المسافر داخل حدود الامبراطورية أن ينتقل في أمان وسلام .

(هـ) كان العالم يحس باحتياجاته . تحطمت الأديان القديمة وانهارت العبادات السائدة ؛ أما الفلسفات الجديدة فقد تعقدت وتباعدت عن مستوى عقول البسطاء من الناس . لهذا اتجهت أنظار الناس ، كما قال سنيكا ، نحو الخلاص . وكان إحساسهم بالضعف قوياً لهذا كان يحثهم عن «يد تمتد إلى أسفل لترفعهم إلى أعلا» ، عن سلام لا يعلنه قيصر بل يعطيه الله . لم يوجد في أى زمن عصر كهذا ،

تفتحت فيه قلوب الناس لتلقى رسالة الخلاص التي بشر بها مرسلو
المسيحية .

إذا لم يكن حادثاً عرضياً أن جاءت المسيحية في الوقت الذي أتت فيه .
لأنها جاءت حسب أوقات الله الخاصة . وكل التاريخ لم يكن إلا إعداداً وتدريباً
لحيثها ، وكانت ظروف هذا الزمان تتلاءم تماماً لانتشار موجة الإيمان العارمة .

تابع وفي

نحن لا نعلم الكثير عن تيطس ، الذي كتبت له هذه الرسالة ، ولكن من
الإشارات المبعثرة عنه ، تبدو لنا صورة شخص نال ثقة بولس الكاملة وكان
أكثر معاونيه خدمة وعوناً له . دعاه بولس « ابني الصريح » ، لهذا يعظم
الاحتمال في أنه نال الخلاص على يدى بولس ، وربما حدث ذلك في أيقونية .

كان تيطس رفيقاً لبولس في الظروف الصعبة . عندما ذهب بولس إلى
أورشليم ، إلى كنيسة تشك فيه وتعرض وجهها عنه ؛ كان تيطس رفيقاً له
مع برنابا (غلاطية ٢ : ١) . عندما كانت تسوء الحال مع بولس ، كان
تيطس بجانبه .

وتيطس كان رجل المسئوليات الثقيلة . عندما بلغ الاضطراب في
كورنثوس أقصاه ، كان تيطس هو الرسول إلى كورنثوس ومعه أكثر
رسائل بولس تعنيفاً وقسوة (٢ كورنثوس ٨ : ١٦) . ومن الواضح أن
تيطس كان يملك من قوة المنطق وصلابة المعدن الكثير مما مكنه أن يواجه
ويكيف هذه المواقف العسيرة . هناك نوعان من الناس . أناس يزدنون
الأمور سوءاً وأناس يخلقون من الفوضى نظاماً ومن العداوة سلاماً . وتيطس
كان الرجل الذي يوكل إليه الذهاب إلى المكان الملىء بالمتاعب .

وكان تيطس يملك موهبة في الإدارة العملية . لهذا اختاره بولس لتنظيم عملية الجمع لفقراء كنيسة أورشليم (٢ كورنثوس ٨ : ٦ ، ١٠) . ويتضح أيضاً أن تيطس لم يكن يملك بلاغة اللسان ، ولكنه كان رجل الإدارة الحازم . وجدير بالكنيسة أن تشكر الله لأجل أولئك الذين نتوجه لهم كلما احتاج الأمر لأداء مأمورية بكفاءة .

وقد أطلق بولس على تيطس عدة ألقاب عظيمة فقد دعاه ابنه الصريح . ولا بد أن هذا يعنى أن تيطس قد عرف الإيمان من بولس وصار ابنه في الإيمان (تيطس ١ : ٤) . لا شيء في هذا العالم يمكن أن يعود على الواعظ والمعلم بهجة أكثر من رؤية من تعلم وتدريب على يديه يؤدى الخدمة المفيدة للكنيسة . وكان تيطس هو الابن الذى أبهج قلب أبيه الروحى بولس .

ويدعوه بولس أخاه (٢ كورنثوس ٢ : ١٣) وشريكه في العمل والجهاد (٢ كورنثوس ٨ : ٢٣) . إنه يوم عظيم في حياة خادم الله والراعى ذلك اليوم الذى يرى فيه ابنه ينمو في الإيمان ليصير أخاه في الإيمان ، ويصير من تعلم وتدريب وتغذى روحياً على يديه كفواً ليأخذ مكانه في عمل الكنيسة ، لا كصبي بل كزميل .

ويذكر بولس عن تيطس أنه ملك بذات الروح الواحدة (٢ كورنثوس ١٢ : ١٨) . كان بولس يعلم أن تيطس سيتصرف في الأمور كما لو كان هو نفسه الذى يتصرف . ما أسعد الإنسان الذى يجد له معاوناً يستطيع أن يسند إليه العمل ، واثقاً أن هذا العمل سيتم بالطريقة التى يرغب أن يتم بها .

ويعطى بولس لتيطس مأمورية ضخمة . فيرسله إلى كريت ليكون نموذجاً للمسيحيين الذين يعيشون هناك (تيطس ٢ : ٧) . وأعظم تقدير أداه

بولس لتيطس أنه لم يرسله إلى كريت ليكلّمهم كيف يجب أن يكون المسيحى بل ليربهم كيف ينبغى للمسيحى أن يكون . ليس هناك أعظم من هذه المسئولية أو أعلا من هذا التقدير .

هناك فكرة طريفة . فى كلا من ٢ كورنثوس ٨ : ١٨ ، ٢ كورنثوس ١٢ : ١٨ ذكر أنه عندما أرسل تيطس إلى كورنثوس أرسل معه أخ آخر . وفى الجزء السابق وصف هذا الأخ بأنه « الأخ الذى عم الشفاء عليه فى جميع الكنائس » . ويرجح عادة أن هذا الأخ هو لوقا ؛ وقيل إن تيطس أخ لوقا . من الحقائق الغريبة أنه لم يأت ذكر لتيطس فى أعمال الرسل ، ولكننا نعلم أن لوقا كتب « الأعمال » ، وأنه كثيراً ما استعمل فى قصته ضمير الشخص الأول فى المضارع ، فيقول : « نحن فعلنا هذا » أو « نحن فعلنا ذلك » — وقيل إنه فى هذه الأجزاء كان يشير إلى تيطس معه . ونحن لن نعرف مطلقاً حقيقة هذا الموضوع ، ولكن من المؤكد أن تيطس ولوقا فيهما تشابه عائلى من ناحية أن كليهما كان محباً للخدمات العملية .

وتحتفل الكنيسة الغربية بذكرى تيطس فى ٤ يناير ، والكنيسة الشرقية فى ٢٥ أغسطس .

شيخ الكنيسة

٥ مِنْ أَجْلِ هَذَا تَرَكْتُكَ فِي كَرِيَتَ لِكَيِّ تُكْمَلَ
تَرْتِيبَ الْأُمُورِ النَّاقِصَةِ وَتُقِيمُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخًا
كَمَا أَوْصَيْتُكَ . ٦ إِنْ كَانَ أَحَدٌ بِلَا لَوْمٍ بَعَلَ امْرَأَةً
وَاحِدَةً لَهُ أَوْلَادٌ مُؤْمِنُونَ لَيْسُوا فِي شِكَايَةِ الْخَلَاعَةِ
وَلَا مُتَمَرِّدِينَ . ٧ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْقُفُ بِلَا لَوْمٍ
كَوَكِيلِ اللَّهِ غَيْرَ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ وَلَا غَضُوبٍ وَلَا مُذْمِنٍ
الْخَمْرِ وَلَا ضَرَّابٍ وَلَا طَامِعٍ فِي الرِّبْحِ الْقَبِيحِ .

(تيطس ١ : ٥ - ٧)

سبق أن درسنا بتفصيل صفات الشيخ كما أفردتها بولس في ١ تيموثاوس .
٣ : ١ - ٧ . لهذا ليس من الضروري شرح هذه الصفات بتفصيل مرة أخرى .

كانت عادة بولس دائماً أن يرسم شيوخاً حالماً تنشأ كنيسة (أعمال ١٤ : ٣)

وكانت هناك مدن كثيرة في كريت - مما دعا هومر أن يطلق عليها
« كريت ذات المائة مدينة » - وهذه الكنائس تحتاج لتنظيماتها وقادتها . وكان
مبدأ بولس دائماً تشجيع وتدريب الكنائس الصغيرة التي أنشأها حتى تستطيع
الموقف والاعتماد على نفسها بأسرع ما يمكن .

في هذه القائمة المعادة عن صفات الشيخ ، نجد تركيزاً خاصاً على شيء واحد .

يجب أن يكون الشيخ رجلاً قام بتعليم وتدريب عائلته في الإيمان . وقد وضع مؤتمر قرطاجنة أسس ذلك فيما بعد : « لا يرسم أساقفة أو شيوخ أو شمامسة لوظائف الكنيسة إلا بعد أن يجعلوا جميع أفراد عائلاتهم أعضاء في الكنيسة الكاثوليكية » . المسيحية تبدأ في البيت . وليس هناك فضيلة ما في أن ينشغل الشخص في خدمة عامة إلى درجة إهمال بيته وعائلته . ومجموع الخدمة في الكنيسة في العالم أجمع ليست بقادرة أن تكفر عن إهمال الشخص لعائلته .

يستعمل بولس كلمة تنبض بالحياة . يجب أن تكون عائلة الشيخ فوق مستوى الاتهام بالخلاعة والإسراف . والرجل المسرف هو الغير قادر على الاقتصاد ؛ هو شخص مبذر مسرف ينفق ماله على ملذاته الشخصية . وهي نفس الكلمة المستعملة في لوقا ١٥ : ١٣ لتصف الحياة المسرفة التي عاشها الابن الضال . والشخص المسرف يضيع ماله وفي النهاية يدمر نفسه ، لأنه إنسان مبذر متلاف . وكانت عادة أرسطو ، أعظم أساتذة الأغريق ، أن يصف فضيلة ما بأنها الوسط السعيد بين حدين . وفي حالة هذه الكلمة مسرف فالوسط الصحيح هو السخاء ؛ وأحد الحدين هو البخل ، والحد الآخر هو الإسراف ، إسراف أناني متلف . ولا يصح لعائلة الشيخ أن تلحق بها تهمة هذا المثال السيء ، الإسراف المتلف على ملذات شخصية .

كذلك ، لا يصح أن تكون عائلة الشيخ متمردة . فلا يوجد ما يعادل التقويم الأبوي . تربية الأطفال أساساً مسئولية الوالدين ، ولا يوجد شيء يستطيع أن يعوض عنها . ويقتبس فالكونر هذا القول عن عائلة سير توماس مور : « أنه يوجه عائلته بنفس الطريقة السهلة : ليس هناك مأمي ، أو

معارك . إذا شب خلاف ، يحل حالا . كل من في البيت يعيش في جو السعادة ولا يسمح لأحد بالدخول إلا إذا كان في أفضل أحواله للزيارة . وهكذا فإن ميدان التربية الحقيقية للشيخ تبدأ أولاً في البيت وتكمل في الكنيسة .

ما يجب أن يمتنع عنه الشيخ

هنا موجز لبعض الصفات في العدد السابع ، التي لا يجب أن تكون من صفات شيخ الكنيسة ، والتي يجب أن تخلو حياته منها . كل كلمة استعملت هنا كلمة حية . لندرسها واحدة بعد أخرى .

١ - غير معجب بنفسه . والكلمة تعني حرفياً يسر نفسه ، ذلك الشخص الذي وصلت به درجة سروره بنفسه حداً يمنع من أن يسر بأي شيء آخر ، ولا يهمه أن يبهج أي إنسان آخر . ووصف تريش مثل هذا الرجل كما يأتي « أنه يصبر بعناد على رأيه ، ويؤكد دائماً ما له من حقوق ، بينما لا يبالي بحقوق وآراء ومصالح الآخرين » وقد أفاض كتاب اليونان الأخلاقيون في وصف هذه الصفة الخاطئة . فوصفها أرسطو ، الذي كانت الفضيلة بالنسبة له وسطاً بين حدين ، بأن أحد الحدين هو من يفرح كل الناس ، وأن الحد الآخر هو من لا يفرح أحداً ، وأن الوسط بينهما هو الشخص الذي يعيش حياته في أنفة وكرامة صادقة . قال عن المعجب بنفسه إنه شخص لا يتحدث ولا يزامل أي إنسان آخر . ووصفه إيديموس بأنه « ينظم حياته دون احترام للآخرين ، بل إنه يحتقرهم » . ووصفه أوربيدس بأنه شخص « جاف قاس نحو زملائه لافتقاره إلى الثقافة » . وقال عنه فيلوديموس إن أخلاقه قد خالطها الغرور والعجرفة والاحتقار . غروره يجعله يقيم لنفسه تقبياً عالياً ، واحتقاره يجعله يظن بالآخرين الضعة والمهانة ، أما عجرفته فتظهر في تعامله مع نفسه

والآخرين حسب تقديره لهم . والواضح أن الشخص المعجب بنفسه ذو شخصية ثقيلة غير محببة . هو الشخص الذى لا احتمال لديه ، الذى يدين كل شىء لا يستطيع فهمه ، والذى يظن أنه لا توجد طريقة لعمل أى شىء إلا طريقته هو ، لا تهمه مشاعر الآخرين محترماً لمعتقداتهم . مثل هذه الصفة ، كما قال عنها لوك « قاضية على حكم الأحرار » . ولا يليق بمن اتصف بهذا الاحتقار والعجرفة أن يكون شيخاً فى الكنيسة .

٢ - لا يجب أن يكون رجلاً غصباً . وهناك كلمتان يونانيتان للغضب . الأولى تأتي من أصل يفيد معنى الغليان . أو الغضب الذى يلهب سريعاً ، ثم حالاً ينطفئ ، كمنار فى قش . والثانية تعنى غضباً راسخ الجذور . ليس هو الغضب الملهب فجأة ، بل هو الغيظ الكامن الذى يرعاه صاحبه فلا يبرد . إن شعلة من الغضب حادث غير سعيد ، ولكن ما هو أكثر سوءاً هو ذلك الغضب الكامن ، الذى يعيش طويلاً تغذيه فى الداخل الكراهية وتنفت فيه سمومها . والشخص الذى يحفظ فى قلبه مثل هذا الغضب الذى لا يموت ضد أى إنسان آخر غير جدير بحمل أى وظيفة فى الكنيسة .

٣ - لا يجب أن يكون مدمناً للخمر . والكلمة اليونانية هى مدمن للخمر . ولكن اتسع استعمال الكلمة لتشمل كل سلوك مشين . فمثلاً ، استعمالها اليهود لوصف سلوك رجال اليهود الذين يتزوجون من نساء من ميديان ؛ واستعمالها المسيحيون فى وصف سلوك من صلبوا المسيح . والكلمة تصف أخلاق الشخص الذى يسلك ، حتى فى لحظات صفوه ، بدون ضبط للنفس ، وبنفس السلوك المزرى للمترنح سكران .

٤ - لا يجب أن يكون ضرباً . ويبدو أنه ظهر فى الكنيسة الأولى بعض الأساقفة بلغ من شدة غيرتهم على الكنيسة أن تولوا تأديب الأعضاء المخطئين

من شعب الكنيسة بالعنف البدنى ، لأن قانون الرسل نص على ما يلى « نأمر بعزل أى أسقف يعتدى بالضرب على عضو مخطيء » . ويقول بلاجيوس : « لا يستطيع أن يضرب أى فرد من تلاميذ المسيح الذى ، إذا ضرب ، لم يرد بالضرب » . وقد وسع اليونانيون معنى هذه الكلمة لتشمل ، إلى جانب التعنيف البدنى ، عنف الكلام وصار معنى الكلمة الرجل الذى يرهب بالصباح الآخرين ، وربما كان من الأفضل ترجمتها بهذا المعنى الأخير هنا . الشخص الذى يترك المحبة ويركن إلى العنف فى التصرف أو فى الحديث غير جدير بأى وظيفة فى الكنيسة المسيحية .

هـ - لا يجب أن يكون طامعاً فى ربح قبيح . وهو الشخص الذى لا يهتم كيف يحصل على المال طالما أنه يحصل عليه . وقد تصادف أن هذه الصفة القبيحة اشتهر بها الكريتيون . فقد ذكر بوليبيوس « أنهم اعتادوا الحصول على المال بكل الطرق المشينة . حتى أصبح أى نوع من الكسب حلالاً مقبولاً لدى الكريتيين وحدهم دون الناس أجمعين » . وذكر عنهم بلوتارك أنهم يلتصقون بالمال كالتصاق النحل بالعسل . احتسب الكريتيون الكسب المادى فوق كل أمانة أو شرف ؛ ولم يهتمهم ما يكلفهم الحصول على المال . أما المسيحى فيعلم أن هناك أشياء تكلف كثيراً جداً . والشخص الذى يتركز غرضه الوحيد فى الحياة على تكديس الماديات ، دون اعتبار كيف يحصل عليها ، شخص غير جدير بحمل أى مسئولية فى الكنيسة المسيحية .

ما يجب أن يكونه الشيخ

٨ بَلْ مُضِيفاً لِلْغُرَبَاءِ مُجِباً لِلْخَيْرِ مُتَعَقِلاً بَاراً وَرِعاً
ضَابِطاً لِنَفْسِهِ ٩ مُلَازِماً لِلْكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي بِحَسَبِ
التَّعْلِيمِ لِكَيْ يَكُونَ قَادِراً أَنْ يَعِظَ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ
وَيُوبِّخَ الْمُنَاقِضِينَ .

تيطس ١ : ٨ ، ٩

شرح الجزء السابق الأمور السلبية التي يجب أن يتحاشاها الشيخ ، وفي
هذا الجزء نجد الأمور التي يجب أن يتحلى بها . هذه الصفات الضرورية تنقسم
إلى ثلاثة أقسام .

١ - أولاً ، هناك الصفات التي يجب أن يظهر بها شيخ الكنيسة أمام
الآخرين . إذ يجب أن يكون مضيفاً للغرباء . الكلمة اليونانية تعني حرفياً
محب للغرباء . في العالم القديم كان هناك دائماً أناس في حركة انتقال مستمرة .
وقد اشتهرت فنادق ذلك الزمان بأسعارها الفاحشة ، وقذارتها ، وسمعتها
المشوهة . لذلك كان من الضروري أن يجد المسيحي المسافر بيتاً مفتوحاً في
المجتمع المسيحي . وحتى يومنا هذا ، أكثر الناس احتياجاً للشركة المسيحية
هو الغريب في بلد غريب .

والمعنى الثاني إما محب للأشياء الطيبة أو محب للناس الخيرين ، واستعملها

أرسطو بمعنى غير أناني ، أي محب لأعمال الخير . ولا يتطلب الأمر منا الاختيار بين هذه المعاني الثلاثة ، فكلها تشتمل عليها الكلمة . والشيخ المسيحي له قلب يستجيب للخير مع أي إنسان ، في أي مكان ، وفي أي عمل يصادفه .

ثانياً ، تأتي مجموعة من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الشيخ المسيحي في شخصه . يجب أن يكون متعلقاً بهذا التعقل أجمل عطية من الآلهة للناس . . ويصفها فيلسوف بأنها تلك الروح التي تجتنب الشر ، ليس فقط عندما يكون هذا الشر جانياً للعيان ، بل وحين يكون هذا الشر خافياً . وعرفها ترنش بأنها « التحكم الكامل في العواطف والرغبات ، حتى لا يسمح لها إلا بما يوافق القانون والمنطق السليم » . وهي الصفة التي تنطبق على الشخص الذي « له أفكار منجية » . وعلى حامل الوظيفة في الكنيسة أن يستعمل بحكمة ويضبط كل غريزة وكل عاطفة في كيانه . يجب أن يكون عادلاً . وعرف اليونانيون الرجل العادل بأنه ذلك الذي يعطي للناس وللآلهة ما يحق لهم . وشيخ الكنيسة هو من يعطي للإنسان احترامه ولله الوقار الذي يستحقه .

يجب أيضاً أن يكون ورعاً ، وهي كلمة يونانية صعبة الترجمة ، لأنها تصف الرجل الذي يوقر المبادئ الكريمة في الحياة ، تلك الأمور التي تسمو فوق كل قانون أو تنظيم صنعه الإنسان . يجب أن يكون ضابطاً لنفسه . وهي صفة الشخص الذي تمكن من التحكم في نفسه تحكماً كاملاً . من يود خدمة الآخرين يجب أن يكون سيداً لنفسه أولاً .

وأخيراً ، تأتي مجموعة من صفات شيخ الكنيسة داخل الكنيسة . يجب أن يكون قادراً على تشجيع أعضاء الكنيسة . ينص قانون البحرية على أن لا يشبط أي ضابط من عزيمة ضابط آخر أثناء تأدية وظيفته . فوظيفة المعلم والواعظ المسيحي الصادقة ليست دفع الإنسان نحو اليأس بل توليد

الرجاء فيه ، ويجب أن يكون قادراً أن يحاسب مناقضى الإيمان . والكلمة اليونانية كلمة غزيرة المعاني . فهي تعنى توبيخ شخص بطريقة تسمح له برؤية الخطأ والاعتراف بخطأ تصرفه . ويقول ترنس أنها تعنى « أن توبخ آخر ، بصورة تنصر الحق وتقنع الإنسان بادانة هذا الخطأ على الأقل دون الاضطرار للاعتراف » .

وقال ديموثينوس أنها تصف الموقف الذى يبرهن فيه الشخص على صدق ما قاله دون نقض — وقال أرسطو أن الكلمة تعنى أن تثبت أن الأشياء لا يمكن أن تكون خلاف ما أعلنه . والتوبيخ المسيحى ليس مجرد تعنيف أو لوم . فهو أكثر من توجيه بعض الكلمات الغاضبة وإدانة الشخص فهو يعنى أن نكلم الشخص المخطئ بطريقة تجعله يرى خطأ سلوكه ويتقبل الحق . فهدف التوبيخ المسيحى ليس تحقير الشخص ، بل تمكينه أن يرى ويدرك ويعترف بالواجب والحق الذى أغض عنه عينيه أو عصاه .

معلمو كريت الزائفون

١٠ فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مُتَمَرِّدِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ
وَيَخْدَعُونَ الْعُقُولَ وَلَا سِيَّامَا الَّذِينَ مِنَ الْخِتَانِ ١١ الَّذِينَ
يَجِبُ سَدُّ أَفْوَاهِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَقْلِبُونَ بُيُوتًا بِجُمْلَتِهَا
مُعَلِّمِينَ مَا لَا يَجِبُ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّحِ الْقَبِيحِ .

تيطس ١ : ١٠ ، ١١

لدينا هنا صورة للمعلمين الزائفين الذين أثاروا الشغب في كريت :
ويبدو أن أسوأهم كان من اليهود . فقد حاولوا إقناع المسيحيين في كريت
بأن قصة يسوع البسيطة والصليب غير كافية ، وأنه لكي تكمل لهم الحكمة ،
يحتاجون لمعرفة كل القصص المعقدة ، والأنساب الطويلة ، والتشبيهات
المحبوكة التي أبتدعها معلمو اليهود : ثم يحاولون إفهامهم أن النعمة وحدها
لا تكفي ، وأنهم ، لكي يكمل لهم الصلاح ، في حاجة لتدريب أنفسهم في كل
القواعد والتنظيمات اليهودية التي تختص بالطعام والغسيل . وخطورة هؤلاء
المعلمين الكذبة تتلخص في أنهم حاولوا إقناع المؤمنين الجدد بأن المسيح
وحده لا يكفي ، والنعمة وحدها لا تكفي وأنهم لذلك في حاجة إلى أمور
أخرى كثيرة لكي يخلصوا . كانوا من المثقفين الذين بدا لهم صدق الله بسيطاً
لدرجة عدم تصديقه :

لنتأمل سريعاً في خصائص هؤلاء المعلمين الزائفين .

كانوا معمرين ؛ كجنود عصاة رفضوا إطاعة الأوامر الصادرة إليهم .
رفضوا قبول مشورة الكنيسة ، رفضوا قبول عقيدة الكنيسة ؛ ورفضوا
قبول إشراف الكنيسة . نعم ، لم تسع الكنيسة لتفرض على الناس إيماناً جامداً
متطابقاً ، كما أنها لم تطلب منهم التخلي عن عقولهم لكي تقوم بالتفكير عوضاً
عنهم ؛ ولكن هناك أموراً معينة يتحتم على الشخص الإيمان بها لكي يصير
مسيحياً ، وأعظم هذه الأمور كفاية المسيح الكاملة . عندما يعبت إنسان بهذه
الحقيقة ، يجب أن تسد الكنيسة فيه . حتى في الكنيسة البروتستانتية ، لم تلغ
الطاعة .

كانوا يتكلمون بالباطل ؛ وتعنى كلام فارغ ، بلا فائدة ، صفة كانت
تطلق على عبادة الأوثان . والفكرة الأساسية فيها أنها عبادة لا تنتج خيراً في
الحياة . كان هؤلاء الناس في كريت يتكلمون بطلاقة وزلاقة ، ولكن كل
كلامهم لم يكن له تأثير في تقدم أى شخص خطوة واحدة نحو الصلاح .
وقد اعتاد الفلاسفة الكليبيون على القول بأن المعرفة التي لا تنمى الفضيلة
معرفة فارغة باطلة . والمعلم الذي يزود تلاميذه بصورة مسلية للبحث العقلي
والنظري فقط إنما يعلم باطلاً .

كانوا يخدعون العقول ، فبدلاً من أن يقودوا الناس إلى الحق ، قادوهم
إلى الباطل . وبدلاً من تثبيت الناس في الإيمان ، فتتوا ببطىء في هذا الإيمان .

قلبت تعاليمهم بيوتاً بجملتها . نلاحظ هنا أمرين . أولاً ، أن التعاليم
كانت أساساً لقلب الحق . صحيح أن الحق قادر بأن يدفع الإنسان أن يعيد
النظر في صحة آرائه . وصحيح أن المسيحية لا تهرب أمام الشكوك والأسئلة التي
تثار ، ولكنها تواجهها في عدالة وشجاعة وصحيح أن الحق يمسك بالإنسان
ويهره بعنف ؛ ولكن التعليم الذي لا يهدف إلا إلى إثارة الشكوك والاستفهامات

المغرضة تعليم سيء . التعليم الأمين يوجه العقل الغير مرتب نحو يقين أعظم .
ثانياً ، كان هذا التعليم يقلب بيوتاً . وبمعنى آخر كان للتعليم تأثير سيء على
الحياة العائلية . وكل تعليم يتجه لهدم العائلة تعليم زائف . لأن الكنيسة المسيحية
مؤسسة دائماً على العائلة المسيحية .

كانت تعاليمهم للحصول على الربح كان اهتمامهم منصباً أساساً على
مقدار ما يستطيعون أن يحصلوا عليه من أولئك الذين يعلمونهم لا على مقدار
ما يستطيعون إفادتهم به في التعليم . ويقول باري أن هذا كان دائماً الإغراء
المحذوق بالمعلم المحترف . عندما يعتبر المعلم أو المبشر عمله مهنة الغرض منها التقدم
الشخصي والربح الشخصي ، يكون قد عبر إلى مواطن خطيرة .

هناك أمر أخير في هذا الجزء يجدر أن نلاحظه . كان يجب سد أفواه
هؤلاء الناس . ولا يعني هذا إسكاتهم بالعنف أو الاضطهاد . الكلمة اليونانية
المستعملة تعني سد الفم ، ولكنها استخدمت لتعني إسكات الشخص بالمنطق .
لكي نحارب تعليماً زائفاً علينا أن نقدم تعليماً صحيحاً ، والتعليم الصحيح الوحيد
الذي لا يمكن مناقشته هو تعليم الحياة المسيحية .

سمعة رديئة

١٢ قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . وَهُوَ نَبِيٌّ لَهُمْ خَاصٌّ
الْكِرِّيْتِيُونَ دَائِمًا كَذَّابُونَ وَخُوشٌ رَدِيَّةٌ بَطُونٌ بَطَّالَةٌ .

تيطس ١ : ٢٢

في العالم القديم ، لم يفق شعب الكريتيين في سوء السمعة وكان العالم القديم
يتندر بثلاث بلاد تبدأ بالكاف لا مزيد على شرورها — أهل كريت ، وأهل
كليلة وأهل كبدوكيه . واشتهر الكريتيون بالسكر ، والاحتقار ، والخيانة ،
والكذب والشرامة .

وصار جشعهم وبخلهم مضرِباً للأمثال . قال بوليبيوس ، « بالنسبة
لبخلهم المتأصل فهم ، يعيش الكريتيون في شجار دائم ومعارك عامة مستمرة .
... ومن الصعب أن تصادف أخلاقاً تفوق الكريتيين في الغش والخديعة ،
وهم يقدرون المال أكثر من أي أمر آخر ، حتى أصبح امتلاكه ضرورة
لازمة بل أمر مستحسن جداً ، وصار الجشع والبخل طبيعة ثانية لهم للدرجة
أنهم أصبحوا الشعب الوحيد في العالم الذي لا يجد عاراً في أي وسيلة يتحصل
بها على الربح » .

ويحكى عن ميثاق معين أمضاه خائن كريتي اسمه بوليس مع زعيم كريتي
اسمه كامبيلوس يمكنهما معاً من الاستفادة سوياً والنجاة معاً دون اهتمام بمن
يتعرض للخطر ، أو أي اعتبار للشرف نحو أولئك الذين وثقوا فيهم وأسلموهم
قيادة الأمر . كانت الخيانة تجري في دماء الكريتيين .

وقد بلغ احتقار اليونانيين لأهل كريت درجة أنهم ابتدعوا فعلاً
يعنى أن يصير الإنسان كريتيًا ويعنى يكذب ويغش ؛ الجملة التى يكتبها بولس
لتيطس أصلها اقتباس من شاعر يونانى اسمه Epimenides عاش حوالى
عام ٦٠٠ قبل الميلاد وكان يعد واحداً من السبعة الحكماء فى اليونان . الجملة
الأولى « الكريتيون دائماً كذابون » اشتهرت باستعمالها فيما بعد على لسان شاعر
معروف آخر اسمه Callimachus . كان هناك فى كريت نصب دعى
« قبر زيوس » ، وبطبيعة الحال حيث أنه لا يمكن لكبير الآلهة أن يموت ويدفن
فى قبر ، فقد اتخذ Callimachus من هذه الواقعة برهاناً كافياً على
كذب الكريتيين . وفى ترنيمة لزيوس يكتب :

« الكريتيون كذابون دائماً

فقد بنوا قبراً ، أبها الملك

ودهوه قبرك ، ولكنك لا تموت

فحياتك أبدية »

كان الكريتيون يشتهرون بالكذب ، والغش ، والشراسة ، والخيانة .
وفى هذا الوضع الفاسد يتضح لنا أمر عجيب . كان بولس يعرف هذا .
واختبره فعلاً ولكنه لم يقل لتيطس « أتركهم لأنفسهم . فأمرهم مفروغ منه
وكل الناس يعرفون ذلك » . بل قال « أنهم أرياء » ، وكل الناس تعرف عنهم
ذلك . أذهب وحوهم إلى المسيحية » . يوجد القليل من هذه الكتابات التى
تكشف عن التفاؤل الإلهى للرسالة المسيحية وللتبشير المسيحى التى ترفض
اعتبار أى شخص ميثوساً منه . إذا تعاطم الشر ، تعاطم التحدى . وهو إيمان
مسيحى أنه لا توجد خطية مهما عظمت لا تستطيع نعمة يسوع المسيح أن
تواجهها وتزيمها .

طاهر القلب

١٣ هَذِهِ الشَّهَادَةُ صَادِقَةٌ . فَلِهَذَا السَّبَبِ وَبِخُفْمِ
بِصْرَامَةٍ لِكَيْ يَكُونُوا أَصِحَّاءَ فِي الْإِيمَانِ ١٤ لَا يَصْغُونَ
إِلَى خُرَافَاتٍ يَهُودِيَّةٍ وَوَصَايَا أَنْاسٍ مُرْتَدِّينَ عَنِ الْحَقِّ .
١٥ كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ وَأَمَّا لِلنَّجِسِينَ وَغَيْرِ
الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ شَيْءٌ طَاهِراً بَلْ قَدْ تَنَجَّسَ ذُهُنُهُمْ أَيْضاً
وَضَمِيرُهُمْ . ١٦ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ اللَّهَ وَلَكِنَّهُمْ
بِالْأَعْمَالِ يُنْكِرُونَهُ إِذْ هُمْ رَجِسُونَ غَيْرُ طَائِعِينَ وَمِنْ
جِهَةِ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ مَرْفُوضُونَ .

تيطس ١ : ١٣ - ١٦

أكثر ما يميز الدين اليهودي آلاف القواعد والتنظيمات . وعندما انضمت
اليهودية والغنوسية سوياً ، صار الجسد نفسه غير نظيف ، وحسب الزواج
والغرائز الطبيعية للجسد شراً . والنتيجة الحتمية لذلك أن قوائم طويلة من
هذه الخطايا كانت تظهر باستمرار . أصبح شراً أن تلمس هذا أو ذاك ؛
وأصبح شراً أن تأكل هذا أو ذاك من الطعام ؛ وأصبح الزواج وإنجاب
الأطفال في النهاية شراً . الأشياء الصالحة في طبيعتها صارت نجسة ملوثة . هذا

النوع من التفكير نجح في تحويل الأشياء التي لا ضرر منها إلى خطايا ، وكلما زادت القوانين والتنظيمات طالت قوائم الخطايا .

لهذا يضرب بولس هذا المثل العظيم — كل شيء طاهر للطاهرين وقد سبق أن ذكر هذا وبتحديد أكثر في رومية ١٤ : ٢٠ . إلى كل هؤلاء المشغلين بنظافة أو عدم نظافة هذه الأطعمة قال بولس « كل الأشياء طاهرة » وربما لم تكن هذه الجملة مثلاً فقط ، بل ربما كانت أحد أقوال يسوع . عندما تكلم يسوع عن هذه القوانين والتنظيمات اليهودية التي لا نهاية لها ، قال : « ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه : لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان » (مرقس ٧ : ١٥) .

الفرق كله في قلب وعقل الإنسان . لو كان طاهر القلب ، صارت كل الأشياء طاهرة بالنسبة له . لو كان غير طاهر القلب ، فإنه ينجس كل شيء يفكر فيه أو يتكلم عنه أو يلمسه . كان هذا في الحقيقة مبدأ تغني به كل الكتاب العظماء . قال هوراس « إذا لم يكن الإناء نقياً ، تلوث أى شيء تضعه فيه » . وقال سنيكا « كما أن المعدة المريضة تغير كل الطعام الذي يصلها ، هكذا العقل المظلم يحول كل شيء يوكل إليه إلى ثقل عليه لتحطيمه . لا شيء يمكن أن يجد فيه الأشرار خيراً لهم ، لا شيء يمكن أن يحدث لهم دون أن يؤذيهم فعلاً . فهم يغيرون كل ما يلمسهم إلى طبيعتهم الخاصة . وحتى الأمور المربحة لغيرهم تصير ضارة ومؤذية لهم » . ذو العقل الملوث يجد في كل الأشياء إتساعاً . يستطيع أن يجعل من أجمل الأشياء بؤرة قذارة ، ويرى في الحركة البريئة قذارة وسوء نية . ولكن من له قلب طاهر يجد كل الأشياء طاهرة . إنه من الأمور الفظيعة أن تحط هذه الغلالة من القذارة والتلوث على عقل الإنسان .

قيل عن هؤلاء الناس أن عقولهم وضمائرهم قد تلوّثت . القرارات التي يتخذها الشخص والنتائج التي يصل إليها إنما ترتكن على ملكتين . ملكة العقل ليفكر في الأمر ، وملكة الضمير ليستمع إلى صوت الله . ولكن لو كان عقله قد التوى وغلفته هذه الغلالة من العمى بحيث يرى النجاسة في كل مكان وإذا كان ضميره قد أظلم وفقد إحساسه باستمرار ممارسته للشر ، فإنه لا يستطيع أن يتخذ قراراً جيداً بأي حال من الأحوال .

يجب على الإنسان أن يحتفظ بثوب براءته الأبيض دون تلوّث أو بقع . لو سمح للقذارة أن تغشى عقله ، فإن رؤيته لجميع الأشياء تكون خلال سحابة من القذارة . وسيلوث عقله كل فكرة تدخل إليه ، ويحول خياله كل صورة تمر به إلى شهوة ؛ سيسىء فهم كل دافع ؛ ويجد في كل قول معنيين ؛ وسيعجز عن أن يرى العالم إلا خلال القذارة التي تخيم على عقله . ولكي نهرب من هذه القذارة يجب أن نسير دائماً في صحبة يسوع المسيح المطهرة .

حياة قبيحة لا فائدة فيها

عندما يصل إنسان إلى هذه الحالة من النجاسة ، فإنه يعرف الله نظرياً ، ولكن حياته تعلن إنكاره لمعرفة الله . نستخلص هنا ثلاثة أشياء عن مثل هذا الشخص .

١ — هورجس منفر . والكلمة اليونانية كانت تستعمل غالباً عن الآلهة الوثنية والمنحوتات . اشتقت منها كلمة تعنى شيئاً بغيضاً مقيتاً . هناك شيء منفر بغيض في إنسان فضولي ، متطفل ذو تفكير سمج فاضح ، يتندر دائماً بنكات خارجة وحركات تنم عن نجاسة متأصلة فيه . كما أن هناك بساطة وجمال طبيعي في الطهارة الخالصة ؛ بينما يحل الشعور بالتقرز والنفور وجود ما هو ملوث قدر نجس .

٢ — هو عاص غير مطيع : مثل هذا الشخص لا يستطيع أن يطيع مشيئة الله . فضميره مظلم ، بحيث يعجز عن سماع صوت الله ، فما بالك بإطاعته . وقد جعل نفسه غير لائق لأي مهمة . مثل هذا الشخص لا يملك إلا تأثيراً شريعاً رديئاً ، وهكذا لا يليق أن يكون أداة في يد الله لتحقيق أغراضه .

٣ — أي أنه صار بلا فائدة لله أو للناس والكلمة المستعملة لتعني بلا فائدة تصف عملة مزيفة وزنها أقل من الوزن القياسي . وتستعمل في وصف جندي جبان فشل ساعة امتحانه في المعركة . وتستعمل عن شخص رفض من الحصول

على مركز عال ، شخص رأى فيه المواطنون أنه غير مفيد ولا قيمة فيه .
وتستعمل عن حجر رفضه البناؤون . عندما يلاحظ عيب في الحجر ، توضع
عليه حرف غ أى غير صالح ، ويترك جانبا أن امتحان الحياة الأعظم هو
مقدار الفائدة من الحياة ، والشخص الذى لا يملك من التأثير إلا الشر والفساد
لا فائدة منه لله أو للناس . فهو لا يعين عمل الله فى العالم ، بل يتصدى له ؛
وما لا يفيد يضر .

الأصحاح الثانى

الخلق المسيحى

(١) الشيوخ

- ١ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكَلِّمْ بِمَا يَلِيْقُ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ .
- ٢ أَنْ يَكُونَ الْأَشْيَاخُ صَاحِبِينَ ذَوَى وَقَارٍ مُتَعَقِّلِينَ أَصْحَاءَ فِي الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ .

تيطس ٢ : ١ ، ٢

هذا الإصحاح بأكمله يعالج موضوعات يمكن أن تدعى « الخلق المسيحى فى العمل » فهو يقسم الناس بالنسبة إلى أعمارهم ومراكزهم ويضع عليهم ما يجب أن يكونوا عليه فى العالم . والإصحاح يبدأ بالشيوخ .

يجب أن يكونوا صابرين — والصحو عكس من الإفراط فى شرب الخمر . والنقطة المقصودة هنا أن الإنسان عندما يبلغ سن الشيخوخة ، يجب أن يكون قد أدرك ما هو الغث من السمين ، والفرق بين الفرح الحقيقى الصادق والمتعة الزائفة الباطلة . يجب أن يكون قد تعلم معنى القيم الحقيقية ، وأن يكون قادراً على تقييم متعة بقيمتها الحقيقية . يجب أن يكون الشيخ قد وصل إلى إدراك أن ملذات الإفراط تكلف أكثر مما تعطى .

يجب أن يكونوا ذوى وقار (جادين) — وهى صفة تصف السلوك الجدى الرزين فى الطريق الصواب . وهى لا تصف تصرفات الشخص الحزين المبتئس ، ولكنها تصف الرجل الذى يعرف أنه يعيش فى ظل الأبدية

وأنه سيغادر مجتمع الناس إلى مجتمع الله . قبل مضي وقت طويل . الرجل الوقور هو من يقول لنفسه دائماً « يا الله أنت ترانى » .

يجب أن يكونوا متعقلين ، وهى تصف الرجل المتحكم فى كل أموره . بمضى السنين ، يجب أن يكون الشيوخ قد حصلوا على قوة العقل المنقذة المطهرة التى أدركت كيف تحكم كل غريزة وكل شعور ، حتى يأخذ كل منها مكانه المناسب ، ولا أكثر من المكان المناسب .

وإذا أخذنا الثلاث صفات معاً فلإنها تعنى أن الشيخ قد تعلم ما يمكن أن يسمى « وقار الحياة » . يمكن التفاضى عن بعض التهور وعدم الاستقرار والطيش الذى نصادفه فى الشباب ، ولكن مع المسن يجب أن نجد الحكمة . ومن مآسى الحياة أن نصادف رجلاً فى خريف العمر وهو لم يتعلم بعد شيئاً من السنين .

بالإضافة إلى ما سبق ، هناك ثلاث صفات عظيمة يجب أن يكون فيها الشيخ كامل الصحة .

يجب أن يكون صحيحاً فى الإيمان . لو عاش الشخص فى قرب حقيقى من المسيح ، فإن مضى السنين وتجارب الحياة تقوى أواصر هذا الإيمان وتنميه . فتعليم المسنين يجب أن يقودنا إلى ثقة أوثق بالله لا إلى إضعاف هذا الإيمان . يجب أن يكون صحيحاً فى المحبة . ربما كان أخطر ما يحدث فى خريف العمر انحراف نحو النقد القاسى ، واللوم وإظهار العيوب فى الآخرين . أحياناً تأخذ منا السنين رقة المشاركة والشعور . ومن الاحتمالات المخيفة التى يمكن أن يصل إليها الشيخ أن يصبح شديد الإيمان والثقة بطرقه وأفكاره لدرجة أنه يثبت أو يحقد — لاشعورياً — على كل أفكار جديدة أو طرق جديدة .

ولكن يجب أن تأتي السنين بمزيد من الاحتمال والتعاطف مع آراء وأخطاء الآخرين :

يجب أن يكون صحيحاً في الصبر . يجب أن تعطى السنون مرونة للرجل كالمرونة التي تعطى للصلب بالسقي ؛ حتى يستطيع أن يتحمل أكثر فأكثر ، فينبثق أكثر انتصاراً على الحياة . في طبيعة الأشياء يجب أن تزداد ضعفاً في الجسد ، ولكن في القصد الإلهي يجب أن تزداد عمقاً في الإيمان الذي يستطيع الصمود لسهام الحياة ونبلاها بلا فشل .

الخلق المسيحى

(٢) العجائز

٣ كَذَلِكَ الْعَجَائِزُ فِي سِيرَةِ تَلِيْقٍ بِالْقَدَاسَةِ غَيْرَ ثَالِبَاتٍ
غَيْرَ مُسْتَعْبَدَاتٍ لِلْخَمْرِ الْكَثِيرِ مُعَلَّمَاتٍ الصَّلَاحِ ٤ لِكُنَّ
يَنْصَحْنَ الْحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحِبِّبْنَ
أَوْلَادَهُنَّ ٥ مُتَعَقِّلَاتٍ عَفِيفَاتٍ مُلَازِمَاتٍ بُيُوتِهِنَّ صَالِحَاتٍ
خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ لِكُنَّ لَا يُجَدَّفُ عَلَى كَلِمَةِ اللَّهِ .

تيطس ٢ : ٣ - ٥

من الواضح أنه فى الكنيسة الأولى كان للسيدات المسنات وضع مشرف
ومسئولية هامة . ويقص علينا براون - المرسل إلى الهند ، والذي عرف
المجتمع الهندى الإنجليزى ، قصة طريفة . رجع أحد أصدقائه فى أجازة إلى
انجلترا وسئل هناك : « ما أكثر ما تحتاج إليه فى الهند ؟ » أجاب بسرعة
« الجذات » . فى تلك الأيام كان عدد المسنات فى المجتمع الهندى الإنجليزى
أقلية ، لأن كل الموظفات فى خدمة الحكومة كن يتركن الهند ويعدن إلى
انجلترا بعد انتهاء مدة خدمتهن فى سن صغيرة نسبياً ، والنتيجة عدم وجود
سيدات مسنات تقريباً ، وبلغ الاحتياج لهن درجة حرجية . ويقول براون :
« يلعب العجائز دوراً هاماً جداً فى المجتمع . ولا يستطيع أحد أن يقدر ضخامة
هذا الدور ، حتى يشاهد حياة اجتماعية خلت تقريباً من وجودهن . الجذات
الرقاقات . هن الناصحات الطبيعيات للأحداث من الجنسين » . من الحق أن

يقال أن العجائز اللاتي اكتسبن من سنى العمر الطويلة جمال الخلق وهنوء الطبع ، ورقة الإحساس ، وحساسية الفهم لمن دور هام يلعبنه فى حياة الكنيسة وحياة المجتمع ، دور يخصصن ولا يصلح له غيرهن .

وضعت هنا الصفات التى يتحلين بها . صفات تليق بمن يعمل فى أودر مقدسة وكما قيل : « أنهن يسلكن فى الحياة اليومية ككاهنات المعبد » وكما وصفها اكليميندس السكندرى : « يجب أن يحيا المسيحى كما لو كانت كل حياته مجموعة مقدسة » . ومن السهل رؤية الفرق الذى يحدث فى سلام وشركة الكنيسة ، لو تذكرنا دائماً عند كل اجتماع لجنة ، وعند كل نشاط من نشاطات الكنيسة ، أننا نقدم على عمل مقدس . فعظم المناقشات الحادة المريرة ، وسرعة الغضب وحدة الطبع التى كثيراً ما غلبت على هذه النشاطات ستختفى قبل أن تبدأ .

يجب أن لا يروجن الإشاعات الثالثة . إن فى القيل والقال قسوة غير واعية . إحدى الصفات الغريبة فى الطبيعة البشرية تلذذ معظم الناس بالإستماع إلى قصة حقد وخبث وإعراضهم عن قصة مديح وثناء لواحد من الناس . من الأفضل أن لا نتقول على أحد بسوء إذا لم نجد شيئاً طيباً يقال عنه .

يجب أن تقوم العجائز بتدريب وتعليم الصغيرات . هناك البعض الذى يستعمل خبرته فى تثييط همة الآخرين . فيبدو أن كل ما نالوه من هذه الخبرة هو كيف يصبون الماء البارد على مشروعات وخطط وأحلام الآخرين ، وأن كل ما تعلموه على مدى السنين مضاعفة عدد المستحيلات . لكن الواجب المسيحى هو استعمال ما لدى الإنسان من خبرة فى توجيه وإرشاد وتشجيع الآخرين ، لا تعجيزهم وتثييط همهم .

الخلق المسيحى

(٣) الحدلات

فى هذا الجزء يوجد ما هو مؤقت وما هو مستديم

كانت السيدة المحترمة فى اليونان قديماً تحيا حياة كاملة العزلة ، لها جناحها الخاص فى المنزل ونادراً ما تغادره ، حتى ولو كان ذلك لتناول الطعام مع رجال العائلة ؛ ولم يكن مسموحاً لأحد إلا زوجها فقط ، بزيارة هذا الجناح لا تحضر مطلقاً أى اجتماعات عامة ؛ ونادراً ما تظهر فى الشارع ، وإذا حدث ذلك مرة فلا يكون بمفردها أبداً وفى الحقيقة قيل أنه لا توجد وسيلة شريفة أمينة يمكن أن تعيش بها امرأة يونانية . فلا يوجد باب مهنى أو تجارى مفتوح لها ، وإذا حاولت أن تكسب عيشها ، ستدفع دفعاً إلى البغاء . والنتيجة الحتمية لانطلاق سيدات الكنيسة الأولى وتحطيمهن كل الحواجز والحدود التى فرضت عليهن مدى قرون عديدة ، كان مجلبة العار للكنيسة ، وإيجاد سبب كاف للناس لاتهم المسيحية بأنها أفسدت المرأة . ووصف الحياة الذى يعطى هنا يفيد بأنها حياة ضيقة محدودة ولكن يجب أن يقرن هذا الوصف بالخلفية المعاصرة له ، وأن يفهم فى ضوء حياة المدينة الكبيرة . فى هذا الشأن يعتر هذا الجزء وقتى .

ولكن هناك أيضاً ما يفيد معنى الدوام . وهو الحقيقة البسيطة أنه لا يوجد فى هذا العالم ما يفوق عمل ومستولية وامتنياز إدارة بيتها . ولا شك أن الواجبات الكثيرة الثقيلة المتكررة فى الاعتناء بالبيت والأطفال تدفع الكثيرات للشكوى ، « آه لو كنت أنتهى من كل هذه الأمور ، لكنت أعيش حياة تقية صادقة » وفى الحقيقة لا يوجد مكان أفضل من البيت لمتابعة حياة تقية صادقة .

وفي نهاية الأمر لا يمكن أن تكون هنالك مهنة أعظم من إدارة البيت ؛
كم رجلا عظيما استطاع أن يترك بصماته على العالم لأنه وجد في البيت من يعتنى
به ويحبه ويستجيب لاحتياجاته . أن تلازم الأم بيتها لتضع أطفالها في الفراش .
وتستمع لصلواتهم أهم بما لا يقاس من حضور جميع الاجتماعات العامة
 واجتماعات الكنيسة في العالم .

قيل أن التكريس يخلق من حقارة العمل قداسة . ولا يوجد مكان يليق
بالتكريس ويجمله إلا داخل هذه الحوائط الأربع التي ندعوها البيت ويستطيع
العالم أن يعيش بدون اجتماعات لجانه ، ولكنه لا يستطيع أن يحيا بدون بيوت
ولن يكون البيت بيتاً عندما تغيب عنه ربة البيت .

الخلق المسيحى

(٤) الأحداث

٦ كَذَلِكَ عِظِ الْأَحْدَاثَ أَنْ يَكُونُوا مُتَعَقِّلِينَ .

تيطس ٢ : ٦

فى جملة واحدة محملة بالمعانى تجتمع كل الواجبات المفروضة على الأحداث . يحثون على واجب التعقل . كما سبق أن رأينا ، الرجل المتعقل ، يملك تلك الصفة العقلية التى تحفظ الحياة فى أمان . أمان من يملك زمام كل الأمور .

ووقت الشباب هو بالضرورة أخطر الأوقات .

١ — فالإغراءات أقوى فى الشباب . فالدم يجرى ساخناً ، والعواطف تسيطر على كل شىء آخر . وتيار الحياة يندفع بقوة فى الشباب ، لدرجة أنه يجرف الشاب أحياناً فى طريقه .

٢ — تكثر فى سن الشباب فرص الخطأ . فالشباب معرضون لرفقة شريرة تخضع لصوت الإغراء عن أى شىء آخر . وغالباً ما يضطر الشبان إلى مغادرة المنزل لأجل الدراسة أو العمل . دون رقابة البيت التى تحفظهم فى طريق الصواب ، والصغير يحس بالفردية أكثر من الشيخ . فالشاب لم يأخذ بعد مسئولية بيت أو عائلة ؛ ولا يملك بعد الاتزان الذى يحفظ الرجل الأكبر سناً فى الطريق الصواب ، مرساة الإحساس بالواجب . فى الشباب تتضاعف الفرص التى تحطم سفينة الحياة .

٣ — والشباب غريرون تغلبه الثقة لانعدام الخبرة . فى كل جوانب الحياة ،

نجد الشاب يتقدم بجرأة وتهور عن الشيخ ، لسبب واحد بسيط أن الشاب لم يكتشف بعد مدى الخطأ الذي يمكن أن تنحدر إليه الأمور . ولناخذ مثالا بسيطا ، يقود الشاب سيارته بسرعة أكثر كثيرا من الشيخ لأنه لا يقدر كيف يمكن أن تحدث حادثة بمنتهى البساطة ، وكيف أن أمان السيارة إنما يعتمد على قطعة رقيقة من المعدن ويأخذ الشاب على عاتقه مسئولية ما يروح مخاطرة لا بالروح الخدرة التي يبيدها الشيخ ، لأنه لم يعرف بعد نوع المصاعب التي ستعرض طريقه ولم يجرب السهولة التي تتحطم بها الأحلام . ولا يمكن لأحد أن يشتري الخبرة ، فهي شيء يدفع ثمنه بالسنين فقط . هناك خطورة ، كما أن هناك مجد في الشباب .

لهذا السبب عينه ، ما يجب أن يهدف إليه الشاب دائما هو ضبط النفس ولا يستطيع أحد أن يخدم الآخرين قبل أن يتحكم في نفسه . « مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (أمثال ١٦ : ٣٢) .

سيادة الذات ، وضبط النفس ليست بين الفضائل اللامعة التي تهر ، ولكنه منها وحدها يتكون نسيج الحياة وأساسها . وعندما يتحصن حماس الشباب بمثابة الخلق ، يبرز شيء عظيم في الحياة .

الخلق المسيحي

(٥) المعلم المسيحي

٧ مُقَدِّمًا نَفْسَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قُدْوَةً لِلْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ
وَمُقَدِّمًا فِي التَّعْلِيمِ نَقَاوَةً وَوَقَارًا وَإِخْلَاصًا ٨ وَكَلَامًا
صَحِيحًا غَيْرَ مَلُومٍ لِكَيْ يَخْزَى الْمُضَادُّ إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ
رَدِيٌّ يَقُولُهُ عَنْكُمْ .

تيطس ٢ : ٧ ، ٨

لن يكون للتعليم الذي يقدمه تيطس تأثير ، ما لم يسند ذلك بالقدوة الحسنة التي يقدمها بحياته . يجب أن يكون هو نفسه شاهداً حياً على ما يعظ به . عليه أن يقدم للناس ، ليس فقط نموذجاً نظرياً - في السلوك ، بل نموذجاً عملياً .

١ - من الضروري وضوح النقاوة المطلقة لدوافع المعلم . يواجه المعلم والواعظ المسيحي إغراءات مستمرة . فهناك خطورة الإعلان عن الذات ، وهناك رغبة قوية لإظهار المعرفة والذكاء والحكمة أمام الآخرين . هناك دائماً الإغراء نحو جذب الانتباه إلى شخصه بدلاً من رسالة الله . هناك دائماً إغراء السلطة . يواجه المعلم ، أو الواعظ ، أو الراعي أو القس دائماً الإغراء بأن يتحول إلى دكتاتور . ليكن قائداً فهذا واجبه ، ولكن ليبتعد عن الدكتاتورية سيجد أنه يمكن قيادة الناس ولكن لا يمكن سوقهم . وليحارب الإغراء الذي .

يحاول دفعه دائماً أن يجعل من عمل حياته حرقه يتكسب منها . وربما كان أكبر الأخطار التي يتعرض لها المعلم والواعظ المسيحي هو أن يضع لنفسه مقاييس خاطئة للنجاح . . وكثيراً ما يحدث أن الرجل المغمور الذي لم يسمع عنه أحد خارج دائرة عمله هو في نظر الله أعظم نجاحاً من ذلك الرجل الشهير الذي يذكر اسمه كل الناس :

٢ - يجب أن تكون له كرامة . وليس معنى الكرامة الانعزال عن الناس أو الغرور أو الكبرياء . الكرامة هي الإحساس بالمسئولية الرهيبة إننا سفراء للمسيح . ربما انحنى الآخرون للصغائر ، أما هو فيسمو عليها . الآخرون يحتفظون بأحقادهم ، أما هو فصاف من كل حقد . الآخرون تثور نفوسهم وتتوتر لأجل مراكرهم ومراتبهم ، أما هو ففيه من التواضع ما ينسبه أنه له مكان ما . البعض يندفعون في ثورة وهياج إذا اشتبكوا في مناقشة ، أما هو فيملك هدوءاً داخلياً لا يمكن إثارته . لا يوجد شيء أكثر ضرراً برسالة المسيح من انحدار قادة الكنيسة ورعاة الشعب إلى مستوى من الأخلاق والألفاظ غير لائقة برسول المسيح :

٣ - يجب أن تكون رسالته صحيحة . ليتأكد المعلم والواعظ المسيحي أن ما ينشره هو حقائق الإنجيل وليست أفكاره الخاصة . فليس هناك أيسر من أن ينشغل الواعظ والمعلم بأمور جانبية يضيع فيها وقته . ولتكن صلاته دائماً « أعطني يا رب تقديراً صحيحاً » . تعيش أمور الإيمان الرئيسية مع الإنسان كل حياته . وحالما صار الإنسان داعية لأفكاره الخاصة أو لموضوع معين يهمه ، لا يصلح بعد لأن يكون واعظاً أو معلماً لكلمة الله .

وكان الواجب الذى ألقى على عاتق تيطس هو المأمورية الضخمة ، لا أن يكلم الناس عن المسيح ، بل أن يريهم المسيح .

أعظم ثناء يمكن أن يناله معلم هو أن يقال عنه « لقد تشكل أولا ، ثم علم بعد ذلك » .

المخلوق المسيحي

(٦) العامل المسيحي

٩ وَالْعَبِيدَ أَنْ يَخْضَعُوا لِسَادَتِهِمْ وَيَرْضَوْهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ مُنَاقِضِينَ ١٠ غَيْرَ مُخْتَلِسِينَ بَلْ مُقَدِّمِينَ كُلَّ أَمَانَةٍ صَالِحَةٍ لِكَيْ يُزَيِّنُوا تَعْلِيمَ مُخَلِّصِنَا اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

بطرس ٢ : ٩ ، ١٠

كانت مشكلة العامل المسيحي مشكلة حادة أيام الكنيسة الأولى . وهي مشكلة ذات اتجاهين .

في حالة السيد الوثني ، كانت المسئولية الملقاة على الخادم ثقيلة للغاية ، لأن الفرصة الوحيدة للسيد أن يرى ما هي المسيحية كانت خلال سلوك عبده المسيحي . كان على هذا العبد أن يرى سيده كيف يكون المسيحي . ولا زالت هذه المسئولية ملقاة على عاتق العلماني المسيحي وعلى العامل المسيحي من الواضح أن هناك أعداداً كبيرة من الناس لن تخطو باب الكنيسة برغبتها . ولهذا لن تستطيع الكنيسة أن تجربهم عن المسيحية ، لأنها لا تستطيع الوصول إليهم جميعاً . كما أنه لن تتاح فرصة لراعي الكنيسة أن يكلمهم ، لأنهم ببساطة لن يستمعوا إليه . كيف يمكن إذاً للمسيحية أن تصل إلى هؤلاء الناس ؟ الطريقة الوحيدة أن يروا المسيحية خلال رفقاءهم العاملين معهم . ولا يمكن تقديم المسيحية لمثل هؤلاء الناس إلا باظهار عملي للمسيحية كما تبدو

فى الحياة العقلية وفى السلوك : هناك قصة مشهورة عن القديس فرنسيس عندما قال لواحد من رهبانه الصغار السن : « هلم نمضى إلى القرية لنعظ الناس » فذهبا ، وتوقفا أثناء المسير ليكلما هذا وذاك من الناس ، وليطلبنا لقمة عيش عند هذا البيت أو ذاك . وتوقف فرنسيس ليلعب مع الأطفال ، وليتبادل التحية مع المارين . ثم بدأ رحلة الرجوع إلى البيت . فقال الراهب الصغير « ولكن يا أبى ، متى نعظ ؟ » فابتسم فرنسيس قائلاً ، « نعظ ؟ إن كل خطوة أخذناها ، كل كلمة تبادلناها ، كل عمل قمنا به ، ما هو إلا عظة » . إن العظة الوحيدة التى يمكن لمن لا يذهب للكنيسة أبداً أن يستمع إليها هى الحياة المسيحية التى يعيشها العامل المسيحى فى عمله اليومى .

ولكن كانت هناك مشكلة ثانية . لو كان السيد مسيحياً ، تعرض الخادم المسيحى لإغراء جديد . إغراء استغلال مسيحيته . ربما راوده الخاطر ، أنه سيحظى ببعض الامتيازات الخاصة لأنه مسيحى مثل السيد ، وربما توقع أن التأديب الذى سيوقع عليه أخف من غيره ، أو أنه سينجو من عقاب أخطاء كثيرة ارتكبها . وربما دفعه تفكيره ، سواء شعورياً أو لا شعورياً ، أن يهمل فى عمله لأنه هو والسيد عضوان فى كنيسة واحدة . من الممكن جداً أن يستغل إنسان مسيحيته ويتاجر بها ، وليس هناك إعلان أسوأ عن المسيحية من شخص يفعل ذلك .

لهذا يعدد لنا بولس الخصائص التى يجب أن تتوفر فى العامل المسيحى . خاضع مطيع : ليس هناك مسيحى أسهى من أن يأخذ أمراً صادراً إليه . فمسيحيته تعلمه كيف يخدم . وهو كفء ، معزم أن يرضى من يعمل لديهم فالعامل المسيحى لا يستطيع أن يقدم أقل من الأفضل لديه فى أية مأمورية تسند إليه . وهو محترم فلا يعتقد أن مسيحيته تعطيه أى حق خاص فى أن

يكون حاد الرد أو سيء التربية . فالمسيحية لا تلغى الخطوط الضرورية لتوزيع السلطة في عالم الصناعة والتجارة والعمل . وهو أمين ، غيره يختلس وما أكثر الاختلاسات التي يمتلئ بها العالم . أما هو فيحتفظ بيدين نظيفتين . وهو مخلص فيستطيع سيده أن يعتمد عليه ويرتكز إلى إخلاصه وخدمته .

وربما تعرض الخادم المسيحي الذي يأخذ مسيحيته معه إلى العمل إلى بعض المتاعب ؛ ولكنه لو تمسك بها فسينتهي الأمر به إلى كسب احترام الجميع .

ويقص علينا براون ما حدث له في الهند . « كلف سيد خادمه المسيحي بالذهاب برسالة شفعية كان يعلم أنها غير صادقة . فرفض الخادم أن يسلمها . ورغم شدة غضب السيد حينذاك ، إنما زاد احترامه للخادم بعد ذلك لأنه علم أنه يستطيع دائماً أن يثق فيه في كل أموره الخاصة » .

والحقيقة أنه في النهاية ، سيعرف العالم أن العامل المسيحي هو العامل الوحيد المستحق أن يعطى عملاً . إن كان من الصعب الاحتفاظ بمسيحيتنا في جو العمل ، فانه من الحق أنه إذا حاولنا سنكتشف أنه أيسر بكثير مما نعتقد فلا يوجد سيد أو صاحب عمل لا يرحب كل الترحيب بعامل يمكن أن يعتمد على كفاءته ويثق في إخلاصه ووفائه .

قوة التجسد الأخلاقية

- ١١ لَأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ الْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ النَّاسِ
١٢ مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَن نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةِ
وَنَعِيشَ بِالتَّعْقُلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ
١٣ مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ
وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ ١٤ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا
لِكَيْ يَفْدِينَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا
غَيْرَافِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ .

تيطس ٢ : ١١ - ١٤

هناك فقرات قليلة في العهد الجديد تماثل هذه الفقرة في حيويتها نحو إظهار القوة الأخلاقية للتجسد . فهي تؤكد التأثير الأخلاقي للتجسد على الناس ، معجزة التغيير الأخلاقي التي يستطيع أن يعملها يسوع المسيح .

يتكرر التعبير هنا عن هذه المعجزة الأخلاقية بصورة طريفة قوية للغاية.

وعظ أشعياء مرة شعبه : « كفوا عن فعل الشر ، تعلموا فعل الخير »
(أشعياء ١ : ١٦ ، ١٧)

أولا ، هناك الجانب السلبي للخير ؛ الكف عن فعل الشر ، والتحرر مما

هو رديء

ثانياً ، هناك الجانب الإيجابي للخير ، الحصول على الفضائل العظيمة
اللامعة التي تحلى الحياة المسيحية .

أولاً ، هناك التخلي عن كل الشرور وكل الشهوات العالمية . ماذا عني
بولس بالشهوات العالمية ؟ قال كريسوستم أن الأشياء العالمية هي تلك التي
لا تمضي معنا إلى السماء ، ولكنها تتحاطل مع العالم الحاضر . من المؤكد أن
الإنسان يكون قصير النظر جداً إذا وضع كل همه وصرف كل جهده على
أمر ستركها خلفه عندما يغادر هذا العالم . إذا أمضى الشخص كل حياته
ليقتنى الماديات ويكنزها ، فسيجد أنه لا يملك شيئاً ليأخذه معه عندما ينتهي
هذا العالم . ولكن هناك تفسيراً أسهل لهذه الجملة – الشهوات العالمية –
فالشهوات العالمية هي تلك الأشياء التي لا نستطيع أن نربها لله . وعمل المسيح
قادر أن ينظفنا من هذه الشهوات التي نشعر بالعار إذا رآها الله . إن المسيح
وحده الذي يصنع لحياتنا الخارجية فقط ، بل قلوبنا الداخلية أيضاً ، لتصبح
جديرة أن يراها الله .

هذا هو الجانب السلبي لقوة التجسد الأخلاقية ؛ وأما الجانب الموجب
فيسوع المسيح يمكننا أن نعيش بالتعقل الذي يتحكم في كل شيء ، ولا يسمح
لأي عاطفة أو شهوة أن تأخذ أكثر من مكانها الصحيح ؛ مع عدالة يمكننا
أن نعطي لله وللناس ما يحق لهم ؛ مع توقيف يمكننا أن نعيش باحساس حي . أن
كل ما في العالم ما هو إلا هيكल الله .

والمحرك لهذه الحياة الجديدة هو توقع مجيء يسوع المسيح . عندما ننتظر
تشریف شخصية هامة لمكان ما ، تنظف الأشياء والشوارع وتعلق الزينات
اللائقة بالعين الملكية أن تقع عليها . والمسيحي هو ذلك الإنسان المستعد دائماً
لمجيء ملك الملوك .

وأخيراً يمضى بولس فيجمع ما فعله يسوع المسيح ، ويتبع نفس الأسلوب
فيبدأ بالجانب السلبي وينتهي بالإيجابي :

لقد فدانا يسوع من قوة الشيطان ، أنقذنا من القوة التي تجعلنا نخطئ .

ويستطيع يسوع أن يطهرنا حتى نصبح لاثقين أن نكون شعب الله
الخاص . وكلمة خاص Periousios كلمة طريفة . فهي تعني أفرز ،
مخصص لأجل ؛ وكانت تستعمل خاصة عن جزء من غنائم المعركة أفرزها
الملك المنتصر لنفسه . فنتيجة لعمل يسوع المسيح نصير المسيحي لاثقاً لأن
يكون ملكاً خاصاً لله ، أي نصبح صالحاً لأن ينتمى لله .

إن قوة التجسد الأخلاقية فكرة خطيرة رائعة . فان المسيح لم يحررنا فقط
من قوة وعقاب الخطية الماضية ؛ ولكنه قادر أن يقويننا لنحيا الحياة الكاملة
هنا في هذه الأرض في هذا الزمان والمكان ؛ وقادر أن يغسلنا حتى نصير
جديرين بالحياة الآتية ، وأن نصير ملكاً خاصاً لإلهنا نفسه .

المأمورية الثلاثية

١٦ تَكَلَّمْ بِهَذِهِ وَعِظْ وَوَبِّخْ بِكُلِّ سُلْطَانٍ . لَا يَسْتَهِنُ بِكَ أَحَدٌ .

تيطس ٢ : ١٥

يضع بولس هنا في إيجاز بليغ مأمورية ثلاثية أمام تيطس ، مأمورية القيام بعمل الواعظ وعمل المعلم وعمل القائد المسيحي .

هي مأمورية إعلان — هناك رسالة تعلن — هناك أشياء لا تصلح معها المجادلة ، ولا تستقيم معها المناقشة . هناك أوقات يجب أن يذكر فيها الواعظ والمعلم هذه العبارة : « هكذا قال الرب » .

وهي مأمورية تشجيع . الواعظ الذي يرسم صورة البأس القائم أمام مستمعيه قد فشل في أداء مهمته . يجب أن يوبخ الناس على خطاياهم ، لا بصورة تيشبهم من أحوالهم ، بل بطريقة تقودهم إلى النعمة الأعظم من كل خطاياهم .

وهي مأمورية إقناع . يجب أن يفتح الحاطئ عينيه ليرى خطية . وأن يقاد السالك في الشر ليدرك عقله مدى خطأه . وأن يهز قلب السامع الذي لا يرتدع لكي يستيقظ ويعي . الرسالة المسيحية ليست أفيوناً لتخدير الناس ، فليس هناك يقين مريح في أن كل شيء سيكون على ما يرام . بل على العكس ، أن النور القوي الذي يعنى هو الذي يرى الناس على حقيقتهم والله على حقيقته .

الأصْحَاحُ الثَّالِثُ

المواطن المسيحي

١ ذَكِّرْهُمْ أَنَّ يَخْضَعُوا لِلرِّيَّاسَاتِ وَالسَّلَاطِينِ .
وَيُطِيعُوا وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ . ٢ وَلَا
يَطْعَنُوا فِي أَحَدٍ وَيَكُونُوا غَيْرَ مُخَاصِمِينَ حُلَمَاءَ مُظْهِرِينَ
كُلَّ وَدَاعَةٍ لِجَمِيعِ النَّاسِ .

تيطس ٢ ، ١ ، ٣

توضع لنا هنا واجبات المسيحي العامة ؛ في قالب نصيحة موجهة على
الخصوص إلى أهل كريت . اشتهر الكريتيون بالشغب والحدة ونفاذ الصبر
مع جميع السلطات . ويذكر عنهم المؤرخ اليوناني بوليبيوس أنهم كانوا
باستمرار مشتبهين في « اعتداءات ، جرائم قتل وحروب داخلية » . ويعدد لنا
هذا الجزء ستة صفات للمواطن الصالح .

المواطن الصالح مطيع للقانون . يدرك أنه بدون المحافظة على القوانين
تصبح الحياة فوضى . يعطى الاحترام الواجب لأولئك الذين في مركز
السلطان ، وينفذ أي أمر يوكل إليه . ولا تصر المسيحية أن يلغى الإنسان
شخصيته ، ولكنها تصر أن يذكر الإنسان دائماً أنه عضو في مجموعة . قال
أرسطو ، « الإنسان حيوان سياسي » ومعنى هذا أن الإنسان يعبر جيداً عن
شخصيته لا في فردية منعزلة بل في داخل إطار المجموعة . إن أفضل وجود له
يكون في رفقة وخدمة الآخرين .

المواطن الصالح نشيط في الخدمة ، مستعد لأي عمل طالما كان هذا عملاً

طبيعاً . آفة العصر الحديث هي الملل ؛ والملل نتيجة مباشرة لحب الذات .
طلما كان الإنسان يحيا بهذا المبدأ ، « لماذا أفعلها أنا ؟ لماذا لا يفعل ذلك واحد
غيري ؟ » ، فانه لا بد مسوق إلى الملل . أن لذة الحياة في الخدمة .

المواطن الصالح حريص في الكلام . فلا يشين سمعة أحد . لا يليق بأحد
أن يذكر عن الآخرين ما لا يطيق سماعه عن نفسه . والمواطن الصالح هو من
ينتقى ألفاظه تماماً كما يختار أفعاله .

المواطن الصالح محتمل ، لا يتهم ومغنى الكلمة اليونانية (غير محارب)
ولا يعنى هذا أن المواطن الصالح لن يدافع عما يؤمن بصحته . بل تعنى أنه
لن يبلغ من تعصب لرأيه درجة رفض أى رأى آخر يخالف رأيه . وأن
يسمح لغيره بنفس الحق في التمسك بمبادئه كما يطلب هو لنفسه .

المواطن الصالح متسامح . وهى كلمة تصف الشخص الذى لا يتمسك
بحرفية القانون . قال أرسطو عن هذه الكلمة أنها تعنى « اهتمام زائد بالضعفات
البشرية » وأنها القدرة على « تفهم ما قصده المشرع إلى جانب تطبيق القانون »
الشخص المتسامح هو من يلطف العدالة بالرحمة ، ويحذر من المظالم التى
تؤدى إليها أحياناً كثيرة عدالة عمياء .

المواطن الصالح رقيق . وهى كلمة تصف الشخص المتحكم في طبعه
الرجل الذى يعرف متى يغضب ومتى لا يجب أن يغضب ، الرجل الذى
يتحمل في صبر ما يلاقيه شخصياً من عنت وخطأ ، ولكنه مستعد دائماً أن
يهب لنجدة من يلاقى عنتاً أو ظلماً .

صفات كهذه لا يمكن اجتماعها إلا في المسيحى ، فهى مستحيلة إلا لمن
كان المسيح ملوئ قلبه تماماً . والخير الذى يعم أى مجتمع يعتمد على قبول
المسيحيين بهذا المجتمع لواجب إظهار نبالة المواطن المسيحى أمام العالم أجمع .

المحرك المزدوج

٣ لَأَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضاً قَبْلَ أَغْبِيَاءَ غَيْرَ طَائِعِينَ
خَصَالِينَ مُسْتَعْبِدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ عَائِشِينَ فِي
الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ مَمْقُوتِينَ مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً . ٤ وَلَكِنْ
حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخْلِصِنَا اللَّهُ وَإِحْسَانُهُ ٥ لَا بِأَعْمَالٍ فِي
بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ
الْمِيلَادِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ ٦ الَّذِي سَكَبَهُ
بِغْنَى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخْلِصِنَا ٧ حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا
بِنِعْمَتِهِ نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ .

لوقا ٢ : ٢ - ٧

محرك الحياة المسيحية مزدوج .

إنه يأتي أولاً من إدراك أن هؤلاء الذين اعتنقوا المسيحية لم يكونوا قبلاً
أفضل من جيرانهم الوثنيين . فصلاح المسيحية لا يضاف على الشخص كبرياء
بل يعزقه في إحساس من الشكر والعرفان . عندما ينظر إلى غيره . الذين
ما زالوا يعيشون في جهل الوثنية ، فانه لا يرمقهم باحتقار أو يدينهم في غرور
بل يقول على لسان هويتفيلد عندما رأى مجرماً يساق إلى الإعدام : « هوذا ،
لولا نعمة الله ، أذهب أنا » .

إنها إدراك ما فعله الله للناس في يسوع المسيح . ربما لا يماثل جزء آخر في العهد الجديد هذه الفقرة في إنجازها ورغم ذلك إلمامها الكامل بما قام به المسيح لأجل الناس . تبرز هنا سبعة حقائق في عمل المسيح .

١ - ما فعله يسوع لنا هو أنه وضعنا في علاقة جديدة مع الله . حتى مجيء المسيح كان الله هو الملك الذي يقف الناس أمامه في رهبة ، القاضي الذي يرتعب أمامه الناس ؛ والحاكم بأمره ذو الجلال الذي لا يستطيع أحد أن يرفع عينيه نحوه إلا في خوف وخشية . وجاء يسوع ليخبرنا عن الآب الذي فتح قلبه ومد يدها نحونا في حب . جاء ليقول لنا ، لا عن العدالة التي ستبتعنا دائماً حتى نحقق بنا ، بل عن المحبة التي لن تدعنا نفلت أبداً .

٢ - نعمة الله ومحبه عطيتان لا يمكن لإنسان أن يستحقهما أو ينالهما ؛ ولكن يمكن فقط قبولهما في كامل اليقين وبقظة المحبة . يقدم الله محبه للناس ، لا لأعمال خير فعلوها ، بل للخير العميم الذي يفيض بقلبه . والمسيحي لا يفكر مطلقاً فيما حصل عليه ، بل فيما منحه له الله . ولحسن الحياة المسيحية المتكرر يجب أن يكون دائماً دهشة وشكر في تواضع جميل لا يفسده كبرياء الرضاء عن الذات والعملية بأكملها ترجع إلى صفتين عظيمتين لله .

ترجع إلى إحسان الله ولطفه . الكلمة تعني الخير والإحسان وتعني هذا الروح الكريم المحسن المستعد دائماً . السباق دائماً أن يعطى أية هبة ضرورية . مستعد أن يعطى العفو والبركة عند طلبها . هي فيض دفاق من الخير ، ينبعث في مشاعر دافئة ، ويظهر في أعمال كرم وسخاء كل لحظة .

وترجع إلى محبة الله للناس . والكلمة وتعرف أنها محبة الإنسان كإنسان . وقد فكر اليونانيون كثيراً بهذه الكلمة الجميلة ؛ فاستعموها لتصف رقة

إنسان طيب نحو زملائه ، أو تعطف ملك صالح على رعاياه ، أو إحسان
عملى لإنسان كريم نحو أولئك الذين فى ضيقة أو مشقة ، واستعملت الكلمة
بالذات لتعبر عن شعور العطف والمشاركة التى تدفع إنساناً أن يفدى إنساناً
آخر إذا وقع فى الأسر .

خلف كل هذا لا يوجد أى استحقاق لإنسان ؛ خلف الأمر كله هو
لطف الله وكرمه ومحبه الفياضة للبشرية التى تشغل بال الله .

٣ - وتنقل الكنيسة مفهوم محبة الله ونعمته للناس ، خلال المعمودية
المتدسة . وليس معنى هذا عدم وجود طريق آخر ، لأن الله ليس محدوداً
بالفرائض المقدسة ، ولا ننسى أن كل من تقدم للمعمودية فى الكنيسة الأولى
كان من البالغين الآتى مباشرة من الوثنية إلى الكنيسة المسيحية . فكانت
المعمودية إعلاناً يشير إلى ترك نوع معين من الحياة والدخول فى نوع آخر
جديد بملء حرية الشخص واختياره . لهذا يكتب بولس إلى كنيسة كورنثوس
قائلاً : « لكن اغتسلتم بل تقلمتم بل تبررتم . . » (١ كورنثوس ٦ : ١١) .
ويقول فى الرسالة إلى أفسس إن يسوع المسيح أخذ الكنيسة « لى يقدسها
مطهرراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (أفسس ٥ : ٢٦) . نال الناس فى المعمودية
قوة الله للغسل والخلق .

وفى هذا الشأن يستعمل بولس كلمتين .

فيتكلم عن الولادة الثانية Paliggensia . وهى كلمة لها ارتباطات
كثيرة . عندما يتهود إنسان ويقبل فى الدين اليهودى ، يعمد أولاً ،
ثم يعامل كما لو كان طفلاً صغيراً . وكأنما ولد من جديد وبدأت
الحياة بالنسبة له بداية جديدة . واستعمل الفيناغورثيون الكلمة مراراً ، لأنهم

كانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح ، يؤمنون بعودة الناس إلى الحياة مرة أخرى في صور متعددة حتى يصلوا إلى مرتبة من الجدارة تسمح باطلاق سراحهم من الحياة - وكانت كل عودة تسمى ميلاداً ثانياً . كما استعمل الرواقيون الكلمة إذ كانوا يؤمنون أن العالم يهلك بحريق هائل مرة كل ثلاثة آلاف سنة ، يتبع ذلك ميلاد كوني ثان لعالم جديد . كذلك كان يطلق على الأشخاص الذين دخلوا إلى الأديان السرية بأنهم « ولدوا ثانية للأبدية » . والأمر كله هو أنه عندما يقبل شخص المسيح كمخلص ورب . تبدأ الحياة بالنسبة له من جديد . هناك إحساس بجدة الحياة لا يمكن تشبيهه إلا بأنه ولادة جديدة .

يتكلم بولس أيضاً عن التجديد . كما لو كانت الحياة قد أضناها الإعياء والتعب ؛ ثم عندما يكتشف الشخص المسيح تبدأ عملية تجديد لا تنهى في فترة قصيرة ، بل تستمر وتتكرر كل يوم .

السبب والتأثير

٤ - تنتقل نعمة ومحبة الله للناس داخل الكنيسة ، ولكن القوة الضرورية خلفها هي قوة الروح القدس . مهما كان عمل الكنيسة ، ومهما كانت الكلمات التي تتردد في الكنيسة ، ومهما كانت الأسرار المقدسة المتداولة في الكنيسة . فجميعها لا قوة فيها ولا تأثير فيها إلا إذا كانت قوة الروح القدس حالة فيها . لا جدوى من رفعة التنظيم في الكنيسة ، أو من روعة الاحتفالات بها ، أو من جمال مبانيها ، أو ضخامة عبادتها ؛ فكل هذه بلا تأثير بدون قوة الروح . وكلما ازددنا في دراسة العهد الجديد ، تأكد لنا الاستنتاج أنه بالنسبة للكنيسة الأولى كان الروح القدس والمسيح المقام نفس الشخص الواحد . ويمكن أن نستنتج بوضوح أن الانتعاش الروحي لا يأتي للكنيسة من ازدياد كفاءة التنظيم ، بل من انتظار الله . ولا يعني ذلك عدم أهمية الكفاءة ، فهي

ضرورية وهامة . ولكن مهما كانت قيمة هذه الكفاءة فهي غير قادرة أن تنفث نسمة الحياة في جسد ليست فيه نسمة الروح .

٥ - تأثير ذلك كله مثلث الجوانب . فنحن ننال مغفرة الخطايا الماضية . كما أن الله في رحمته لا يمسك هذه الخطايا ضدنا . كما أننا جميعاً أخطأنا ، ولكننا خطاة غفرت لهم خطاياهم .

اشتكى شخص مرة بمرارة وحزن لأغسطينوس بسبب خطاياهم . فقال له أغسطينوس : « يا رجل ، التفت بعيداً عن خطاياك ، وانظر إلى الله » . وليس معنى ذلك أن لا يشعر الإنسان بحزن نادم تائب كل حياته بالنسبة لما ارتكبه من خطايا ، ولكن مجرد ذكرى هذه الخطايا تثير فيه الدهشة لرحمة الله الغافرة .

٦ - ونتيجة كل هذا ما نجده في حياتنا الحاضرة . فالمسيحية لا تحصر عطيتها فقط في البركات الآتية . فهي تقدم للانسان في الحال والحاضر حياة من نوع لم يعرفه من قبل . عندما يدخل المسيح في حياة إنسان ، يشعر هذا الإنسان للمرة الأولى أنه بدأ يعيش حقيقة .

٧ - وأخيراً ، يدخل إلى الحياة الأمل بمحدث أمور أجل وأعظم . المسيحي هو من يعيش بالرجاء ، وبالنسبة له فالأفضل ما زال لم يأت بعد ، وهو يعرف أنه مهما كان جمال الحياة مع المسيح على الأرض فإن الحياة التي ستأتي ستكون أعظم بكثير . المسيحي هو من اختبر أعجوبة غفران خطاياهم السابقة وروعة الحياة الحاضرة مع المسيح ، ورجاء الحياة المحيية التي ما زالت تنتظره .

ضرورة العمل وخطورة المناقشة

٨ صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ . وَأُرِيدُ أَنْ تُقَرَّرَ هَذِهِ الْأُمُورُ
لِكَيْ يَهْتَمَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً .
فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ هِيَ الْحَسَنَةُ وَالنَّافِعَةُ لِلنَّاسِ . ٩ وَأَمَّا
الْمُبَاحَثَاتُ الْغَيْبِيَّةُ وَالْأَنْسَابُ وَالْخُصُومَاتُ وَالْمُنَازَعَاتُ
الْنَامُوسِيَّةُ فَاجْتَنِبْهَا لِأَنَّهَا غَيْرُ نَافِعَةٍ وَبَاطِلَةٌ . ١٠ الرَّجُلُ
الْمُبْتَدِعُ بَعْدَ الْإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ أُعْرِضَ عَنْهُ ١١ عَالِماً
أَنْ مِثْلَ هَذَا قَدْ أَنْحَرَفَ وَهُوَ يُخْطِئُ مَحْكُوماً عَلَيْهِ مِنْ
نَفْسِهِ .

تيطس ٣ : ٨ - ١١

يؤكد هذا الجزء ضرورة العمل المسيحي ، وخطورة نوع معين من
المناقشات .

كلمة يمارس في الأصل ، وتعني حرفياً يقف أمام ، كانت تطلق على
صاحب المحل الذي يقف أمام دكانه ويصيح على بضاعته التي يريد بيعها .
والجملة كلها ربما كانت تعني أحد أمرين . إما أنها أمر إلى المسيحيين أن
لا يمارسوا إلا ما هو محترم ونافع من التجارة . كانت هناك بعض المهن
المعيّنة التي أصرّت الكنيسة الأولى أن يتركها الشخص قبل أن يسمح له حتى

يطلب الالتحاق بعضوية الكنيسة . ولكن الأمر الأكثر احتمالاً هو أن الجملة كانت تعني أمراً أشمل بمعنى أن واجب المسيحي أن يمارس الأعمال الحسنة التي تساعد وتفيد الآخرين .

والجزء الثاني من الفقرة يحذر من المباحثات الغبية التي لا طائل من ورائها . أمضى فلاسفة الإغريق أوقاتهم ينسجون خيوط أسئلتهم الدقيقة . وأمضى معلمو اليهود أوقاتهم يبنون أنساباً خيالية ترفع من شخصيات العهد القديم . وأمضى الكتبة ساعات لا عدد لها يتناقشون فيما يجوز وما لا يجوز عمله يوم السبت ، وما هو طاهر وما هو نجس . ولقد قيل إن هناك خطورة في أن يظن الإنسان في نفسه أنه مؤمن لمجرد أنه يناقش الأمور الدينية . هناك نوع من الناس يناقش لمجرد المناقشة . وهناك نوع من الجماعات يمضي ساعات طويلة في المناقشة عن المسائل اللاهوتية مع أن مناقشة المسائل اللاهوتية أيسر بكثير من الحياة العملية المسيحية كأن تكون رقيقاً ومعاوناً في البيت أو يقظاً أميناً في عملك . لا توجد فضيلة ما في صرف ساعات كثيرة في مناقشات دينية عميقة بينما الأعمال البسيطة التي تتطلبها الحياة المسيحية لا تجد من يقوم بها . والحقيقة أن مثل هذه المناقشات لا تخرج عن كونها انحراف عن أداء الواجبات المسيحية ؛

كان بولس واثقاً تماماً أن واجب المسيحي الحقيقي يكمن في العمل المسيحي ولا يعني هذا إلغاء المباحثات المسيحية ؛ ولكنه يعني أن المباحثات التي لا تنتهي بعمل ما لا تخرج عن كونها مضيعة للوقت .

وينصح بولس بتجنب الرجل المبتدع المشاكس ، ومبتدع يعني مهرطق والكلمة اليونانية وتعني حزب ، أو مدرسة ، أو طائفة . ولم يكن هناك أى معنى سىء للكلمة أصلاً . ولم يكن المقصود بها الهرطقة ، إنما هي فقط الحزب

الذى اختار الشخص الانتماء إليه . ولكن المعنى السيء زحف إلى الكلمة عندما يتمسك الشخص برأيه الخاص ضد كل التعليم ، والاتفاقات والتقاليد في الكنيسة . أما المهرطق أو المبتدع فهو الشخص الذى قرر أنه هو وحده على صواب وجميع الآخرين مخطئون . وتحذير بولس موجه ضد الشخص الذى جعل من أفكاره وآرائه الخاصة المثال والمقياس لكل الصديق . يجب أن يتجنب الإنسان من أى رأى يفصله عن مشاركة إخوته من المؤمنين . فالإيمان الحقيقى لا يفرق بين الناس ، بل يوحدهم .

تحيات أخيرة

١٢. حِينَما أُرْسِلُ إِلَيْكَ أَرْتِيْمَاسَ أَوْ تِيخِيْكُسَ
بَادِرُ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ إِلَى نِيكُوبُولِيْسَ لِأَنِّي عَزَمْتُ أَنْ أَشْتِيَ
هُنَاكَ . ١٣. جَهِّزْ زِيْنَمَاسَ النَّامُوسِيَّ وَأَبْلُسَ بِاجْتِهَادٍ
لِلسَّفَرِ حَتَّى لَا يُعْوزَهُمَا شَيْءٌ . ١٤. وَلِيَتَعَلَّمْ مَنْ لَنَا أَيْضاً
أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً لِلْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ حَتَّى
لَا يَكُونُوا بِلَا ثَمَرٍ . ١٥. يُسَلِّمُ عَلَيْكَ الَّذِينَ مَعِيَ جَمِيعاً .
سَلِّمُ عَلَى الَّذِينَ يُحِبُّونَنَا فِي الْإِيْمَانِ . النُّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ .
آمِينَ

تيطس ٣ : ١٢ - ١٥

يختم بولس رسالته كالمعتاد بتحيات شخصية . نحن لا نعرف شيئاً عن
أرتيماس . ولكن تِيخِيْكُسَ كان واحداً من أوثق رسل بولس . حمل رسائل
بولس إلى كنائس كُولُوسِيَّ وَأَفَسَسَ (كُولُوسِيَّ ٤ : ٧ ؛ أَفَسَسَ ٦ : ٢١) .
وكانت نِيكُوبُولِيْسَ في ابيرس أفضل مركز للعمل في ولاية دالماتيا الرومانية .
ومن الطريف تذكر أن الفيلسوف الرواق الشهير أبكتيتوس بدأ مدرسته في
هذه المدينة فيما بعد .

أما أبلوس فهو المعلم المعروف (أعمال ١٨ : ٢٤) ولكننا لا نعرف

شيئاً عن زيناس . يدعى هنا الناموسى ويعنى ذلك أمراً من الإنين فهى الكلمة المعتادة للكاتب ، وربما كان زيناس معلماً يهودياً وتحويل إلى المسيحية . وهى أيضاً الكلمة اليونانية المعتادة للمحامى ؛ وإذا كان هذا هو المعنى المقصود ، يكون زيناس هو المحامى الوحيد الذى حصل على امتياز ذكره فى العهد الجديد.

وكانت آخر نصيحة لبولس أن يتعلم الشعب المسيحى ممارسة الأعمال الحسنة ، حتى يكونوا مستقلين بذواتهم ، وأن يكونوا قادرين على مساعدة المحتاجين . فالعامل المسيحى لا يعمل ليوفر احتياجاته الخاصة فقط ، بل ليعطى جزءاً منه أيضاً للآخرين .

وهكذا تختتم الرسالة بالتحيات الأخيرة ؛ ثم تأتى كلمة بولس الأخيرة ، « نعمة » كما فى كل رسائله الأخرى .

رسالة بولس الرسول
إلى فليمون

مقدمة

الرسالة الفريدة

تتميز هذه الرسالة القصيرة إلى فليمون بشيء فريد بين رسائل بولس الأخرى . فهي الرسالة الخاصة الوحيدة لبولس التي لدينا . ولا شك أن بولس كتب رسائل خاصة كثيرة ، ولا شك أيضاً أن هذه الرسائل قد لاقت مصير جميع الرسائل الخاصة الأخرى ، لا شك أنها جميعاً قد ضاعت ولم يبق منها غير الرسالة إلى فليمون فقط . وإلى جانب ما يتخلل الرسالة من جمال وجاذبية فيكفي أنها رسالة بولس الوحيدة الخاصة التي بأيدينا وهذا يعطى لهذه الرسالة أهمية فريدة .

أنسيموس ، العبد الهارب

يمكن إعادة بناء قصة أنسيموس بطريقتين محتملتين . الطريقة الأولى ، وتمثل وجهة النظر العادية ، تتبع التحليل المباشر ، والطريقة الثانية أقترحها E.J.Goad speed وهي أكثر تعقيداً وتتميز بما فيها من عاطفة ودراما . لنبدأ أولاً بوجهة النظر البسيطة :

كان أنسيموس عبداً هارباً ، وغالباً سارق أيضاً . « إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين فاحسب ذلك على » (١٨ ، ١٩) . وجد الهارب أنسيموس طريقه إلى روما ، ليفقد نفسه بين أفواج الجماهير التي تموج بها شوارع المدينة الكبيرة ، وبطريقة ما توصل إلى بولس ، وصار أنسيموس مسيحياً ، الابن الذي ولده بولس في قيوده (آية ١٠) .

ثم حدث شيء . لقد كان واضحاً أنه من المستحيل على بولس أن يظل محتفظاً بعبد هارب ، ولا بد أنه حدث شيء أثار الموضوع كله . ربما ما حدث هو قدوم أبفراس ، وتعرفه على أنسيموس العبد الذى رآه فى كولوسى ، وهكذا طفت القصة كلها إلى السطح ؛ وربما كان مع قدوم أبفراس ، وبقظة ضمير أنسيموس أن دفعته ليقدم اعترافاً كاملاً بكل ماضيه الشائن .

بولس يرد أنسيموس

أثناء الفترة التى أمضاها أنسيموس مع بولس أصبح نافعاً له بدرجة أن أصبح لا غنى لبولس عنه ؛ وكان بولس يود أن يحتفظ به . « الذى كنت أشاء أن أمسكه عندي » (عدد ١٢) . ولكن بولس لا يفعل شيئاً بدون موافقة فليمون سيد أنسيموس (عدد ١٣) . لهذا يرد بولس أنسيموس . وهو يعلم جيداً المخاطرة التى يأخذها . فلم يكن العبد فى اعتبار القانون إلا آلة حية ، والسيد له حق الحياة والموت على عبيده . « يستطيع أن يفرك آذانهم ، أو يحكم عليهم بالعمل الشاق – فثلاً يجعلهم يعملون وهم مقيدون بالسلاسل فى أرضه ، أو فيما يشبه مصنع ملحق بالسجن . وربما عاقبهم بالضرب بقضيب من حديد ، أو بالكرباج أو بالعقدة ؛ يستطيع أن يدهمهم على جباههم ، لو كانوا لصوصاً أو هاربين ، وفى النهاية يستطيع أن يصلحهم إن لم ينصلح حالهم » .

ويقص علينا بلنى كيف عامل قيديوس أحد عبيده . كان العبد يحمل صينية عليها كثوس من الكريستال إلى ساحة المحكمة ، فسقط منه كأس وانكسر ؛ وعلى الفور أمر السيد بالقاء العبد فى بركة السمك وسط الساحة ، حيث فتكت به الأسماك المتوحشة ومزقته تمزيقاً . ويرسم لنا جوفينال صورة السيدة التى تتلذذ بضرب خادمتها ، والسيد الذى « يتمتع بصوت الضرب

القاسى ، معتبراً أنه أعذب من الأغنية ، والذي لا يسعد إلا بمرأى الملعذب
يدمغ أحد عبيده بقضيب محمى من الحديد لأنه سرق اثنين من مناشفه ، أو
بسماع صليل القيود الحديدية التى تحيط بأطراف عبيده . كان العبد دائماً
تحت رحمة مزاج السيد أو السيدة :

وما جعل الأمر أكثر سوءاً هو أن كان هناك إصرار على إبقاء العبيد
فى أخط حال . كان هناك حوالى ٦٠ مليون عبداً بالامبراطورية الرومانية .
وهم بذلك يكونون خطراً ماثلاً دائماً . ولا شك أنه كان بالإمكان تحطيمهم
تماماً ، ولكن لو حدث أن قاموا بثورة . لسيبوا اضطراباً خطيراً . لهذا كان
العبد الثائر يستأصل بسرعة . وإذا هرب عبد ، فأقل عقاب له هو دمه
بقضيب محمى على جبهته بالحرف « ه » لتعنى « هارب » - وأشد عقاب له
هو صلبه وتركه يموت ميتة بشعة . وكان بولس يعلم ذلك جيداً ، وكان يعلم
أيضاً أن الرق والعبودية كانت متأصلة فى العالم القديم إلى درجة أنه كانت
خطورة كبيرة حتى فى إرجاع أنسيموس إلى فليمون المسيحى :

بولس يرجو

أعطى بولس هذا الخطاب لأنسيموس ، ويتلاعب بولس لفظياً بالاسم :
فاللعنى الحرفى لأنسيموس فى اليونانية هو مفيد . كان أنسيموس قبلاً
غير نافع ولكنه الآن نافع (آية ١١) . وبمعنى آخر لم يعد أنسيموس بالاسم
فقط بل بالفعل أيضاً . ربما فقد فليمون لفترة ليستردده إلى الأبد (آية ١٥) .
يسترده كأخ فى الرب لا كعبد (آية ١٦) . فهو الآن ابن لبولس فى الإيمان ،
وواجب فليمون أن يستقبله كما يستقبل بولس نفسه .

تحرير

كان هذا ، إذاً ، رجاء بولس . ويتعجب كثير من الناس إزاء إغفال

بولس قول أى شىء بخصوص موضوع الرقيق بأكمله . فهو لا يدينها ، ولا يطلب من فليمون حتى أن يحرر أنسيموس ، بل يعيده إليه كعبد . وهناك البعض ممن انتقدوا بولس أنه لم ينتهز هذه الفرصة ليدن العبودية فى جملتها والتي عليها تأسس العالم القديم . ويقول Light foot ، « إن كلمة تحرير تبدو أنها ترتعش على شفتيه ، ولكنه لا يتفوه بها قط » . ولكن هناك أسباب معينة لصمت بولس إزاء هذه المشكلة .

كانت العبودية جزءاً لا يتجزأ من العالم القديم ، وتأسس عليها المجتمع . وكان أرسطو يعتقد مبدأ الطبقات ، ففى رأيه أن طبيعة الأمور تتطلب وجود بعض العبيد ، وبعض النجارين ، وبعض السقائين لخدمة الطبقات الأعلى من الناس . وربما قبل بولس نظام العبودية ، لأنه كان من قبيل المستحيل تخيل المجتمع القديم بدونها . بالإضافة إلى ذلك ، لو كانت المسيحية قد أظهرت فعلاً أى نوع من التشجيع للعبيد لكي ينثروا أو يتركوا ساداتهم ، لما كانت النتيجة إلا مأساة ومصيبة على نطاق الدولة . فإى ثورة من هذا النوع كان مصيرها المحتوم السحق بوحشية ، وأى عبد يحرر نفسه مآله عقاب صارم لا رحمة فيه ، أما المسيحية نفسها فصيرها أن تدمغ بأنها حركة ثورية عدائية خائنة . . ولكن إذا سيطر الإيمان المسيحى ، فإن التحرير أمر لا بد أن يحدث ولكن الوقت لم يكن مناسباً لحدوثه . ولو قامت المسيحية بتشجيع العبيد وإثارة هذا الرجاء فيهم ، بل والعمل على تحقيقه لكان الضرر الناتج أكثر بكثير جداً من الفائدة المرجوة . هناك أمور لا يمكن تحقيقها فجأة ، بل لا بد للعالم أن ينتظر حتى يختمر الخمر .

العلاقة الجديدة

ما فعلته المسيحية هى أنها أوجدت علاقة جديدة بين الإنسان . والإنسان ،

علاقة اختفت منها كل الفروق الخارجية لأن المسيحيون جميعاً واحد في المسيح . جسد واحد سواء كانوا من اليهود أو من الأمم ، من العبيد أو من الأحرار (١ كورنثوس ١٢ : ١٣) . « ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع » (غلاطية ٣ : ٢٨) — في المسيح لا يوجد يونانى أو يهودى ، نختان أو غرلة أو سكيثى عبد أو حر (كولوسى ٣ : ١١) . هرب أنسيموس كعبد ، ويعود أيضاً كعبد ، ولكنه ليس عبداً فقط الآن ، بل هو أخ محبوب في الرب . عندما تدخل في الحياة علاقة كهذه ، تفقد الفوارق الطبقيّة الاجتماعيّة مالمّا من أهميّة . حتى الأسماء نفسها ، هذا سيد وذاك عبد تصير بلا معنى . لو عامل السيد العبد كما لو عامله المسيح ، وإذا خدم العبد سيده كما يخدم المسيح ، فإن تسمية الواحد بسيد والآخر بعبد لا تعد بذات قيمة ؛ لأن علاقتهما لا تخضع لأى تنظيم بشرى ، لأن كليهما في المسيح . لم تهاجم المسيحية العبوديّة في بداية الأمر ؛ ولم تحث أبداً على تحرير العبيد . . ولو أنها فعلت ذلك ، لكان ذلك أدعى إلى إساءة الأمور بدون فائدة ، بل لكان سبباً في إحداث مصيبة كبرى . ولكن المسيحية أدخات علاقة جديدة اختفت منها الفوارق الطبقيّة التي ابتدعها الإنسان .

وعليّنا أن نلاحظ أن هذه العلاقة الجديدة لم تعط أبداً للعبد حق الكسل والحمول ؛ ولم تسمح له بأن يستغل هذه العلاقة الجديدة لمصلحته ؛ ولكنها جعلته عبداً أفضل ، وخداماً أكثر كفاءة ، لأنه الآن عليه أن يؤدى واجبه بصورة جدّية بتقديمه للمسيح . كذلك لم تمن هذه العلاقة الجديدة أن يصير السيد ليناً متساهلاً ، مستعداً لتقبل صناعة رديئة وخدمة أقل جودة ، ولكنها كانت تعنى أنه لم يعد من حقه أن يعامل أى خادم لديه كشئء يمتلكه ، بل كشخص له كيانه ، وأخ في المسيح .

هناك فقرتان يوضح فيهما بولس واجبات السادة والعبيد - في أفسس ٦ : ٥ - ٩ ، وفي كولوسي ٣ : ٢٢ - ٤ : ١ كتبت هاتان الفقرتان عندما كان بولس سجيناً في روما ، وغالباً عندما كان أنسيموس معه ؛ ومن الصعب تصور عدم وجود ارتباط بينهما وبين الأحاديث الطويلة التي تبادلها بولس مع العبد الهارب الذي صار مسيحياً .

في هذا الرأي تصبح الرسالة إلى فليمون رسالة خاصة ، مرسله من بولس إلى فليمون عندما أعاد إليه عبده الهارب أنسيموس ؛ وقد كتبت الرسالة لتحدث فليمون أن يقبل أنسيموس ثانياً ، ليس كما يفعل السيد الوثني ، بل كما يقبل المسيحي أخاً تائباً ، ويعفو عنه .

أرخبس

لنعود الآن لفحص الرأي الثاني في موضوع هذه الرسالة .

نبدأ دراسة هذا الرأي بفحص ما كان لأرخبس من مركز . يظهر أرخبس في كلا رسالتي كولوسي وفليمون . ترسل التحية في فليمون إلى أرخبس ، المتجند معنا (آية ٢) ؛ ويمكن أن يعني هذا الوصف أن أرخبس كان راعي المجتمع المسيحي المقصود . ويذكر أرخبس مرة أخرى في كولوسي ٤ : ١٧ « وقولوا لأرخبس أنظر إلى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تتممها » . تأتي هذه العبارة بعد مجموعة من الإشارات الواضحة المحددة إلى كنيسة لاودكيا (كولوسي ٤ : ١٣ ، ١٥ ، ١٦) هذا يدفع إلى احتمال وجود أرخبس في لاوديكية أيضاً . فمن المؤكد أنه ظهر في الرسائل التي أرسلت إلى لاودكيا . لماذا إذاً يطلب بولس توصيل هذه الرسالة الشفهية إليه؟ إذا كان أرخبس موجوداً في كولوسي ، فانه كان سيستمع إلى رسالة كولوسي عندما تقرأ أمام المجتمعين كلهم . لماذا إذاً أرسل هذا الأمر الشفهي

الخاص إليه ؟ من المحتمل جداً أن الإجابة الصحيحة على هذا التساؤل أن أرخبس لم يكن موجوداً أصلاً في كولوسي بل في لاودكية .

لو كان الأمر كذلك ، لكان بيت فليمون أيضاً في لاودكية ، ولكن هذا معناه أن أنسيموس كان عبداً لاودكياً هارباً . ولكن هذا أيضاً معناه أن الرسالة إلى فليمون كانت ، في الحقيقة ، محررة إلى لاودكية . ولو كان هذا ما حدث ، لكان الخطاب المفقود إلى كنيسة لاودكية ، والذي جاء ذكره في كولوسي ٤ : ١٦ هو نفسه الرسالة إلى فليمون . وفي الحقيقة يحل هذا كثيراً من المشكلات .

لنذكر أنه في المجتمع القديم ، بمفهومه الخاص عن العبودية ومعاملة العبيد ، كانت خطوة بولس في إرسال العبد الهارب بالغة الخطورة . وعلى هذا يمكن اعتبار أن « فليمون » لم تكن رسالة خاصة على الإطلاق . فهي رسالة إلى فليمون وإلى الكنيسة التي في بيته . وأن المطلوب أيضاً قراءتها في كولوسي . ماذا كان يفعل بولس إذا ؟ كان يعي الرأي في كنيسة لاودكية وكولوسي في صفه لعلمه بخطورة الخطوة في إرسال عبد هارب . لم يترك أمر قبول العبد الهارب إلى ميول فليمون الشخصية ؛ بل جعله أمراً عاماً يشترك فيه جميع الأخوة ، ويتمدد فيه الرأي المسيحي لإنجاز عمل مسيحي . وبعبارة أخرى ، لم يترك أمر أنسيموس لفليمون وحده ، بل كان لابد أن يكون قراراً عاماً من المجتمع المسيحي كله . وما يعضد هذا الرأي وجود نقطة لغوية واحدة . واكتها هامة . في آية ١٢ يكتب بولس أنه رد أو أرسل ثانياً أنسيموس إلى فليمون . والفعل هو *In a pempein* ؛ وهذا هو الفعل المعتاد استعماله ليعني إحالة موضوع على واحد للبت فيه . وعلى ذلك تكون ترجمة الآية ١٢ كما يلي : « إني أحيل هذا الموضوع إليكم » بما يفيد أن بولس لا يعني فقط فليمون ، ولكن أيضاً الكنيسة التي في بيته .

هناك كثير يمكن قوله في تعضيد هذا الرأي.. ولكن هناك مشكلة واحد
٤ : ٩ بخصوصه . في كولوسى ٤ : ٩ يشار إلى أنسيموس كواحد منكم ،
وهذا بالتأكيد يشير إلى أنه من كولوسى . ولكن Goodspeed الذى أثار
هذا الرأي بعمق بحثه وقوة إقناعه ، يرد على ذلك بقوله أن هيرا بوليس ،
ولاوديكيه ، وكولوسى كانت قريبة جداً من بعضها البعض ، لدرجة اعتبار
كنائسها كنيسة واحدة ، ومجتمعاً واحداً ، وأنه بذلك تكون عبارة واحد
منكم لا تعنى بالذات كولوسى ، ولكن هذا المجتمع الواحد المتقارب . لو كنا
على استعداد لتقبل هذا ، زالت العقبة الأخيرة ضد هذه النظرية .

متابعة القصة :

ولا يتوقف Goodspeed عند هذا . بل يستمر في بناء قصة أنسيموس
في صورة مؤثرة .

يكتب بولس في عددى ١٣ ، ١٤ بصورة تامة الوضوح أنه كان يود
كثيراً أن يبق أنسيموس لديه ، « الذى كنت أشاء أن أمسكه عندى لكى
يخدمنى عوضاً عنك فى قيود الإنجيل . ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل
شيئاً لكى لا يكون خيرك على سبيل الاضطراب بل على سبيل الاختيار » . وهو
يدكر فليمون بأنه مديون له بنفسه (آية ١٩) . ثم يضيف بذكاء جذاب ،
« ليكن لى فرح بك فى الرب » (بمعنى اسمح لى أن اكتب شيئاً مسيحياً
منك) . ثم يذكر ، « إذ أنا واثق باطاعتك كتبت إليك عالماً أنك تفعل أيضاً
أكثر مما تقول » . هل كان ممكناً أن يرفض فليمون هذا الرجاء ؟ أمام عبارات
كهذه هل كان يملك شيئاً غير أن يعيد أنسيموس إلى بولس ومعه نحياته ؟
لهذا يعتبر Goodspeed أن أنسيموس قد عاد بالتأكيد إلى بولس ، وأصبح
له مساعد فى عمل الإنجيل .

أسقف أفسس :

لننتقل الآن خمسين عاماً تقريباً عندما يؤخذ إغناطيوس ، أحد أعظم شهداء المسيحية ، من كنيسة في أنطاكية ليعدم في روما . وأثناء ذهابه ، يكتب رسائل ، لازالت باقية ، إلى كنائس آسيا الصغرى . توقف في سمرنا ليكتب إلى كنيسة أفسس ، وفي الفصل الأول من هذا الخطاب تكلم كثيراً عن أسقف أفسس العجيب . وماذا كان اسم هذا الأسقف ؟ أنه أنسيموس ، ويستعمل إغناطيوس نفس التلاعب اللفظي الذي استعمله بولس - هو أنسيموس اسماً ، وهو أنسيموس فعلاً ، المفيد في المسيح . وربما كان ما حدث فعلاً أن أنسيموس العبد الهارب قد وصل بعد هذه السنين إلى أن يصير أسقف أفسس العظيم .

ماذا فعل المسيح لي :

وإذا كان كل ذلك قد حدث ، فانه لازال هناك تعليل باق . لماذا بقيت هذه الرسالة الصغيرة التي لا تخرج عن صئحة صغيرة واحدة من ورق البردي ؟ كيف وصلت هذه الرسالة النصف شخصية والنصف رسمية إلى مجموعة رسائل بولس ؟ فهي لا تبحث في مبدأ عظيم ، ولا تهاجم هرطقة خطيرة ، بل هي الرسالة الوحيدة بين رسائل بولس المؤكدة التي كتبت لفرد معين .

وبما لا شك فيه أن أول محاولة عملية لجمع رسائل بولس تمت في أفسس . ربما حدث ذلك حوالي نهاية القرن الأول - ثم نسخت وطبعت . وحول هذا الوقت بالضبط كان أنسيموس أسقفاً لأفسس . وربما كان أنسيموس بالذات هو الذي أصر على ضم هذه الرسالة إلى المجموعة ، رغم قصر وصغر وخصوصية الرسالة . وذلك لكي يرى جميع الناس ماذا فعلت له نعمة الله . ففيها يقول

الأسقف العظيم للعالم كله إنه في يوم ما كان عبداً هارباً ولصاً ، وأنه يدين بحياته لبولس وليسوع المسيح . وفيها يصر الأسقف الكبير أن يعيد على الأسماع قصة عاره الشخصي لكي ينطق هذا العار بالذات عن مجد الله .

هل رجع أنسيموس إلى بولس ومعه تمنيات ودعوات فليمون ؟ هل صار أسقف أفسس العظيم ، وهو السارق الهارب من العبودية ؟ هل أصر على ضم هذه الرسالة الصغيرة إلى مجموعة بولس لكي نخبرنا ماذا فعل له المسيح خلال بولس ؟ لن نعرف أبداً الحقيقة ، ولكن إذا كان هذا ما حدث نجد هنا قصة عاطفية بالغة للنعمة في الكنيسة الأولى . لن نتأكد أبداً من الحقيقة ، ولكنها قصة جميلة نتمنى أن تكون صادقة .

رجل يسهل إسترجاؤه

١ بُولُسُ أَسِيرُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَتِيمُوثَاوُسُ الْآخُ
إِلَى فُلِيمُونِ الْمَحْبُوبِ وَالْعَامِلِ مَعَنَا ٢ وَإِلَى أَبْنَيْيَةِ الْمَحْبُوبَةِ
وَأَرْخَيْسَ الْمُتَجَنِّدِ مَعَنَا وَإِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ
٣ نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ آبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .
٤ أَشْكُرُ إِلَهِي كُلَّ حِينٍ ذَاكِرًا إِيَّاكَ فِي صَلَوَاتِي
٥ سَامِعًا بِمَحَبَّتِكَ وَالْإِيمَانِ الَّذِي لَكَ نَحْوُ الرَّبِّ يَسُوعَ
وَلِجَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ ٦ لِكَيْ تَكُونَ شَرِكَةً إِيْمَانِكَ فَعَالَةً
فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ الصَّلَاحِ الَّذِي فِيكُمْ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ
يَسُوعَ . ٧ لِأَنَّ لَنَا فَرَحًا كَثِيرًا وَتَعْزِيَةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ
لِأَنَّ أَحْشَاءَ الْقِدِّيسِينَ قَدْ اسْتَرَاخَتْ بِكَ أَيُّهَا الْآخُ .

فليمون ١ - ٧

الرسالة إلى فليمون رسالة غير عادية لأننا نرى فيها صورة غير عادية
— بولس يطلب معروفاً — فليس هناك شخص مثل بولس في قلة طلبه
للمعروف ، ولكنه في هذا الخطاب بالذات يخرج عن عادته ويطلب معروفاً
لأنفسه ولكن لأنسيموس ، الذي سلك الطريق المعوج ويحاول بولس مساعدته
للعودة إلى الصواب .

وحتى بداية الرسالة غريبة . فبدلاً من أن يدعو بولس نفسه رسول يسوع المسيح كمعادته دائماً ، يسقط هذا اللقب الرسمي من الخطاب لأنه مرسل من صديق إلى صديقه . ويكتب لا كبولس الرسول بل كبولس أسير يسوع المسيح . وهكذا منذ البداية يلتقي بولس جانباً كل ارتباط بالسلطان ، ويبني رجاءه على المشاركة المسيحية والمحبة فقط .

ونحن لا نعرف من هما أبنية وارخبس ، ويقال لهما زوجة وابن فليمون لأنهما أيضاً لهما مصلحة هامة في عودة أنسيموس العبد الهارب . ومن المؤكد أن أرخبس قد حضر خدمات مسيحية مع بولس ، لأن بولس يشير إليه كأحد المتجندين معه .

والواضح أن فليمون كان رجلاً يمكن التفاهم معه وطلب معروف منه إذ كان إيمانه في المسيح ومحبه للأخوة معروفاً للجميع واشتهر ذلك عنه حتى وصل روما حيث كان بولس سجيناً . ولا بد أن بيته كان مثل واحة في الصحراء ، لأنه كما وصفه بولس ، كان ينعش قلوب شعب الله . ما أجمل أن تذهب ذكرى الإنسان في التاريخ أنه هو الرجل الذي ارتاح في بيته شعب الله ووجدوا لديه مسرتهم .

في هذه الفقرة توجد آية من الصعب ترجمتها وكتب عنها الكثير . هذه هي صلاة بولس لفليمون في آية ٦ . الجزء الأخير من الصلاة تضرع كي ينمو فليمون في معرفة كل الأمور الصالحة التي تقود إلى المسيح . والجزء الأول « شركة إيمانك » إما أن يعنى .

(أ) دعاء أن الإيمان الذي يشترك فيه فليمون وبولس معاً يقود فليمون إلى أعماق الحق المسيحي .

(ب) أو دعاء أن هذه الشركة المسيحية تقود فليمون إلى أعماق الحق .

(ج) أن كلمة شركة تعني مشاركة أو شفقة مسيحية وعطاء مسيحي
وكرم مسيحي في المشاركة . وفي هذا المعنى تكون الآية « إني أصلي
أن يقودك كرمك في المشاركة وجودك في العطاء إلى أعماق المعرفة
في انتقاء الصالح الذي يقود إلى المسيح » .

ونحن نعتقد أن المعنى الأخير هو المقصود . فمن الواضح أن الكرم
والشفقة المسيحية كانت بعض صفات فليمون . فقد حفظ قلبه على محبة
شعب الله وقدم لهم في بيته راحة ومسرة . والآن يطلب بولس من هذا الرجل
الكريم أن يكون أكثر كرمًا . وإذا كان هذا التفسير صحيحاً نجد هنا فكرة
عظيمة . هذه الفكرة هي أنه باعطائنا للآخرين نعرف أكثر عن المسيح . أي
أنه إذا شاركنا الآخرين أعطانا المسيح . أو بمعنى آخر إذا أفرغنا أنفسنا
نمتلئ بالمسيح . إذا أفرغنا أنفسنا في العطاء ، زدنا غنى بعطايا المسيح . وأن
الشخص الكريم هو أقرب الناس لاختيار غنى المسيح . وأكثر الناس
معرفة للمسيح ليس هو الباحث المثقف ، ولا حتى القديس الذي يبتعد عن
الناس ويمضي أيامه ولياليه في الصلاة ، ولكنه هو الشخص الذي يكرم في
محبة كل من حوله من الناس .

من أجل المحبة

٨ لَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ لِي بِالْمَسِيحِ ثِقَةٌ كَثِيرَةٌ أَنْ أَمُرَكَ
بِمَا يَلِيْقُ ٩ مِنْ أَجْلِ الْمَحَبَّةِ أَطْلُبُ بِالْحَرِيِّ إِذْ أَنَا
إِنْسَانٌ هَكَذَا نَظِيرُ بُولُسَ الشَّيْخِ وَالْآنَ أَسِيرُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
أَيْضاً ١٠ أَطْلُبُ إِلَيْكَ لِأَجْلِ ابْنِي أُنْسِيمُسَ الَّذِي وَلَدَتْهُ
فِي قُيُودِي ١١ الَّذِي كَانَ قَبْلًا غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ وَلَكِنَّهُ
الْآنَ نَافِعٌ لَكَ وَلِي ١٢ الَّذِي رَدَدْتُهُ . فَأَقْبَلُهُ الَّذِي هُوَ
أَحْشَانِي . ١٣ الَّذِي كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ أُمْسِكَ عِنْدِي لِكَيْ
يَخْدُمَنِي عِوَضاً عَنْكَ فِي قُيُودِ الْإِنْجِيلِ ١٤ وَلَكِنْ بِدُونِ
رَأْيِكَ لَمْ أُرِدْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً لِكَيْ لَا يَكُونَ خَيْرُكَ كَأَنَّهُ
عَلَى سَبِيلِ الْأَضْطِرَّارِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِيَارِ . ١٥ لِأَنَّهُ
رُبَّمَا لِأَجْلِ هَذَا أَفْتَرَقَ عَنْكَ إِلَى سَاعَةٍ لِكَيْ يَكُونَ لَكَ إِلَى
الْأَبَدِ ١٦ لَا كَعَبْدٍ فِي مَابَعْدُ بَلْ أَفْضَلُ مِنْ عَبْدٍ أَخاً
مَحْبُوباً وَلَا سَيِّماً إِلَيَّ فَكُمْ بِالْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي الْجَسَدِ
وَالرَّبُّ جَمِيعاً . ١٧ فَإِنْ كُنْتُ تَحْسِبُنِي شَرِيكاً فَأَقْبَلُهُ
نَظِيرِي .

كان لبولس ، وهو ما هو ، الحق في طلب ما يرغبه من فليمون ، ولكنه هنا يرجو في تواضع . لكي تكون العطية عطية يجب أن تعطى بفرح وبحرية كاملة ؛ أما العطية التي تفرض على الشخص فهي ليست بعطية .

في آية ٩ يصف بولس نفسه بأنه الشيخ وأنه أسير يسوع المسيح . هناك كثير من الباحثين ينكرون على بولس وصف نفسه بأنه شيخ مسن . لأنه لم يكن بالتأكيد قد بلغ سن الستين ؛ ربما بين الـ ٥٥ ، الـ ٦٠ ولكن بولس محق ، ومن يعترضون من المفسرين على استعمال كلمة شيخ مخطئون . فالكلمة التي استخدمها بولس تناسب السن ما بين ٤٩ ، ٥٦ في رأي هيو قراطس . في هذا العمر يمكن أن يطلق على شخص لقب كهل Senior ، وبعد هذا يطلق عليه geron أى عجوز أو شيخ . ويرى هؤلاء الباحثون أن الوصف المقصود هو الكلمة presbeutes وتعني سفير ، وقد استعمل بولس الفعل من هذه الكلمة في أفسس ٦ : ٢٠ عندما قال ، « الذي لأجله أنا سفير في سلاسل » . ولكن المعنى الأكثر احتمالاً هو كبير السن ، لأن بولس ، في هذا الخطاب ، يترجى لا يسبب المركز الذي يشغله ، أو السلطة التي يتمتع بها ، بل المحبة فقط . فهو لا يتكلم بصفته السفير ، بل بصفته إنسان عاش حياة قاسية ، وقد غلبه الآن التعب والوحدة .

ثم يوضح بولس رجاءه في آية ١٠ ، وهو رجاء خاص بأنسيموس . ونلاحظ هنا كيف يتباطأ بولس في الإفصاح عن اسم أنسيموس ، كما لو كان متردداً في عمل ذلك . ولا يسوق بولس أية أعلام لأنسيموس ؛ بل يعترف بلا حرج بعدم منفعة وبضعة أخلاقه ؛ ولكنه يقدم عنه دفاعاً واحداً أنه صار نافعا الآن .

والمسيحية ، كما اعتاد James Denney على القول ، هي القوة التي

تجعل من الأردباء رجالاً صالحين . ومن المهم أن نلاحظ قول بولس أن عديم المنفعة صار في المسيح نافعاً . المسيحية ليست وهماً يخلق أناساً حاملين ليس فيهم كفاءة أو وضوح ؛ ولكنها تنتج أناساً لهم منفعة ، أناساً يفهمون الأمور ، أناساً يؤدون العمل أفضل من أى إنسان آخر لم يعرف المسيح بعد . قيل عن أحدهم إنه كان سماوى التفكير لدرجة انعدام فائدته للأرض . ولكن المسيحية الصادقة تجعل من الشخص سماوى التفكير ومفيداً في حياته على الأرض في نفس الوقت .

يطلق بولس على أنسيموس الطفل الذى ولدته في قيودى ، هناك مثل يهودى يقول : « لو علم واحد الناموس لابن جاره ، يعتبر هذا مماثل لكونه ابناً له أنجبه » . إن أتى بإنسان إلى الله ، ويقوده إلى يسوع المسيح ، هذا في حد ذاته عمل عظيم كمن أتى به إلى العالم . سعيد هو ذلك الأب الذى ينجب للحياة الأرضية ابناً ، ثم يقوده إلى الحياة الأبدية ، فإنه بهذا يكون قد ولده مرتين .

— كما رأينا سابقاً في المقدمة ، هناك معنيان للآية ١٢ . يقول بولس « الذى رددته » . ولكن الفعل في الأصل لا يعنى فقط أن يرد ، بل يعنى أيضاً أن يحيل الموضوع إلى ، وهكذا يكون ما يقوله بولس لفليمون هو : « إني أحيل موضوع أنسيموس إليك ، لكي تحكم فيه بما يتناسب مع المحبة التى فيك » . ولا بد أن أنسيموس قد صار عزيزاً جداً على بولس أثناء تلك الأشهر التى قضها في السجن ، لأن بولس يصفى عليه هذا الإعزاز العظيم بقوله إنه إذ يرسل أنسيموس كأنما يفرق عن قطعة من أحشائه .

ثم يأتى بعد ذلك الرجاء . كان بوديولس أن يحتفظ بأنسيموس ، ولكنه يردده إلى فليمون ، لأنه لن يفعل شيئاً دون موافقة فليمون . نلاحظ هنا أيضاً

شيئاً هاماً . المسيحية ليست مستعدة أن تعين الإنسان على الهرب من ماضيه وإغفاله ، ولكنها مستعدة أن تمكنه من مواجهة ماضيه والارتقاء فوقه . لقد هرب أنسيموس ، لا يصح إذا السماح له بالتهرب من نتائج فعلته القبيحة . يجب أن يرجع ، وأن يواجه نتائج ما فعل ؛ وأن يتقبل هذه النتائج ، ثم يرتقى فوقها جميعاً . ليست المسيحية هروباً ، بل هي انتصار .

وإذ يعود أنسيموس ، يعود كشخص آخر . ترك عمله كعبد وثني ، ويعود أخ في المسيح . ولا بد أن الأمر صعب على فليمون أن يعتبر عبده الهارب أخاً ؛ ولكن هذا هو بالضبط ما طلبه بولس . « فإن كنت تحسبني شريكاً في عمل المسيح ، وأن أنسيموس هو ابني في الإيمان ، إقبله إذاً كما لو كنت تقبلني أنا نفسي » .

نجد هنا مرة أخرى أمراً عظيم القيمة . يجب أن يرحب المسيحي بعودة من أخطأ . غالباً ما ننظر المخطئ الذي أخطأ سواء السبيل بعين الشك والارتياب ؛ وكثيراً جداً ما نظهر له عدم استعدادنا أن نثق فيه ثانياً . نستطيع أن نصدق أن الله قادر على العفو عنه ، أما نحن ، فنجد من الصعوبة بل من الاستحالة أن نعفو عنه . قيل إن أعظم عامل مشجع في يسوع المسيح أنه يثق فينا في نفس المجالات التي فشلنا فيها . عندما يرتكب إنسان خطأ ما ، فإن طريق العودة يمكن أن يكون شاقاً للغاية ، ولن يغفر الله ببساطة للشخص الذي ، في بره الذاتي ، أو في جحود قلبه ، يجعل الأمر أكثر مشقة .

الرجاء والبركة الختامية

١٨ ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ
فَاحْسِبْ ذَلِكَ عَلَى . ١٩ أَنَا بُولُسُ كَتَبْتُ بِيَدِي .
أَنَا أَوْفِي . حَتَّى لَا أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ مَدْيُونٌ لِي بِنَفْسِكَ أَيْضاً
٢٠ نَعَمْ أَيُّهَا الْأَخُ لِيَكُنْ لِي فَرَحٌ بِكَ فِي الرَّبِّ . أَرِحْ
أَحْشَائِي فِي الرَّبِّ . ٢١ إِذْ أَنَا وَاثِقٌ بِإِطَاعَتِكَ كَتَبْتُ
إِلَيْكَ عَالِماً أَنَّكَ تَفْعَلُ أَيْضاً أَكْثَرَ مِمَّا أَقُولُ .

٢٢ وَمَعَ هَذَا أَعِدِدْ لِي أَيْضاً مَنْزِلاً لِأَنِّي أَرْجُو أَنِّي
بِصَلَوَاتِكُمْ سَأَوْهَبُ لَكُمْ . ٢٣ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَبَفَرَاثُ
الْمَاسُورُ مَعِيَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ ٢٤ وَمَرْقُسُ وَأَرْسْتَرْخُسُ
وَدِيمَاسُ وَلُوقَا الْعَامِلُونَ مَعِيَ . ٢٥ نِعْمَةٌ رَبَّنَا يَسُوعَ
الْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ . آمِينَ إِلَى فِليْمُونِ كُتِبَتْ مِنْ
رُومِيَّةَ عَلَى يَدِ أَنْسِيمُسَ الْخَادِمِ .

فليمون ١٨ - ٢٥

إحدى قوانين الحياة المسيحية أن واحداً لا بد أن يدفع ثمن الخطية . الله
قادر على المغفرة وهو يغفر ، ولكن حتى الله ذاته لا يستطيع أن يحرر إنساناً

من نتائج عمله . في هذا يظهر مجد المسيحية ، فكما أن يسوع المسيح تحمل خطايا جميع الناس ، هكذا يوجد أولئك الذين دفعتم محبتهم أن يقدموا العون ويدفعوا ثمن نتائج الخطايا والأخطاء التي ارتكبها أحباؤهم . ولم تعط المسيحية مطلقاً للانسان حق الإخلال بتسديد ديونه . لا بد أن أنسيموس قد سرق فليمون ثم هرب منه . ولو لم يكن قد أخذ من مال فليمون ، لا يعقل كيف دبر أمر سفره هذه المسافة الطويلة إلى روما . ولكن بولس يكتب بيده ويقول إنه مسئول وأنه سيوفي الدين كله .

من الطريف ملاحظة ما يتضمنه هذا المكتوب البدوي من اعتراف بالدين حسب ما درسناه في كولوسي ٢ : ١٤ . هذا إيصال أو صلح مكتوب بخط اليد يؤخذ ضد بولس ؛ وهو مسئولية تحملها بولس عن طيب خاطر ووقع عليها .

ونلاحظ أيضاً أن بولس كان قادراً ومستعداً أن يسدد ديون أنسيموس . فبين حين وآخر تبدو لنا لمحات تشير إلى أن بولس لم يكن بدون موارد مالية . احتفظ به فيليكس سجيناً لأنه كان يأمل في الحصول على رشوة منه ليخلي سبيله ؛ ولا بد أن فيليكس كان يثق بأن بولس متيسر الحال للدرجة إمكانية دفع رشوة (أعمال ٢٤ : ٢٦) . كذلك كان بولس قادراً على استئجار بيت أثناء سجنه بروما (أعمال ٢٨ : ٣٠) . وربما كان الأمر ، أنه لولا أن بولس قد اختار حياة رسول للمسيح ، لكانت حياته مستقرة ناعمة تتيحه له . وارده الخاصة . وربما كان هذا شيئاً آخر بين عديد الأشياء التي تركها بولس لأجل المسيح .

نستمع في آية ٢٠ إلى بولس يتكلم بشيء من الفكاهة ويقول « فليمون ، أنت مدين لي بنفسك ، لأنني أنا الذي أتيت بك إلى المسيح . ألا تسمح لي

بربح أنا له منك الآن ؟ » وكأننا يبولس يبتسم بحنان قائلاً « لقد أخذت الكثير مني يا فليمون — اسمح لي بأخذ شيء منك الآن ! » .

ونجد في آية ٢١ مثالا لنوع التعامل الذي تعود عليه بولس - الناس .
فالقاعدة التي يتبعها بولس دائماً هو توقع أفضل ما يكون من الآخرين . وفي
حقيقة الأمر ، لم يشك بولس مطلقاً في أن فليمون سيستجيب إلى كل طلباته .
ولكنها قاعدة طيبة ؛ أن تتوقع الأفضل من الآخرين هو أنك غالباً قد قطعت
أكثر من نصف المرحلة للحصول على الأفضل . لو أوضحنا أننا نتوقع
القليل ، سنحصل على القليل . ولكننا إذا وضعنا لإنسان إزاء شرفه بأن يظهر
له كم نتوقع منه ، استيقظ فيه نداء الفروسية وتحركت الشهامة في قلبه ،
وحصلنا على الكثير من ذلك الذي توقعنا الحصول على الكثير منه .

في آية ٢٢ يتكلم بولس بتفاوتل . كان يؤمن أنه حتى وهو في السجن .
يمكن لصلوات أصدقائه أن تخرجه حراً . لقد غير خططه الآن . قبل اعتقاله ،
كانت نيته الذهاب إلى أسبانيا (رومية ١٥ : ٢٤ ، ٢٨) . وربما
بعد سنوات في السجن ، سنتين في قيصرية ، وسنتان طويلتان في روما ،
شعر بولس أنه يجب أن يتخلى عن هذه الأماكن البعيدة ونهاية العالم إلى من هم
أصغر منه سناً ، وأن الأفضل لمن كان مثله قد قارب النهاية ، أن يعود إلى
أصدقائه القدامى .

في آية ٢٣ ، توجد قائمة تحيات من نفس الزملاء الذين قابلناهم في كولوسي ، في أجزائها الختامية ، وهناك ذكرنا كل ما نعرفه عنهم .

وأخيراً أتاني البركة . ~~والله اعلم~~ ^{والله اعلم} بالبركة . المسيح على كل من فليمون وأنسيموس
على حد سواء .

